حقوق الإنسان

وواجباته

في القرآن

حسن أحمد عابدين



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والعصر إن الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾

صدق الله العظيم



اهـــداء

« إلى أصحاب الحقوق علي ..
هذا من بعض حقكم »

الفهرس

الموضوع **صفحة**



مقدمة

الحمد لله الذي أقسم بالعصر أن الانسان لفي خسر . والشكر له سبحانه الذي استثنى من ذلك الخسران الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذي عرف الحق وعرَّفه للمسلمين ، فكان سراجهم الى الجنة .. وبعد فان اهتمامي بموضوع حقوق الانسان وواجباته في الاسلام كان منذ سنوات وكانت البداية عندما أخذ الاحتفال بالاعلان العالمي لحقوق الانسان صفة عالمية ودورية في الوقت الذي تنتهك فيه هذه الحقوق على أيدي بعض المحتفلين بالاعلان عنها والمدعين المحافظة عليها .

ورغم ان كتاباتي في هذا الموضوع ضمن ما نشر بجريدة الندوة ومجلة الفيصل كانت قد أخذت كل ما كان يدور بخلدي في حينه إلا أنني كنت دائماً أشعر بالقصور فيما أكتب وأشعر بأن الموضوع له من الجوانب التي يمكن البحث فيها أكبر بكثير مما كتبت وكتب غيري .

وفي بداية السنة الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري أصدرت مجلة رابطة العالم الاسلامي عددا خاصا عن حقوق الانسان في الاسلام وكان لي حظ المشاركة في هذا العدد بمقال اختص في تناوله لموضوع حقوق الانسان بالجمع بين الحق والواجب ، وبينت

فيه أن القصور الواضح في تناول موضوع حقوق الانسان هو أن ننظر اليه نظرة سياسية أو نظرة من جانب واحد فقط « جانب حقوق المواطن تجاه الدولة » فنرى أن أغلب المواثيق والمعاهدات والدساتير والاعلانات والاتفاقات الدولية إنما تدافع عن حق الانسان في الحرية والمساواة والاعتقاد والتعليم وغيرها من الحقوق وكلها لا يستطيع في العصر الحاضر أن ينكرها الانسان على أخيه الانسان ، ولا يتم انتهاكها بمعرفة الفرد إنما إذا انتهكت فان ذلك يكون من قبل الدولة فهي التي تستطيع ـ إذا غُلِبَ الناس على أمرهم ـ أن تكبت حريتهم أو تحرمهم التعليم أو تحارب معتقداتهم أو تفرق بين غنيهم وفقيرهم أو بين أبيضهم وأسودهم .

ولما تفشت كل هذه الصور من صور الاعتداء على حقوق الانسان في العالم بدأت المنظمات الدولية في الدفاع عن هذه الحقوق وحمايتها ووضعت المواثيق وأعلنت عن استنكارها لكل دولة تعتدي عليها . ولا شك أن هذا شيء عظيم ، فالدفاع عن الحريات والمعتقدات والدعوة للمساواة ورفع الظلم شيء لا ينكره أحد . ولكن الدين الاسلامي دين الرحمة المهداة للعالمين ، دين فيه منهج الحياتين الأولى والآخرى ، لا يكتفي بمثل هذه التطورات العرضية ولا المعالجات الجزئية ، فهو دين الشمول ، بيَّن فيه رب العزة كل شيء . ولذلك فان الكاتب المسلم إذا تحدث عن حقوق الانسان في الاسلام فمن المناسب أن يتناول الموضوع بشمول يتلائم وما جاء به هذا الدين وما تستلزمه الدعوة اليه . ولا أقصد بهذا أنه من الممكن أن يكون هناك بحثا في هذا الموضوع يحصر كل ما جاء في الشريعة

الاسلامية عن حقوق الانسان بالطبع هذا غير ممكن ، ولكن المقصود هو توضيح أن اسلوب المناظرة بين ما جاءت به القوانين الوضعية وما سبق به الاسلام ، هو أسلوب أقرب الى الدفاع منه الى الدعوة والافصاح . والاسلام لا يحتاج الى من يدافع عنه انما المطلوب هو إزالة الغشاوة عن العيون التي لم ترى ما يحمله الاسلام من خير ورحمة للعالمين .

على هذا النهج أردت أن تكون معالجتي للموضوع . فتصورت حقوق الانسان في الاسلام حقوق متكاملة بين الناس جميعا . فحقوق أي انسان هي واجبات على الآخرين . والانسان في الاسلام تبدأ حقوقه وهو في بطن أمه وقبل أن يظهر على الأرض . فرب العزة سبحانه وتعالى كرم بني آدم بأن جعل له حقوق من أبواب عدله ورحمته وكرمه . وقد أفردنا لما يسر لنا الله معرفته من هذه الحقوق فصلا خاصا . أما الحقوق المقابلة لذلك والتي فرضها الله على الناس وفرض لهم ايضا في نفس الوقت . فقد قسمناها الى أربعة أقسام : القسم الأول تناول الحقوق المتعلقة بالنفس . والقسم الثاني تناول الحقوق المتعلقة بالمال . والقسم الثالث تناول الحقوق الاجتماعية . والقسم الرابع تناول حق التدين أو حرية العقيدة أو الاعتقاد . وقد بحثنا في هذا القسم الأخير موضوع الارتداد عن الدين في الاسلام . وأوضحنا أن العقوبة على ذلك لا تعني قيدا أو اعتداء على حق الانسان وانما هي على العكس عقوبة لحماية الحقوق التي فرضها الله للناس أجمعين . وقد أفردنا لكل قسم من هذه الاقسام فصلا مستقلا .

والاسلام قد وضع اطارا عاما لكل هذه الحقوق . اطار من الآداب العامة والرحمة وحسن الخلق . لذلك أتبعنا الفصول الأربعة السابقة بفصل عن ذلك .

والاسلام لم يقف عند حد بيان الحقوق وحمايتها والزام المسلمين بها وعقاب من يعتدي عليها . لقد ذهب الاسلام الى أبعد من ذلك بكثير . فأمر بكل ما يؤدي الى المحافظة على حقوق الانسان ، ونهى عن كل ما يمس هذه الحقوق أو يؤدي الى الاعتداء عليها . وقد خصصنا لهذه الأوامر والنواهي فصلا مستقلا .

إن المهمة الأولى للمسلمين الآن ليست في الدعوة فقط الى الأخذ بحقوق الانسان في الاسلام على مستوى عالمي . وإنما المهمة الأولى للمسلمين قبل ذلك هي مواجهة الخطر الداهم على حقوق المسلمين في بلاد المسلمين أنفسهم . هذا الخطر المتمثل في محاكاة المسلمين لغير المسلمين في كثير من الأمور والقضايا والعادات والتقاليد والسلوك الاجتماعي المنحرف بالاضافة إلى أخذ المسلمين بالقوانين الوضعية القاصرة . فقد أدت هذه المحاكاة إلى الجور على كثير من الحقوق . وقد أفردنا لهذا الموضوع الهام الفصل الأخير من هذا الكتاب . وكان لابد من فصل عن تطور حقوق الانسان عبر العصور . وفصل عن أوجه القصور في المواثيق الدولية التي تناولت حقوق الانسان . وقد بدأنا الكتاب بالفصلين على التوالي . تلك عشرة كاملة نرجو أن يباركها الله تعالى .

والآن أترك القارئ الكريم مع صفحات هذا الكتاب بعد أن أستحلفه بقيوم السموات والأرض اذا ظهر له خطأ أن يرده عني

ويصوب لى قدر طاقته .

والله أسأل المغفرة لي ولكم ولسائر المسلمين ، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفصل الاول

حقوق الانسان عبر العصور

١ ـ المرحلة الفطرية
٢ ـ المرحلة الجاهلية
٣ ـ المرحلة التشريعية
٤ ـ المرحلة العالمية

المفروض أن حقوق الانسان كاملة قد صاحبت الخلق الأول للانسان . ثم هدى الله الانسان الى اكتشافها تدريجيا عبر العصور ، ووفق مشيئة الله المطلقة وحكمته البالغة . فلله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئا عبثا أو لعبا . كما أنه لم يخلق شيئا مبتورا أو ناقصا . ولذلك عندما سؤل موسي عليه السلام عن ربه ﴿ **قال ربنا الذي أعطى كل شيْ خلقه ثم هدى** ﴾[1] .

ويقو الاستاذ عبدالرحمن حنبكة الميداني في كتابه « الأخلاق الاسلامية وأسسها » : (أما منح هذه الحقوق فهو الله الخالق تبارك وتعالى . وقد جعل الله في فطر الناس الوجدانية وفي فطرهم الفكرية ما يدركون به هذه الحقوق . اذا كانت هذه الفطر في الأفراد سليمة من العوارض والأمراض وسليمة مما يغش عليها)

(وتبيانا لهذه الحقوق أنزل الله في شريعته للناس الأحكام الكفيلة بضمانها . وذلك بما بين في النصوص . وبما وضع معها من دلائل وامارات . وهذه رحمة من الله بعبده حتي لا يضلوا ولا يختلفوا وعن طريق الشرائع الربانية تصحح أخطاء الأفكار إذا هي

(١) سورة طه آية رقم ٥٠

أخطأت . وتصحح أخطاء الضمائر إذا اختلط عليها الأمر) .

وإذا تأملنا قصة إبني آدم في القرآن الكريم ، لوجدنا أن حق الحياة هو أول الحقوق التي هدى الله الانسان لاكتشافها ، وقد كان الخير والشر في إبني آدم واضحا . فأحدهما إحترم حق الحياة رغم تعرضه للموت وقال : ﴿ **لئن بسط إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين** ﴾[1] أما الثاني فاعتدى على حق الحياة وقتل أخيه فأصبح من الخسرين والنادمين . ولكن الله من رحمته بعباده . بدأ يرشدهم ويعلمهم الحقوق الواحد تلو الآخر حسب مشيئته وتقديره سبحانه . فبعد أن قتل الأخ أخيه أرسل سبحانه وتعالى الغراب ليعلم الانسان كيف يواري سوءة أخيه . فيقول سبحانه : ﴿ **فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه** ﴾[2] فتعلم الانسان أن هناك حق لجثة الميت ، وهو أن توارى في التراب . فكان هذا من الحقوق الفطرية التي تعلمها الانسان منذ أن وطأت قدماه الأرض .

ثم توالت اكتشافات الانسان لحقوقه وتوالت انتهاكاته لها . لذلك أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل بالرسالات السماوية التي تبين الحقوق وتنذر من يعتدي عليها بالعذاب الأليم .

ولما كانت رسالة النبي محمد ﷺ هي آخر الرسالات الى ان يرث الله الأرض ومن عليها لذلك جاءت رسالة الاسلام رسالة شاملة كاملة لكل شيء . ومن ذلك شمولها لكافة الحقوق الانسانية

---

(١) سورة المائدة _ آية رقم ٢٨ .
(٢) سورة المائدة _ آية رقم ٣١ .

وقد بينت الجزاء المنتظر للمعتدي عليها في الدنيا والآخرة . ورغبت في المحافظة على الحقوق ونفرت من الاعتداء عليها أو المساس بها .

وعلى ضوء هذا فان تقسيمنا لمراحل تصور حقوق الانسان . ما هو إلا تقسيم لمراحل تطور اكتشف الانسان لهذه الحقوق . وتطور اسلوبه في المطالبة بها . وفي الدفاع عنها . والمحافظة عليها . واعطائها الصفة الشرعية . وحقوق الانسان بدأت فطرية مع خلق الانسان . لذلك يمكن اعتبار أن أول المراحل التي مرت بها حقوق الانسان هي المرحلة الفطرية . ثم بعد ذلك اتسع نطاق الحقوق وتبع ذلك اتساع أكبر في انتهاكها . لذلك اتسمت المرحلة التالية للمرحلة الفطرية بالجاهلية . وبعد أن تطورت الدنيا وظهرت الدول المستقلة والحكومات القوية واتسع نطاق الحقوق أكثر فأكثر . واتسعت قاعدة المنتهكة حقوقهم بشكل أكبر . جاءت مرحلة الجمع والتقنين لهذه الحقوق بصور متباينة . ثم جاءت المرحلة الحالية مع التطور الحضاري والمدنية الحديثة . فبدأت الحقوق تدخل مرحلتها العالمية . وسوف نعطي فكرة موجزة عن كل مرحلة من المراحل الأربعة السابقة . وهي لا تمثل مراحل مستقلة تنتهي احداها تماما لتبدأ الاخرى في عقبها . إنما هي مراحل متداخلة ولكن كل مرحلة لها طابع خاص يميزها .

المرحلة الفطرية :

المرحلة الفطرية هي المرحلة التب بدأت مع الانسان الأول . الذي كان يتصرف ويتفاعل مع كل ما يحيط به بفطرته التي فطره الله

عليها . ولو أن الأمر كان قد ترك للفطرة فقط لما وجدنا إلا كل خير ، فالانسان مفطور على الخير وحبه للخير شديد . ولكن الشيطان لعنه الله كان لابن آدم بالمرصاد يوسوس له فيخرجه عن فطرته ويزين له الشر .

وكما سبق أن قلنا فان قصة ابني آدم في القرآن تظهر الكثير من هذه الأمور .

وفي هذه المرحلة الفطرية كانت الحقوق التي اكتشفها الانسان هي الحقوق الطبيعية . فعرف الانسان حقه في الحياة وحقه في استنشاق الهواء ، وحقه في المأكل والملبس مما يحيط به من أشجار وثمار وحيوانات . وعرف حقه في الدفاع عن نفسه ضد من يعتدي عليه . ولكنه لم يكن يستطيع أن يحافظ على كل هذه الحقوق الا اذا كانت لديه القوة الجسمانية اللازمة لذلك . ومن هنا وبعد أن توافرت لانسان هذا العصر القوة اللازمة لصد من يعتدي على حقوقه ، زين له الشيطان نزعة الغرور والاستئثار والتملك وزين له الاعتداء على حقوق الآخرين الذين هم أضعف منه وكانت القوة الجسدية للانسان وحدها هي الفيصل في المحافظة على الحق أو في اهداره في تلك المرحلة .

المرحلة الجاهلية :

وفي هذه المرحلة اكتشف الانسان حقوقا كثيرة أخرى ، فظهر الحق في التملك . فملك المساحة من الأرض التي عاش عليها وملك الحيوانات التي إستأنسها وملك الزوجة والاولاد وملك ما صنعه من

آلات للدفاع عن نفسه أو لاخراج خيرات الأرض أو لصيد الحيوانات ولكن كان الفيصل في المحافظة على هذه الحقوق جميعا أو فقدها هي أيضا القوة الجسدية ولكنها لم تعد قوة الفرد الواحد وإنما قوة الاسرة مجتمعة .

ومع استمرار سلطان القوة بدأت اعتداءات الاسر القوية على الاسر الضعيفة . فسلبت الأولى حقوق الثانية واخذت خيراتها وأملاكها وقتلت أهلها . ولما بدأ طغيان الاسر القوية على الاسر الضعيفة بدأت الحاجة الى الترابط بين الأسر الضعيفة ، للدفاع عن حقوقها وانتقل مبدأ الحق للقوة مرة اخرى الى مستوى جديد هو مستوى قوة القبيلة . وتعمقت هذه النزعة القبلية . وبدأت الجاهلية تتفشي في هذا العصر والعصور التي تلته . ولكن بأشكال وصور مختلفة تخللتها نزعات للاصلاح لكنها لم تكن لتستطيع تحقيق الاصلاح حتي أذن الله تعالى للرسل بهداية الناس واخراجهم من ظلمات الجهل ودعوتهم لاسلام الوجوه لله واحترام الحقوق وعدم الاعتداء عليها . وبين كل رسالة سماوية والتي تليها كانت الجاهلية هي المسيطرة وهي المتفشية وحكم القوة والسيطرة والطغيان هو السائد .

ويفرق البعض في هذا الصدد بين جاهلتين[١] . جاهلية اولى اتسمت بالتفكك الى قبائل متعددة . انتشرت بينها عادات سيئة متوارثة مثل العصبية والثأر والسبي والرق والشغار ووأد البنات وبيع

(١) أركان حقوق الانسان ـ د . صبحي محمصاني

الأولاد وتعدد الزوجات . وجاهلية ثانية قبيل الاسلام خفت فيها حدة القسوة التي سادت في الجاهلية الاولى ، وتلطفت مسائل الثأر باعتماد الديات واقرار المحاكمات المبنية على التحكيم أو على سلطة رئيس القبيلة . وأصبح حق الدفاع مصونا . وأُرسيت قاعدة الأصل براءة الذمة . والمبنية على من ادعى . وندرت حوادث وأد البنات . واحتقر إرث الزوجات .

ولكن على أي الحالات فان الجاهلية وإن خففت حدة قسوتها في بعض العادات إلا أن ما بقي من عادات كان كافيا لضياع حقوق الانسان في هذه المرحلة على أبشع صورة .

المرحلة التشريعية :

وهذه تعتبر بداية مرحلة التحضر ، حيث ظهرت الدول المستقلة . وواجهت الشعوب حكامها . وطالبت بازالة الفوارق وتحقيق المساواة ورفع الظلم . وقد بدأ كل مجتمع بتدوين الأعراف والعادات والتقاليد السائدة فيه وصياغتها في قوانين بدائية . ومن أمثلتها قانون حمورابي ملك بابل . وقوانين صولون الاغريقي . وقانون الألواح الاثني عشر الروماني . وقد اتفقت هذه القوانين وغيرها في أنها قوانين وضعية . شابها القصور في كثير من النواحي . وركزت على العقوبات الجسدية لمواجهة الجرائم . ثم أنها في جملتها كانت مهتمة بتنظيم الحياة الاجتماعية . وعلاقة الحكام بالمواطنين . أكثر منها إهتماما بحقوق الانسان . ثم ما لبست أن تطورت هذه القوانين مع تطور الدول . وتطور احتياجات المواطنين . وما واجهته

السلطات الحاكمة في كثير من بلدان العالم من ثورات . ولكن كان التطور دائما في ظل اطار العلاقة بين الدولة والمواطنين . ولم يتعد ذلك الى جواهر الحقوق الانسانية المتكاملة للانسان . واقتصر الأمر خلال هذه المرحلة على تأكيد بعض الحقوق السياسية مثل الديمقراطية والحرية والمساواة وبعض الحقوق الاجتماعية مثل حق العمل وحق التملك وحق التقاضي . وقد تأثرت هذه القوانين في جملتها بما واكبها من ديانات وشرائع سماوية .

المرحلة العالمية :

ومع التقدم والتطور البشري . ثم التطور العلمي والعالمي في وسائل المواصلات والاتصال . استمت حقوق الانسان تدريجيا بالعالمية . واتخذ الدفاع عنها أخيرا شكلا جماعيا . وعقدت لذلك المؤتمرات . وتأسست المنظمات الوطنية والاقليمية والعالمية . وصدر عن هذه وتلك الكثير من المواثيق والاعلانات والمعاهدات .

ففي انجلترا صدرت وثيقة الحقوق عم ١٦٨٩م وذلك بعد قرون من العهد الأكبر الشامل للحريات التي منحا الملك جون للانجليز عام ١٢١٥ . وفي عام ١٧٨٩ وافقت الجمعية التأسيسية الفرنسية على اعلان حقوق الانسان والمواطن . وفي عام ١٧٩١ صادق الكونجرس الامريكي على وثيقة الحقوق . وفي ١٩١٨ صدر اعلان الحقوق السوفيتي . وفي عام ١٩٤٨ صدر عن منظمة الأمم المتحدة « الاعلان العالمي لحقوق الانسان . وكان هذا الاعلان هو من أبرز الوثائق العالمية الحديثة التي صدرت عن حقوق الانسان وقد

جاء فيه أن الجمعية العمومية للأمم المتحدة « تنادي بهذا الاعلان العالمي لحقوق الانسان على أنه **المثل الأعلى** المشترك الذي يجب أن تصل اليه جميع الشعوب والأمم » . وقال عنه البعض : « ما هذه الوثيقة العالمية في واقع الأمر سوى خلاصة ما تطلعت اليه المدنيات البشرية المختلفة والديانات الكبرى انها مجموعة الحقوق التي يعتقد بضرورة ضمانها المجتمع البشري الحاضر المتمثل بهيئة الأمم المتحدة والذي يؤمن بأنه لا مستقبل للجنس البشري إن لم تصبح حقوق الانسان حقائق يعيشها الناس في كل مكان »[١] .

وفي عام ١٩٥٠ صدر عن المجلس الأوربي الاتفاقية الأوربية لحماية حقوق الانسان . وفي عام ١٩٦١ صدر عن نفس المجلس « الميثاق الاجتماعي الاوربي » . وفي عام ١٩٦٤ أصدر المجلس الاوربي أيضا قانون الضمان الاجتماعي . وفي عام ١٩٦٦ صدر ملحقين للاعلان العالمي لحقوق الانسان والصدار عن الامم المتحدة وفيهما تفصيلات أكثر عن الحقوق المختلفة . الاول ميثاق الحقوق المدنية والسياسية والثاني ميثاق الحقوق الاقتصادية والاجتماعية .

وفي عام ١٩٦٩ صدرت الاتفاقية الامريكية لحقوق الانسان . وعن جامعة الدول العربية صدر في عام ١٩٧٤م اتفاقية المنظمة العربية لحقوق الانسان .

هذه هي أهم الوثائق التي صدرت تقريبا عن حقوق الانسان من مواثيق واعلانات واتفاقات هذا بالاضافة الى المعاهدات المتعلقة

---

(١) مجلة رابطة العالم الاسلامي ـ مقال للدكتور عبد الحليم خلدون الكناني .

بمكافحة الرقيق ، ومكافحة التمييز العنصري ، وحماية الأقليات ومكافحة البغاء ، وتجارة المخدرات . والاتفاقات المتعلقة بوضع اللاجئين ، والحقوق السياسية للمرأة والجنسيات . واتفاقية لاهي ثم جنيف الخاصة بالحروب ومعاهدة فيينا المتعلقة بالحصانة الدبلوماسية ، الى آخر هذه المعاهدات وغيرها .

وإن كان هناك من تعليق على كل هذه الوثائق فنقول انها كانت بصفة عامة تهدف الى التعاون الدولي أكثر منها الى حماية حقوق الانسان والدفاع عنها . والدليل على ذلك ما نراه في الواقع فبرغم كل هذه المواثيق والتعهدات وغيرها يزداد يوما بعد يوم الانتهاك الصارخ لحقوق الانسان في كثير من بقاع العالم .

وليس أدل على ذلك مما يحدث لشعب وأرض فلسطين العربية . وعلى مرأى ومسمع من جميع شعوب العالم وزعمائه ومفكريه ممن يدافعون عن حقوق الانسان أو يدعون حمايتها . ولكنها المصالح الدولية التي تتغلب حتى على حق الانسان في الحياة على أرضه وكرامته . ولا يهم أن يضرب بكل هذه المواثيق والتعهدات عرض الحائط طالما أن المصالح الدولية محترمة .

وليست فلسطين هي الضحية الوحيدة ـ رغم أنها المثل الصارخ والدائم والمحزن ـ فهناك اخواننا في افغانستان يتعرضون للغزو الشيوعي السوفيتي وويلاته . وكلنا نعلم أن الشيوعية قد أصبح همها على قلب العالم ثقيل وثقيل . فالمضطهدين من قبل الشيوعية ليسوا خارج البلاد الشيوعية فقط وانما في داخل البلاد الشيوعية نفسها . فالتعذيب والتنكيل والنفي وغسيل المخ والتجسس ـ كل

هذه المصائب شائعة في هذه البلاد ولكن لها أقنعة للأسف من الديمقراطية وحماية المجتمع ثم أن من يسمون أنفسهم بالمعسكر الحر . هم أيضا لهم نصيبهم العظيم في إنتهاك حقوق الانسان والمساعدة المادية والمعنوية في ذلك . وحتى في أكبر دول العالم وزعيمة هذا المعسكر الولايات المتحدة الامريكية . لا زالت ملحمة الزنوج قائمة فيها . ولا زالت حرية الدولة نفسها مسلوبة بمعرفة اليهود .

والسؤال الآن : لماذا لم تعالج المواثيق والاتفاقات والتعهدات الدولية هذه على كثرتها كل هذه الاعتداءات على الحقوق ؟ لماذا لم تحمي حقوق الانسان ؟ وما هي أوجه القصور التي أدت الى ذلك ؟ هذا ما سنتناوله في الفصل التالي .

الفصل الثاني

أوجه القصور في المواثيق الدولية
المتعلقة بحقوق الانسان

١ ـ أسباب عدم جدوى المواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الانسان .

٢ ـ اليهود وراء مصائب العصر في الدين والدنيا .

٣ ـ تجربة تطبيق الشريعة الاسلامية في العصر الحديث .

لا شك ـ وكما تبين لنا في الفصل السابق ـ أن كافة المواثيق والمعاهدات والاتفاقات الدولية لا زالت قاصرة عن تحقيق المأمول منها وهو حماية حقوق الانسان ومواجهة منتهكيها بجرمهم . والدليل على ذلك أن الأمور بدأت تزداد سوءا في السنوات الأخيرة واتسع نطاق الاعتداء على الحقوق بشكل لم يسبق له مثيل . ففي فلسطين المحتلة ورغم ادعاءات السلام تضم اسرائيل اليها رسميا المزيد من الأراضي العربية وهي تعلم أن ذلك اعتداء على حقوق الآخرين . وفي الضفة الغربية وقطاع غزة لا يمر يوم دون الاضافة لمأساة شعب فلسطين وفي جنوب لبنان وفي داخله لا تمر ساعة دون ازهاق روح أو تدمير مبني . وفي أفغانستان لا يزال المجاهدون المسلمون يضحون بأرواحهم في سبيل حقوقهم المسلوبة على أرضهم . وفي الاتحاد السوفيتي الله وحده يعلم ما يقاسيه المسلمون هناك . ومن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي معا تنطلق الاشارة دائما إذا كان المجال هو انتهاك لحقوق الانسان في أي بقعة من بقاع العالم .

إذن فما هو السبب في عدم جدوى هذه المواثيق ؟ هل القصور في نصوصها ؟ أم القصور في إلزامها ؟ هل القصور في تطبيقها ؟ أم هو قصور شامل في كل ذلك ؟ . في الحقيقة ان الصورة القاتمة التي

تسود العالم الآن من إنتهاكات لحقوق الانسان ، ما هي إلا مرض أصاب البشرية وأصبح داء عضالا . والمريض لا يستطيع أن يعالج نفسه . خاصة إذا كانت أفكاره بدائية عن الطب ، وإذا كان المرض قد تمكن من جميع أجزاء جسمه . لذلك فلابد من أن يلجأ المريض الى صانعه ـ سبحانه وتعالى ـ فهو العليم بدائه والخبير بدوائه . هو الذي خلق الانسان ويعلم ما توسوس به نفسه . أما إذا تركنا المريض وشأنه يحاول تطبيب نفسه كما هو حادث الآن فإن المرض سيستمر وينتشر ويكون عقاب المريض هو الموت . لأنه لم يلجأ الى الطبيب الذي إذا سأل عنه قريب . سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا .

وطالما أن المواثيق الدولية والمعاهدات قد وضعها بشر فإنها ستحمل صفات البشر من عدم الكمال وعدم الاحاطة ، بالاضافة إلى الاتجاهات الفكرية والاجتماعية والانتماءات الدولية للاشخاص القائمين على وضع هذه المواثيق . لذلك فإن النتيجة لن تخلو من أحد أمرين أو كلا الأمرين معا : الأول هو أن القصور يكون في نصوص هذه المواثيق ـ والثاني هو عدم صدق النية في تطبيقها . وما نشاهده الآن لا يجعلنا نهتم بالقصور في النصوص قدر الاهتمام بحالة عدم صدق النية في التطبيق . لأنه حتي هذه النصوص القاصرة لم تطبق أو لم يراد حتي الآن تطبيقها . أما إذا فرض أن هناك من يريد تطبيقها فإن قصورا آخر سيقف عقبة في سبيل ذلك ، وهو عدم وجود القوة اللازمة والمساعدة على التطبيق .

والدليل على عدم صدق النية في تطبيق نصوص المواثيق المتعلقة

بحقوق الانسان ان جميع الدول المنتهكة لهذه الحقوق هي من الدول الموقعة على احترامها وحمايتها وهي دول شملتها المنظمة الدولية ـ التي من المفروض أنها ما قامت إلا لاسعاد الانسان ـ في عضويتها . وليس هناك أسخف من أن تصدر الأمم المتحدة القرار تلو الآخر ويضرب به الأعضاء عرض الحائط ولا ينفذ منه شيء . ولا يمكن أن تكون هناك أوضاعا مقلوبة أكثر من أن يبطل رأي الفرد ما يجمع عليه الآخرين ولا يستطيع المجموع أن يتخذ قرارا لرفع ظلم أو لنصرة حق إذا اعترض على ذلك فرد واحد صاحب قوة . أليس هذا هو الواقع المتمثل فيما يسمونه بحق الفيتو ؟ أليس هو حق لفرض الظلم واجازة الاعتداء على الحقوق دون رادع ؟ أليس هذا هو منطق الحق للقوة الذي ساد شريعة الغاب ؟ إذن فالعامل المتحكم الآن في عملية تطبيق النصوص المتعلقة بحقوق الانسان هو عامل (الالزام) أو القوة اللازمة للتطبيق . فهذه القوة الملزمة غير موجودة وهذا بعكس النصوص المتعلقة بحقوق الانسان والتي وردت بالقرآن الكريم فهي نصوص جامعة مانعة جاءت من عند حكيم خبير ، يسبق العمل بها الايمان بموحيها سبحانه وتعالى ومبلغها عليه الصلاة والسلام . إيمان يجعل الحارس على تطبيق هذه النصوص هو حارس يقظ موجود داخل كل انسان وهو الخوف من الله . وعبادته كأننا نراه في كل عمل نقدم عليه . فحقوق الانسان في الاسلام هي أوامر من الله واجبة التنفيذ على الكبير والصغير وعلى الأمير والخفير . ليس فيها مجال للمجاملة أو للمخادعة وهي نصوص وأحكام تشريعية وليست مجرد توصيات حضرية . ومن أوجه القصور

الأخرى في المواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الانسان أن نصوصها قابلة للتعديل والتبديل والحذف والاضافة طبقاً لأهواء القائمين على وضعها ومصالحهم المتغيرة . وهذا غير موجود في الشريعة الاسلامية ولا يمكن أن يوجد في أى وقت كان . لأنها شريعة كاملة ونعمة أتمها الله ورضيها لعباده دينا ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** ﴾[١] ولا يستطيع أحد أن يمسها بسوء لأن حافظها هو الله ﴿ **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** ﴾[٢] وهى موجودة في كتاب ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه** ﴾[٣] ولا مجال فيها لاضافة أو تعديل لأنها من عند الله الذى خلق الانسان وعلم ما يصلحه وما يفسده ، وأراد أن يكون خليفته في الأرض . الله الذى أحاط بكل شيء علما ، ومن علمه سبحانه وتعالى إحاطته التامة بالانسان وبكل ما يحيط به وبكل ما يحتاجه وبكل ما فعله وسيفعله إلى يوم الدين .

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن ما يحدث في العالم الآن من كوارث ومصائب في أمور الدين والدنيا ما هى إلاّ نتاج تخطيط خبيث من اليهود . ونظرة واحدة إلى القليل مما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون تثبت ذلك . وهى تمثل إعترافات بجرائمهم ضد البشرية كلها .

ففي مجال السياسة لا تتفق مع الأخلاق . وأن الغاية تبرر

(١) سورة المائدة ، آية رقم ٣
(٢) سورة الحجر ، آية رقم ٩
(٣) سورة فصلت ، آية رقم ٤٢

الوسيلة ، ويقولون : علينا أن لا نلتفت إلى ما هو أخلاقي وما هو خير بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد . ان خير النتائج في حكم العالم ما ينتزع بالارهاب لا بالمناقشات الأكاديمية ويقولون : بغير الاستبداد لا يمكن أن تكون الحضارة ، والاعدام ضرورة تولد الطاعة العمياء . وحينما نستحوذ على السلطة يجب أن نمحق كلمة الحرية من معجم الانسانية .

وفي مجال الاقتصاد والاقتصاد السياسي يقولون : إن فائدتنا نحن في ذبول الأميين وضعفهم . وقوتنا في أن يبقى العامل في فقر ومرض دائمين . لأننا بذلك نستبقيه عبدنا لارادتنا إذ لن يجد قوة ولا عزماً للوقوف ضدنا . يجب أن نعلم كيف نصادر الأموال بلا أدني تردد إذا كان هذا العمل يمكنن من السيادة والقوة ويجب أن نحصل على إحتكار مطلق للصناعة والتجارة وأن نحصل من التجار على أكبر ربح ليظلم التجار الجماهير ويثيروهم على الحكومات . وفي المجال الاجتماعي يقولون : لقد بذرنا الخلاف بين الأفراد كما بذرناه بين الأمم . ونشرنا التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً ، فلم يعد من الممكن أن يلتقي الأفراد ، ولا أن تلتقي الأمم . لقد خدعنا الجيل الناشيء من الأميين ، وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادىء ونظريات ، معروف لدينا زيفها التام . ويقولون سنلهي الجماهير بأنواع شتي من الملاهي والألعاب لملء الفراغ ، وسندعو الناس للدخول في مباريات شتي في كل أنواع المشروعات كالفن وما إليها .

وفي مجال الدين يقولون : حينما نمكن لأنفسنا ونكون سادة

الأرض لن نسمح بقيام أى دين غير ديننا ، وسنكون قد حطمنا كل عقائد الأديان الأخرى ، وسيفتح فلا سفتنا كل مساوىء الديانات الأممية وقد وجدوا سبيلهم لتحقيق كل ما سبق وأكثر. ففي بروتوكولاتهم أيضاً يقولون : إذا استطعنا أن نصل إلى إقامة عصر جمهورى فسيمكننا أن نضع بدل الملك المقدس ناطوراً في شخص رئيس لهذه الجمهورية ، ونختاره من الدهماء من بين مخلوقاتنا وعبيدنا وأمثال هؤلاء يختارون ممن تكون صحائفهم السابقة مسودة بفضيحة أو بصفة أخرى مشينة ، وأن رئيسا من هذا النوع سيكون منفذاً لأغراضنا لأنه سيخشي التشهير ، وسيبقي خاضعاً لسلطان الخوف الذى يمتلك دائماً الرجل الذى وصل إلى السلطة والذى يتلهف على أن يستبقي امتيازاته وأمجاده مرتبطة بمركزه الرفيع . ويبدو أنهم قد حققوا بعض النجاحات بمكرهم وخبثهم فنحن نرى من رؤساء الدول وأصحاب المناصب الرفيعة من يخضعون للسياسات اليهودية الصهيونية التي تهدر كرامة الانسان وحقوقه . هكذا وصل الحد باليهود الصهاينة ، يعبثون في الأرض فساداً ، لذلك فلا يتصور أن يدفعهم عن ذلك ميثاق أو معاهدة أو اتفاقية مهما كانت الجهة المسئولة عنه . ولا يوجد سلاح يمكن أن نواجه به هؤلاء اليهود ومن على شاكلتهم من شيوعيين وملحدين ومنتهكين لحقوق الانسان إلاّ الاسلام ، الاسلام الذى وعد الله أن يظهره على الدين كله ولو كره المشركون وأن وعد الله لحق ومن أصدق من الله قيلا ، فعلينا أن نسلم الوجه لله ونتبع ما جاءنا من بينات وهدى ونثق بنصر الله كما نصر الذين آمنوا من قبلنا . فالتاريخ

يحمل لنا الكثير مما يجب أن نتعظ به . فلم يكن هناك أعظم ولا أفضل من العصر الذى حكم فيه المسلمون بشرع الله ، ولو تمكن المسلمون من تحكيم الشريعة الاسلامية من جديد في بلادهم فسوف يعود هذا العصر بفضل الله . وهناك تجربة لتطبيق الشريعة الاسلامية في هذا العصر يمكن أن تكون نبت خير في هذه الصحراء الموحشة . هذه التجربة هى المطبقة الآن في المملكة العربية السعودية . وقد أوضح سمو وزير الداخلية السعودى في الكلمة التي ألقاها في الندوة الاسلامية العالمية الثامنة التي عقدت بمقر رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة في موسم الحج لعام **١٣٩٩** هـ أوضح النتائج الملموسة لتطبيق الشريعة الاسلامية في المملكة . وأثر ذلك في تحقيق الرخاء والأمن وحماية حقوق الانسان .

وأورد فيما يلى فقرات من هذه الكلمة لما فيها من دلالات مشجعة لمن لا يزال عندهم شك في أن الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان . فمن فقرات هذه الكلمة :

« أن أرقي دول العالم . في الحضارة والتقدم الصناعى والتعليم . لتفقد أعظم متطلبات المجتمع المعاصر الذى يتلهف على الأمن . ولكن بلادنا بفضل توفيق الله لنا . في تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية . حصلت على مافات دول العالم المتمدين » .

« إنني لا أتحدث عن أمور نظرية . ولكن أتحدث عن تجارب أعرفها . وواقع عشته وأعيشه وبحكم عملى في وزارة الداخلية . ومن واقع تجاربي الطويلة . أقول للعالم أجمع . أن الفلاح والأمن والسعادة والعزة . في ظل تطبيق الشريعة الاسلامية » .

« إنه لا غرابة في حصول الثمرات العظيمة بسبب تطبيق الشريعة . فهى شريعة أحكم الحاكمين . العالم بحاجات البشر واختلاف طبائعهم وتعدد مطالبهم وقد شرع لهم شريعة كاملة شاملة . فيها حل لكافة المشاكل التي وجدت في السابق والتي توجد إلى قيام الساعة . فلا تحتاج إلى زيادة ولا يعتريها نقص » .

« إننا قد قلنا مراراً لمن ناقشناه . أو بحثنا معه حول مكافحة الجريمة ومنع وقوعها . أن أنجح الوسائل لمعالجة منع الجرائم قبل وقوعها وبعده : أن يطبق المجتمع . نظام الاسلام ، وعقوباته الفرعية ... قلنا ذلك بعد تجربة طويلة ومقارنة متكررة . وكمشاهدة متعددة الأحوال في المجتمعات التي لا يطبق فيها شرع الله . ولا تعالج أمراضها بالعلاج الذى جاءت به شريعته سبحانه . »

« لقد رأينا بأنفسنا وسمع عنا العالم كيف أثمرت تطبيقاتنا لشريعة ربنا في أحلك الأحوال . وأحرج الظروف ثمرات باهرة . وعلاجاً للأمراض حاسماً . واختفاء لنوع الجريمة . بعد إيقاع العقوبة مباشرة » « إننا في هذه الظروف العصيبة في أغلب بلاد العالم . وفي هذا السيل الطافح من الجرائم نقول للعالم بأسره : من أراد الظل البارد والأمن الصحيح وتأمين مجتمعه من الفساد والاجرام . فليطبق أحكام شريعة الاسلام . إننا نقول لمن لا يريدون أن يصدقوا هذا الكلام جربوا ذلك بصدق . تعرفوا حقيقة الأمر . » .

والآن ما هى تلك الأحكام التي جاءت بها الشريعة الاسلامية

في ميدان حقوق الانسان ؟ والتي نتمني أن تسود العالم ويتعامل بها
الجميع ؟ . هذا ما ستتبينه إن شاء الله في الفصول القادمة .

الفصل الثالث

الحقوق بين الانسان وربه

١ ـ حقوق الانسان من عدل الله

٢ ـ حقوق الانسان من رحمة الله

٣ ـ حقوق الانسان من كرم الله

قال رب العالمين في كتابه العزيز: ﴿**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾[1] ومن بين آيات تكريم الله لبني آدم أن جعل لهذا المخلوق الضعيف، الظلوم، الجهول، القتور جعل له حقوقاً عليه سبحانه وتعالى.

وتكريم الله للانسان محوره العدل والرحمة والكرم. وكلها صفات من أسماء الله لا يمكن أن نستوعب مدلولاتها إلاّ ما شاء الله لنا ذلك. ولا يمكن لبشر كان أن يحصي ما كرم الله بني آدم نعمة من نعم الله. وقد قال رب العالمين: ﴿**وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها إنَّ الله لغفور رحيم**﴾[2]. وتكريم بني آدم واعطائه حقوقه لم يكن من ملك أو رئيس أو أمير. أعطى التكريم حماية لمركزه وسلطته، أو اعطاه تحت ضغط أو إرهاب أو ثورة. أو أعطاه تقرباً أو مناورة. إنما تكريم بني آدم جاء من عند ملك الملوك القهار، الجبار، المتكبر، الكبير المتعال القوى العزيز، لم يكرهه أو يجبره أحد ولن يستطيع. ولم يأمره أو يطلب منه أحد ذلك. فسبحان

---

(١) سورة الاسراء. آية رقم ٧٠

(٢) سورة النحل. آية رقم ١٨

العاطى الوهاب ، الغني عن العالمين ، سبحانه وتعالى عما يصفون .
ومن يتدبر كتاب الله سبحانه وتعالى ـ كما أمر ـ لا بد له من أن يقف عند بعض الآيات التي تفيض تكريماً للانسان ، فنعرف إلى أى حد كان تكريم الله لبني آدم ، لقد كان تكريماً نابعاً من عدل الله ورحمته وكرمه . أرسي به الله حقوقاً كثيرة لبني آدم . وسوف نستعرض بعض هذه الحقوق في الفقرات التالية :

فمن عدل الله أن جعل حقوقاً عليه سبحانه لكل نفس خلقها .
وجعل أيضاً حقوقاً يتميز بها المؤمن عن الكافر ويتميز بها المصلح عن المفسد . وكان ذلك قمة العدل الالهى بين البشر أجمعين .
فأما الحقوق التي جعلها الله سبحانه على نفسه لكل نفس خلقها فنذكر منها :

١ ـ أنه أعطى سبحانه وتعالى الحرية والارادة الكاملة لكل نفس لتختار بين الخير والشر بكافة أشكاله وأبعاده ـ وسوف نتناول تفصيل ذلك في الفصل الخاص بالنفس ـ ومن صفات النفس[١] أنها تهتدى أو تضل ، وتتزكى أو تتدنس ، فمنابع الخير والشر لديها ولديها فطرة إدراك الخير والشر ، ولديها الدوافع لفعل كل منهما .
فالنفس من صفاتها أنها عاملة كاسبة ، تعمل وتكسب أفعال الخير وأفعال الشر عن وعى كامل منها ، ولا تكون كذلك ما لم تكن الارادة الحرة من خصائصها ومن عناصرها » .
وهناك العديد من الآيات القرآنية الدالة على حق الحرية الذى

(١) الأخلاق الاسلامية ـ الاستاذ عبد الرحمن حبنكة

أعطاه الله للنفس لتّختار بكامل إرادتها بين أفعالها . فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ **فالهمها فجورها وتقواها** ﴾[1] ويقول أيضاً : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾[2] ويقول سبحانه : ﴿ **إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا** ﴾[3] . وحرية النفس لم يقصرها رب العزة على أمر دون آخر إنما جعلها مطلقة حتي في العقيدة واختيار الدين فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى** ﴾[4] ويقول أيضاً مستنكراً أن يكون رسوله مكرها لنفس على الايمان ، يقول سبحانه : ﴿ **أفأنت تكره الناس حتي يكونوا مؤمنين** ﴾[5] ويأمر رسوله بأن يقول : ﴿ **لكم دينكم ولى دين** ﴾[6] ويقول سبحانه وتعالى في آية صريحة وواضحة في إطلاق حرية الاختيار للانسان : ﴿ **وقل الحق من ربكم فمن شاء فاليؤمن ومن شاء فاليكفر** ﴾[7] إذن فالحق في الحرية كان من الحقوق الواضحة الجلية التي أعطاها الله لعباده . فهل هناك بعد ذلك من شك في أن الاسلام هو دين الحرية والكرامة ؟ .

وإذا كان حق الحرية قد أعطاه الله للانسان فهل يستطيع البشر أن يتصوروا أن ينتزعوا هذا الحق منه وهم مؤمنون ؟ وأى دين آخر

---

(١) سورة الشمس ، آية رقم ٨
(٢) سورة البلد ، آية رقم ١٠
(٣) سورة الانسان ، آية رقم ٣
(٤) سورة البقرة ، آية رقم ٢٥٦
(٥) سورة يونس ، آية رقم ٩٩
(٦) سورة الكافرون ، آية رقم ٦
(٧) سورة الكهف ، آية رقم ٢٩

وأى مذهب أو قانون يصون الحرية كما يصونها الاسلام[1] .

٢ ـ والنفس ـ كأى شيء خلقه الله ـ محدودة القدرة في العمل والتحمل والتأمل وغير ذلك . فالطاقة المطلقة والقوة المطلقة ليست صفة من صفات مخلوقات الله ، وبالتالى ليست صفة من صفات النفس الانسانية . ولذلك كان الحق الثاني الذى أعطاه الله للنفس أن لا يحملها سبحانه وتعالى فوق طاقتها ، ولا يحملها إلاّ وسعها . ولا يحملها إلاّ ما آتاها وهذا ولا شك من باب العدل الالهى المطلق . ورغم أنه قادر سبحانه على إذلال النفس وتسخيرها وتحميلها فوق طاقتها وتعذيبها واهلاككها إلاّ أنه سبحانه لم يشأ ذلك وإنما من فيض كرمه كانت هذه الآيات : ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** ﴾[2] ويطلب منا أن ندعوا هذا الدعاء : ﴿ **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا . ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** ﴾[3] ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلاّ ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا** ﴾[4] . والله لا يقبل من الانسان أن يحمل نفسه فوق طاقتها حتي ولو كان ذلك في عبادته سبحانه وتعالى فعن أنس رضي الله عنه قال : دخل النبي

---

(١) راجع الفصل السابع من هذا الكتاب
(٢) سورة البقرة . آية رقم ٢٨٦
(٣) سورة البقرة . آية رقم ٢٨٦
(٤) سورة الطلاق . آية رقم ٧

ﷺ المسجد فاذا حبل ممدود بين الساريتين ، فقال : « ما هذا الحبل؟ » قالوا : هذا حبل زينب فاذا افترت تعلقت به . فقال النبي ﷺ : « حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه فاذا افتر فاليرقد »[1]

إذن فعدم تحميل النفس فوق طاقتها هو سبيل حماية حقوق الجسد وحقوق الآخرين فضلاً عن أنه حق عام ممنوح من الله عز وجل للجميع .

٣ ـ ومن الحقوق أيضاً التي فرضها الله تعالى للنفس بعد أن أعطاها الارادة وحرية الاختيار ولم يحملها إلاّ وسعها ، إنه قطع سبحانه وتعالى على نفسه عهداً بأن لا يعذبها حتى يبعث رسولاً . فبعدل الله أصبح للانسان حقاً في الحماية من العذاب إذا لم يأتيه من الله رسولاً يبلغه ما يريده الله منه ، ويبين له كيف يكون خليفة لله في الأرض كما أمر الله سبحانه وتعالى . ومن الآيات الكثيرة الدالة على ذلك قوله تعالى : ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾[2] . وقال سبحانه : ﴿**وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا**﴾[3] . ويقول أيضاً : ﴿**إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعدهم ...**﴾ إلى أن قال في توضيح مهمة الرسل : ﴿**رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً**﴾[4] . وقد أثبت القرآن الكريم أن العذاب لم يقع

---

(١) متفق عليه
(٢) سورة الاسراء ، آية رقم ١٥
(٣) سورة القصص ، آية رقم ٥٩
(٤) سورة النساء ، آية رقم ١٦٥

على الكافرين إلاّ بعد أن جاءهم الرسول بالبينة . فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أو لم تأتيهم بينة ما في الصحف الأولى . ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى** ﴾[1] . ويقول رب العالمين أيضاً : ﴿ **ولو لا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين** ﴾[2] . هكذا يبين رب العالمين أن إرسال الرسل قد أبطل حجج الذين حق عليهم العذاب ولم يعد لهم الا أن يقولوا بما جاء في هذه الصورة الحية من صور الحوار في القرآن الكريم بين الكافرين وبين خزنة جهنم : ﴿ **وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير . إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور . تكاد تميز من الغيظ . كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلىٰ قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شيء إن أنتم إلاّ في ضلال كبير . وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير** ﴾[3] .

هذه هي صور ثلاثة من الحقوق التي جعى جعلها الله سبحانه وتعالى للنفس وكلها من منطلق العدل الالٰهي والتكريم الذى خص الله به بني آدم . أعطى لنفس الانسان الارادة الحرة وحق الاختيار . ولم يحملها فوق طاقتها ولم يعذبها حتي أرسل الرسل لتبين

---

(١) سورة طه ، آية رقم ١٣٤
(٢) سورة القصص ، آية رقم ٤٧
(٣) سورة الملك ، آية رقم ٦ ــ ١١

منهج الله وشريعته .

ولكن ماذا عن تكريم بني آدم من خلال العدل الالهى بين البشر أجمعين؟ ماذا عن النفس الأمارة بالسوء ؟ وماذا عن النفس اللوامة ؟ وماذا عن النفس المطمأنة ؟ ماذا عن المؤمنين والكافرين ؟ ماذا عن المصلحين والمفسدين في الأرض ؟ هل من العدل المساواة بين كل هؤلاء ؟ . إن القرآن الكريم يحتوى على الكثير من الآيات التي تبين حقوق المؤمنين والمصلحين ، وتبين من منطلق العدل الالهى التفرقة اللازمة بين المحسن والمسيء . فالمؤمنين جعل الله لهم حق عليه أن ينصرهم وينجيهم ويدافع عنهم فيقول عز من قائل : ﴿ **ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾[1] ويقول أيضاً : ﴿ **ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننجى المؤمنين** ﴾[2] ويقول سبحانه : ﴿ **إن الله يدافع عن الذين آمنوا . إن الله لا يحب كل خوان كفور** ﴾[3] . وعن المؤمنين الذين يجاهدون في سبيل الله يقول رب العالمين ﴿ .. **ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله . ولا يطئون موطأ يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلاّ كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾[4] . وبالاضافة إلى أن الله ينصر

---

(١) سورة الروم ـ آية رقم ٤٧
(٢) سورة يونس ـ آية رقم ١٠٣
(٣) سورة الحج ـ آية رقم ٣٨
(٤) سورة التوبة ـ آية رقم ١٢٠

المؤمنين ويدافع عنهم وينجيهم ولا يضيع أجرهم . بالاضافة إلى كل ذلك فانه سبحانه لم يجعل للشيطان عليهم سبيلا فيقول عز وجل ﴿ **فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون** ﴾[1] . والعدل الالٰهي لا ينتهي عند حد فهو مصاحب للانسان حتي نهاية حياته ﴿**كل نفس ذائقة الموت . وانما توفون أجوركم يوم القيامة** ﴾[2] . هكذا يعدل رب العزة بين جميع الأنفس فجميعها ستذوق الموت . وقد ذاقت نفس الرسول الكريم محمد ﷺ الموت وهو حبيب الله وأفضل وخاتم رسله . وما ذلك إلاّ عدل من رب العالمين . ثم يأتي البعث وهو الميقات الذى حدده رب العزة للحكم والعدل بين البشر أجمعين . وقد جعلها الله حقاً لأن في هذا اليوم يأخذ كل من له حق حقه . فيقول سبحانه ﴿ **إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون** ﴾[3] وفي يوم القيامة تأتي كل نفس ومعها كتابها ومعها سائق وشهيد وتجد كل نفس ما عملت محضراً أحصاه الله في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة وتبدأ تجادل كل نفس عن نفسها . إنها محكمة قاضيها رب العالمين سبحانه وتعالى الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور في

---

(١) سورة النحل ، آية رقم ١٠٠
(٢) سورة آل عمران ، آية رقم ١٨٥
(٣) سورة يونس ، آية رقم ٤

هذا اليوم يوم البعث ـ يوم إتمام العدل الالهى بين جميع مخلوقات الله يحكم أحكم الحاكمين بين البشر أجمعين ﴿ **ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾[1] ويقول رب العالمين سبحانه ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾[2] وبعد الحساب نجد الصورتين المختلفتين للنتيجة الحتمية للعدل الالهى ﴿ **وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا ...** ﴾[3] ﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً** ﴾ .[4] وهذه هي خاتمة العدل الالهى بين العباد لا تجد فيها فرق بين غني وفقير أو أبيض أو أسود وإنما هي التقوى والعمل الصالح .

كل هذه لقطات خاطفة من آيات الله تظهر أن العدل الالهى شمل الانسان شمولاً كاملا . رغم ظلم الانسان وجهله . ولكن هل العدل فقط هو مصدر الحقوق التي منحها الله للانسان ؟ الاجابة هى النفي قطعاً . فلو أخذنا الله بعدله فقط هلكنا لأننا ظالمين لأنفسنا ولغيرنا . ومن عدل الله أن يأخذ الظالم جزاءه العادل على ظلمه . لذلك كان لا بد لنا من رحمة الله كمصدر آخر من مصادر الحقوق الربانية التي أعطاها الرحمن الرحيم للانسان . ويؤكد هذا حديث رسول الله ﷺ عن أبي هريرة أن النبي قال : « ما من أحد يدخله عمله الجنة » . فقيل ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا

(١) سورة البقرة . آية رقم ٢٨١
(٢) سورة الزلزلة . آية رقم ٧ ٨
(٣) سورة الزمر . آية رقم ٧١
(٤) سورة الزمر . آية رقم ٧٣

أنا . الا أن يتغمدني ربي برحمته » .[1] وعنه ﷺ أيضاً عن جابر قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار ولا أنا إلاّ برحمة من الله »[2] ورحمة الله وسعت كل شيء ويقول الحبيب المصطفي ﷺ في حديثه الشريف . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « جعل الله الرحمة مائة جزء . فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزء واحدا . فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق . حتي ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه »[3] . وعن أبي هريرة أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ لما قضي الله الخلق . كتب في كتابه على نفسه . فهو موضوع عنده : أن رحمتي تغلب غضبي »[4]

ومن أول أبواب الرحمة قبول التوبة . وهذا حق من الحقوق التي أعطاها الله لعباده من باب رحمته . فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وإن جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنّه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنّه غفور رحيم** ﴾[5] . ومن هذه الآية الكريمة يظهر أن الله سبحانه وتعالى ألزم نفسه الرحمة تفضلاً منه واحساناً . فمن عمل خطيئة بغير قصد ثم تاب من بعد ذلك الذنب وأصلح عمله فان الله يغفر له . والاصلاح هنا يمكن أن يعود على ما أفسده بفعله السيئ

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح مسلم
(٥) سورة الأنعام . آية رقم ٥٤

أولا ثم يعود على ما سوف يأتيه مستقبلا من أعمال صالحة . وفي جميع الآيات التي ذكرت فيها التوبة ـ تقريبا ـ نجد أن الله سبحانه وتعلى يقرنها بالعمل الصالح أو يقرنها بالايمان الذي هو مفتاح كل عمل صالح وذلك حتي يعوض الانسان الذى أخطأ ما فاته ويعطى كل ذى حق حقه فيقول رب العالمين : ﴿ **فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إنَّ الله غفور رحيم** ﴾[1] ويقول أيضاً : ﴿ **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى** ﴾[2] ويقول سبحانه : ﴿ **والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إنَّ ربك من بعدها لغفور رحيم** ﴾[3] . ومن حكمة الله تعالى ورحمته بخلقه أن فتح باب التوبة لهم حتي لا ييأس الانسان ويستمر على خطئه وضلاله واعتدائه على حقوق الآخرين وأن الله يشجع على التوبة ويفرح بعبده التائب وليس أدل على ذلك من عفوه سبحانه وتعالى وكرمه والذى يشعر به كل من يقرأ ـ هذه الآية ﴿ **الا من تاب وآمن وعمل صالحاً فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما** ﴾[4] فتبديل السيئة إلى حسنة هو أقوى الحوافز التي وضعها رب العزة للمحافظة على الحقوق . وقد طلب الرسول ﷺ منا التوبة فعن الأعز الأغر بن يسار رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فاني أتوب في اليوم مائة مرة »[5] وقال رب

---

(١) سورة المائدة . آية رقم ٣٩
(٢) سورة طه . آية رقم ٨٢
(٣) سورة الاعراف . آية رقم ١٥٣
(٤) سورة الفرقان . آية رقم ٧٠
(٥) صحيح مسلم

العزة : ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون** ﴾[1] وقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحًا** ﴾[2] وليست هناك فرحة تعدل فرحة رب العالمين بالتائب في حديث أبي هريرة قال أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدى بي ـ وأنا معه حيث يذكرني والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة . ومن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً . ومن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإذا أقبل إليّ يمشي أقبلت إليه أهرول »[3] ويجعل الله ثواباً عظيماً للشاب التائب . لأنه يتوب إلى الله مبكراً في الحديث المشهور عن النبي ﷺ عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله ـ ذكر منهم الشاب التائب . فهنيئاً لمن تاب في صغره وما ثوابه هذا العظيم إلاّ أنه في شبابه لم يمنعه عن المعصية المرض أو غير ذلك وإنما منعته مخافة الله رب العالمين ثم أن هناك الفرصة كافية وسانحة لاصلاح ما فسد ورد الحقوق فما من شك في أن باب التوبة المفتوح يعطى الفرصة دائماً لتصحيح الأخطاء التي وقعت في حق الآخرين ـ ولكن هل باب التوبة مفتوح إلى نهاية عمر الانسان ؟ الاجابة الطبيعية هى بالنفي قطعاً . وإلا لأجل المسيء توبته إلى أن يصبح عاجزاً تماماً عن المعصية وعاجزاً في نفس الوقت عن العمل الصالح الذى يفعله مع التوبة . ولذلك يقول رب العالمين ﴿ **وليست التوبة للذين يعملون**

---

(١) سورة النور ـ آية رقم ٣١
(٢) سورة التحريم ـ آية رقم ٨
(٣) صحيح مسلم

السيئات حتي إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليما ﴾[1] .

ومن الأمثلة التاريخية على ذلك ما أورده القرآن الكريم عن فرعون الذى عصي ربه وتكبر وطغى وبغى وقال أنا ربكم الأعلى . حتي جاء أمر الله وأدركه الغرق فآمن بالله . ولكن هذا وقت لا ينفع فيه الايمان لأنه لن يصلح ما فسد . ولن يرد حقا . ولن يمنع معصية ستقع . إنها النهاية التي ليس بعدها إلاّ الحساب فيقول رب العزة مصوراً ذلك في القرآن الكريم ﴿ **حتي إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلاّ الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين** ﴾[2] فكان جواب رب العالمين عن مثل هذا الايمان : ﴿ **الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين** ﴾[3] كذلك فان التوبة بعد ظهور آيات ربنا الكبرى الدالة على قيام الساعة وطلوع الشمس من المغرب توبة لا تجدى . لأنها توبة وإيمان رغم أنف تائبها ولن يستطيع بعدها أن يصلح ما أفسد . ويدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال : قال رسول الله ﷺ « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه »[4] .

وإذا قبل الله سبحانه وتعالى توبة العبد فان جزاءها المغفرة بمشيئة الله . والمغفرة هى باب آخر من أبواب رحمة الله ﴿ **وإن ربك**

(١) سورة لنساء . آية رقم ١٨
(٢) سورة يونس . آية رقم ٩٠
(٣) سورة يونس . آية رقم ٩١
(٤) صحيح مسلم

لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإنَّ ربك لشديد العقاب ﴾[1] وللّه يغفر لمن استغفر فيقول عز وجل ﴿ **ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما ﴾**[2] والله يغفر لمن بدل حسن بعد سوء . لقوله عز وجل ﴿ **الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم ﴾**[3] ويأبي الله رب العالمين الا أن يكرم الانسان من كرمه سبحانه ويعطيه حقوقاً أخرى فبعد أن أعطاه بعد له حقوقاً كثيرة . وأعطاه برحمته جل شأنه حقوقاً أكثر سنرى الآن من بعض آياته أنه بكرمه سبحانه وتعالى قد استكمل الانسان جميع حقوقه بشكل جامع مانع . لا يحتاج إلى إضافة ولا إلى حذف ولا إلى تعديل ولا إلى تبديل . فبعد باب العدل والرحمة يأتي باب الكرم وباب الكرم عند الله باب واسع فهو أكرم الأكرمين . فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾**[4] ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **من عمل سيئة فلا يجزى إلاّ مثلها . ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثي وهو مؤمن فأُولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾**[5] فما أوضح ولا أعظم من كرم الله الذى لا يجازى عن السيئة إلاّ بمثلها . ولكنه يضاعف الحسنات ويرزق بغير حساب .

والرزق حق من الحقوق التي فرضها رب العزة لعباده من باب

---

(١) سورة الرعد . آية رقم ٦
(٢) سورة النساء . آية رقم ١١٠
(٣) سورة النمل . آية رقم ١١
(٤) سورة النساء . آية رقم ٤٠
(٥) سورة غافر . آية رقم ٤٠

كرمه . وكان من كرم الله ورحمته وعدله أن جعل الرزق بيده سبحانه وتعالى ﴿**وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون**﴾[1] ويقول : ﴿**وما من دابة في الأرض إلاّ على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين**﴾[2] ويقول أيضاً مستنكراً : ﴿**أمّنْ هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور**﴾[3] وقد أراد رب العزة الا يضع الرزق بيد الانسان لأن الله يصف الانسان في القرآن الكريم بقوله : ﴿**قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذن لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا**﴾[4] . كذلك لم يشأ عز وجل أن يضع الرزق بيد غيره سبحانه حتي لا نعبد إلاّ هو ولا تكون لنا حجة في اللجوء إلى غير الله . ولا يصبح الفقير ضعيفاً أمام الغني ويهضم الأخير حقه . إنها حكمة لا يعلمها الله ويرسخها في عقولنا وقلوبنا بآيات بينات وقرآن يتلى فيقول سبحانه : ﴿**أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون**﴾[5] ويقول : ﴿**أفرأيتم الماء الذى تشربون ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون**﴾[6] ثم يجيب رب العالمين على ذلك بما يؤكد لنا أن الرزق بيده وحده فيقول ـ عن الرزق الذى يخرجه لنا من الأرض ـ عن الزرع الذى يزرعه سبحانه ونحرثه نحن

---

(١) سورة المائدة . آية رقم ٨٨
(٢) سورة هود . آية رقم ٦
(٣) سورة الملك . آية رقم ٢١
(٤) سورة الاسراء . آية رقم ١٠٠
(٥) سورة الواقعة . آية رقم ٦٣ ٦٤
(٦) سورة الواقعة . آية رقم ٦٨ ٦٩

﴿لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون إنا لمغرمون . بل نحن محرومون﴾[1] ولذلك يعلمنا الرسول ﷺ ويقول : « لا يقولن أحدكم زرعت ولكن قل حرثت »[2] ويقول جل شأنه عن الرزق الذى ينزل لنا من السماء ﴿لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون﴾[3] هذا الرزق الذى بين لنا عز وجل أنه بيده وحده وأنه قادر أن يمنعه عنا جعله سبحانه حقاً عليه لعباده فيقول : ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً﴾[4] أى أنه سبحانه قد جعل لكل إنسان خلقه حقاً في الرزق . سواء كان هذا الانسان مؤمناً أم كافراً . خيراً أم شريراً . ولننظر معاً إلى هذا التعليم الرباني الجليل عندما دعا خليل الله إبراهيم ربه بأن تكون الامامة من بعده في ذريته . فان الله عز وجل حرم منها الظالمين حيث يقول : ﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين﴾[5] أما عندما دعا الخليل إبراهيم ربه بقصر الرزق على من آمن به فان الله أعطاه أيضاً لمن كفر . فيقول عز وجل : ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وأرزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾[6] إذا فرزق الله لخلقه ليس قاصراً على

---

(١) سورة الواقعة . آية رقم ٦٥/٦٧
(٢) صحيح البخاري
(٣) سورة الواقعة . آية رقم ٧٠
(٤) سورة الاسراء . آية رقم ٢٠
(٥) سورة البقرة . آية رقم ١٢٤
(٦) سورة البقرة . آية رقم ١٢٦

من آمن بالله وبالرسل وباليوم الآخر وإنما هو للجميع من باب كرمه سبحانه وحسب مشيئته وتقديره . للمؤمن وللكافر ثم بعد أن تنتهى هذه الحياة الدنيا يأتي الحساب عن الايمان والعبادة وعن الرزق أيضاً . ولو كان عطاء الله قاصراً على المؤمنين فقط إذن لأعطى رسله وأنبيائه أفضل مما أعطى العالمين في هذه الدنيا ولكنهم كانوا أكثر الناس إبتلاء لحكمة يعلمها أرحم الراحمين الذى يرزق خير خلقه من الأنبياء المرسلين كما يرزق شر خلقه من العصاة والكافرين فمن يقدر على هذا ويصبر عليه الا رب العالمين . في حديث عن عبدالله بن قيس قال . قال رسول الله ﷺ : « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله تعالى . إنهم يجعلون له ندا ويجعلون له ولدا . وهو مع ذلك يرزقهم ويعافيهم يعطيهم »[1] .

(١) صحيح مسلم .



الفصل الرابع
الحقوق المتعلقة بالنفس

١ ـ الاسلام لا يحمل النفس فوق طاقتها

٢ ـ الاسلام يحفظ النفس من القتل

٣ ـ الاسلام يأمر بحفظ النفس من الهلكة والمرض

٤ ـ الزنا اعتداء على النفس يحرمه الاسلام

يقول الله تبارك وتعالى : **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة . وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾**[1] فالله سبحانه وتعالى خلق الأنفس وأعطاها الحياة وأعطاها صفات عديدة منها[2] « أنها تهوى فلها أهواء ، وتشتهى فلها شهوات . وتشعر بالمشقات ، وتصبر أو تضجر وتخاف أو لا تخاف ، وتخشي أو لا تخشي . وتجود أو تبخل وتشح وتحسد أو لا تحسد . وترضي أو لا ترضي . وتقنع أو تطمع . وتدرك أو لا تدرك . وتعلم أو تجهل وتشك وتظن وتستيقن . ويمسها الحرج والضيق أو تنشرح . وتفرح أو تحزن . وتتكبر أو تتواضع وتسر أو تتحسر . وتتأثر بالقول البليغ أو لا تتأثر . إلى غير ذلك من صفات هى من قبيل المشاعر الوجدانية والادراكية » .

والنفس من صفاتها : أنها تهتدى أو تضل . وتتزكى أو تتدنس . فمنابع الخير والشر لديها ولديها فطرة ادراك الخير والشر ، ولديها الدوافع لفعل كل منهما » .

« والنفس من صفاتها : أنها عاملة كاسبة . تعمل وتكسب

---

(١) سورة النساء . آية رقم ١

(٢) الاخلاق الاسلامية ـ الاستاذ عبدالرحمن حنبكة

أفعال الخير وأفعال الشر عن وعي كامل منها ـ ولا تكون كذلك ما لم تكن الارادة الحرة من خصائصها ـ ومن عناصرها » .

وانطلاقاً من كل هذه الصفات وغيرها كانت النفس مسئولة ، ومن الممكن أن تكون نفساً مطمئنة أو نفساً لوامة أو نفساً أمارة بالسوء . وطالما أن الله هو الذى منح النفس الحياة والارادة الحرة فانه هو وحده الذى له حق سلب هذه الحياة منها وقت يشاء . ولذلك فهو وحده سبحانه الذى يذيقها الموت حتي ولو قتلت . وهو وحده أيضاً الذى يحاسبها ويجازيها بما عملت ثواباً أو عقاباً بعد أن ألهمها فجورها وتقواها .

والنفس تناولتها العديد من الآيات وبينت أنها كما سبق القول قد تكون نفساً لوامة أو أمارة بالسوء أو مطمئنة . والله يعدل بين الأنفس يوم القيامة فيقول : ﴿**واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**﴾[1] إذن فلكل نفس منزلة يوم القيامة بما اكتسبت في الحياة الدنيا . ورغم ذلك فان الله قد جعل للنفس مهما كانت صفاتها ـ جعل لها حقاً يتمثل في عدم الاعتداء عليها .

والاعتداء على النفس قد يأخذ صوراً متعددة ولكنها جميعها حرمها الله ، ونص على جزاء رادع لمن يعتدى على النفس . ويتدرج هذا الجزاء باختلاف صورة الاعتداء وظروفه .

وسوف نتناول بعض صور الاعتداء على النفس لنتبين القدر

---

(١) سورة البقرة ـ آية رقم ٢٨١

الذى أخذه حق حماية النفس والمحافظة عليها من إهتمام في الشريعة الاسلامية .

وأول صور الاعتداء على النفس هو تحميلها فوق طاقتها . فلا شك أن في ذلك ظلم النفس وأرهاق لها . ومن عظمة الاسلام ما نجده في آيات عديدة من القرآن الكريم التي تبين أن خالق النفس هو سبحانه أول من ألزم نفسه تفضلاً ورحمة بأن لا يحمل نفوس العباد من لا طاقة لهم به فيقول عز وجل : ﴿**لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**﴾[١] . وفي هذا من باب أولى تكليف للعباد بأن لا يحملوا النفس أكثر من طاقتها . ولذلك نجد أن الرسول الكريم محمد ﷺ يشرح هذا الأمر في أكثر من حديث . فعن أنس إبن مالك رضي الله عنه قال : جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ . فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فاني أصلى الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني أخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني »[٢] . إذن فتحميل النفس ما لا تطيق ليس من سنة نبينا عليه الصلاة والسلام . وعن عبدالله بن عمر بن العاص أن رسول الله

---

(١) سورة البقرة . آية رقم ٢٨٦

(٢) صحيح البخاري

صلى الله عليه وسلم بلغه أن عبدالله حلف أن يصوم النهار ويقوم الليل ما عاش . فقال له : « صم وأفطر . ونم وقم . فان لجسدك عليك حقاً . وأن لعينك عليك حقاً وأن لزوجك عليك حقاً . وأن لزورك عليك حقاً »[1] وفي رواية وأن لولدك عليك حقا .

ومن الصور الأخرى للاعتداء على النفس « القتل » . وهذه أبشع صور الاعتداء على النفس . لذلك فقد كانت محور إهتمام واسع في الشريعة الاسلامية . وقد جاء الأمر بعدم القتل صريحاً في عدد من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة . فيقول عز وجل : ﴿**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلاّ بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً**﴾[2] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ عندما سئل عن الكبائر : « الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وشهادة الزور »[3] وهى كلها إعتداءات على النفس . فالشرك وعقوق الوالدين وشهادة الزور ظلم للنفس أما القتل فيكفينا لتصور بشاعته وقسوته وأثره قول الله عز وجل : ﴿**إنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً**»﴾[4] وعن عبدالله بن مسعود قال : قال

---

(١) صحيح البخاري
(٢) سورة الاسراء . آية رقم ٣٣
(٣) صحيح مسلم
(٤) سورة المائدة . آية رقم ٣٢

رسول الله ﷺ « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »[١] ويقول ﷺ أيضاً ليدفعنا إلى الابتعاد عن الاقتتال « إذا إلتقي المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار . قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول . قال « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه »[٢] . وفي نفس المعني نرى المقداد بن عمرو يقول : يا رسول الله إن لقيت كافراً فاقتتلنا فضرب يدى بالسيف فقطعها ثم لاذ بشجرة وقال أسلمت لله أأقتله بعد أن قالها ؟ قال رسول الله ﷺ « لا تقتله » قال رسول الله فانه طرح احدى يدى ثم قال بعد ما قطعها . أأقتله ؟ « قال لا تقتله . فان قتلته فانه بمنزلتك قبل أن تقتله وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته الذى قال »[٣] .

وحتي قتال العدو لا يريد رسول الله ﷺ أن يجعله أمنية للمسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن النبي ﷺ قال : « لا تمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموه فاصبروا . [٤] ثم يوضح الرسول ﷺ ما يجهله البعض من أن الشدة والقوة ليست بالعنف وإنما بتمالك النفس عند الغضب . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب »[٥] . ويصل التحذير من جريمة القتل إلى أن الشروع في الاعتداء على النفس يستوجب لعنة الملائكة . فعن أبي هريرة

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح البخاري
(٣) صحيح البخاري
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح مسلم

رضي الله عنه قال : قال أبو القاسم ﷺ : « من أشار إلى أخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه وإن كان أخاه لأبيه وأمه . »[١]

فأى شىء يدفع إلى عدم القتل أكثر من تلك التوجيهات النبوية الشريفة ؟ . إنها توجيهات لم ولن يصل البشر إلى أفضل منها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . وقتل النفس يقع تحريمه في الاسلام على القاتل أى ما كان حتي ولو قتل الانسان نفسه وهو ما يسمى اليوم « بالانتحار » . يقول ﷺ : « الذى يخنق نفسه يخنقها في النار والذى يطعنها يطعنها في النار »[٢] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً . ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً »[٣] وعن جابر ابن سمرة قال : أتي النبي ﷺ برجل قتل نفسه بمشقاص فلم يصلى عليه »[٤] .

ويشرع ﷺ لأمته ما يحمى النفس من الأذى والقتل فيقول : « من حمل علينا السلاح فليس منا »[٥] ويقول ﷺ : « إذا مر أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها أو قال فليقبض بكفه أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشىء »[٦] .

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح البخاري
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح البخاري
(٦) صحيح البخاري

هذا هو الكمال الذى جاءت به الشريعة الاسلامية للمحافظة على نفس الانسان من القتل. ولكن ماذا لو تم الاعتداء على النفس بالقتل فعلاً؟ هنا يفرق الاسلام بين القتل الخطأ والقتل العمد فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ **ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلاّ أن يصدقوا. فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة. وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً** ﴾[1] ودون الدخول في تفاصيل هذه الآية الكريمة ننظر إلى جزاء تحرير الرقبة فنجده من أكمل صور العدالة في الاسلام حيث تعطى حقوق كاملة لانسان مؤمن مقابل فقد حقوق كاملة عن طريق الخطأ لانسان آخر. هذا مع التعويض اللازم لأهل المقتول. ويتضح من هذه الآية أيضاً أن الاسلام لم يترك العقوبة تمر دون أن يحقق منها المنفعة العامة للمسلمين. فالجزاء ليس عقوبة فقط إنما هو وسيلة لتحقيق عدالة شاملة بين أفراد المجتمع. فهو جزاء يحقق التعويض عن الحقوق التي فقدت بوفاة شخص عن طريق الخطأ ليس فقط تعويض لأهل القتيل وإنما أيضاً تعويض للمجتمع ككل وذلك عن طريق إستكمال حقوق شخص آخر وإعطاءه الحرية الكاملة دون استعباد من أحد بعد أن كان مملوكاً ومسلوب الحرية.

هذا عن القتل الخطأ أما إذا تعرضت النفس للقتل العمد فان

---

(١) سورة النساء. آية رقم ٩٢

الجزاء لا يكتفي فيه بتعويض المجتمع أو أهل القتيل لأن الأمر هنا لم يكن خطأً يراد تصحيحه والتعويض عنه إنما الأمر أصبح فيه خطراً يهدد المجتمع بصفة عامة وبطريق العمد والقصد . لذلك فان العقوبة هنا تصل إلى غضب الله ولعنته أولاً فيقول عز وجل : ﴿**ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما**»[1] . هذا جزاءه في الآخرة أما جزاءه في الدنيا فهو القتل . وهذا القصاص العادل الذى أمر به رب العزة . يوقع على القاتل أياً كان ، فلا فرق بين نفس غني ونفس فقير ، ونفس حاكم ونفس أجير ، ونفس كبير ونفس صغير . فكلها عند الله سواء . وقد عرض رب العالمين أحكام القصاص في آيات كثيرة منها قوله سبحانه وتعالى : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له﴾[2] ويقول أيضاً : ﴿**يآ أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى**﴾[3] .

وإن كان القصاص من القاتل بالقتل إلاّ أن الله يرشدنا إلى عدم الاسراف في القتل . وعفو أهل القتيل عن القاتل لن يكون بطبيعة الحال إلا إذا كان للقاتل عذراً ما التمسه له أهل القتيل . ولا بد أنه عذر قوياً . لذلك فهى رخصة تركت بلا شك في يد لن يفلت منها

(١) سورة النساء ، آية رقم ٩٣
(٢) سورة المائدة ، آية رقم ٤٥
(٣) سورة البقرة ، آية رقم ١٧٨

المجرم إلاّ إذا كان قد ندم وتاب فعلاً وبدا منه أنه لن يكون خطراً على أحد من جديد وهى رخصة فيها من ترسيخ الرحمة في القلوب ما فيها .

ويعرض لنا رب العالمين قصة القتل منذ أن بدأ الانسان خلافته على الأرض لعلها تكون موعظة ففيها الخوف من رب العالمين وفيها القتل وفيها الخسارة وفيها الندم . يقول رب العزة على لسان أحد الأخوين ﴿**لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدى إليك لاقتلك أني أخاف الله رب العالمين**﴾[1] وبعد القتل تأتي الخسارة ﴿**فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين**﴾[2] ثم عندما يكتشف الانسان عجزه وجهله يأتي الندم ﴿**قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين**﴾[3] .

وقتل القاتل الذى تعمد القتل هى حالة من حالات ثلاث حددها رسول الله ﷺ في حديثه الشريف . عن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يحل دم أمرىء مسلم يشهد أن لا إله إلاّ الله وإني رسول الله إلا باحدى ثلاث : الثيب الزان . والنفس بالنفس . والتارك لدينه ، المفارق للجماعة »[4] وهذه الحالات الثلاث ما هى إلاّ حالات إعتداء على النفس . فالحالة

---

(١) سورة المائدة ، آية رقم ٢٨
(٢) سورة المائدة ، آية رقم ٣٠
(٣) سورة المائدة . آية رقم ٣١
(٤) صحيح مسلم

الأولى الزنا وسوف نتناوله في فقرة من الفقرات التالية من هذا الفصل . والحالة الثانية قتل النفس فلا بد فيها من القصاص وهذه عدالة الله وجزاء لمن يقدم على القتل وردعا لمن تسول له نفسه قتل أخيه . أما الحالة الثالثة وهى حالة التارك لدينه فسوف نتناولها في الفصل الخاص بحرية العقيدة .

ونتتقل الآن إلى صورة أخرى من صور الاعتداء على النفس وهى حالة تعريضها للتهلكة والمرض ، وهناك تحذير من الله عز وجل يقول فيه : ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ [(١)] ويقول ﷺ حماية للنفس من المرض « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها و إذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » [(٢)] . ويزيدنا تأديباً صلوات الله وسلامه عليه حتي مع النفس الكافرة فعن عبدالرحمن بن أبي ليلة أن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام فقيل له أنها جنازة يهودى . فقال أليست نفساً » [(٣)] .

وتكليف النفس أكثر من طاقتها أو قتلها أو تعريضها للتهلكة أو المرض ليست هذه الصور الوحيدة للاعتداء على النفس . إنما هناك صورة بشعة أخرى وهى « الزنا » . والزنا فيه إعتداء على النفس لأنه إعتداء على حق الانسان في إمتلاك عرضه والمحافظة على شرفه . واعتداء أيضاً على حق من حقوق النفس وفي المهد : على الطفولة البريئة . ولذلك نجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

---

(١) سورة البقرة . آية رقم ١٩٥
(٢) صحيح البخاري
(٣) صحيح البخاري

عالجت هذه الصورة بكافة الطرق . بالتحريم ، وبالعقاب ، وبالترهيب ، وبالاجتناب ، وبالأرشاد إلى ما يعالج هذه الصورة السيئة في المجتمع . والتحريم وارد في الآية الكريمة : **﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾**[1] . ومن الملاحظ هنا في هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بعدم الاقتراب من الزنا فالأمر ليس بعدم الوقوع في جريمة الزنا وإنما الأمر أشد حيطة وحفاظاً على النفس فجاء بعدم الاقتراب من الزنا . ولا شك في أن ذلك أبلغ تعبير عن إهتمام الاسلام بعلاج هذه الجريمة ، ففي هذه الآية يظهر الحرص كل الحرص والاحتياط الكامل من الزنا وذلك بعدم الاقتراب منه .

ولكن ماذا لو وقعت جريمة الاعتداء على النفس بالزنا ؟ . يقول رب العالمين : **﴿الزانية والزاني فأجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾**[2] . وتحمل هذه الآية الكريمة المعني الكامل الذى تهدف إليه الشريعة الاسلامية . وهو ردع كل من تسول له نفسه أن يرتكب هذه الجريمة . وهذا يظهر من قوله تعالى : **﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾** . فالعقاب كما رأينا في موضوع قتل النفس . وكما هو الحال في حالة الزنا ، وكل الجرائم ، هو عقاب وجزاء له أهداف أكبر من الايذاء البدني أو المادى أو المعنوى الذى يقع على مرتكب الاعتداء . فهو يهدف

(١) سورة الاسراء ، آية رقم ٣٢
(٢) سورة النور . آية رقم ٢

بصفة عامة إلى منع الاعتداء على الحقوق مستقبلاً سواء كان تكرار من الجاني نفسه أو من غيره . ثم هو يهدف ثانياً إلى تعويض المعتدى عليه سواء مادياً أو معنوياً ، ويهدف ثالثاً إلى تطهير الجاني واراحة نفسه بعد توقيع العقوبة عليه . ورحمة من رب العالمين شرع لهم في القرآن الكريم ما يساعد على التخلص من الشعور بالاثم وبالتالى التمتع بالسعادة الحقيقية ولكن لم يكن ذلك في تحليل الحرام كما يريد الفيلسوف « برتراند راسل »[1] وإنما في فرض عقوبات على من يرتكب الحرام .. فالعقوبة ـ في رأينا ـ كما جاء بها الاسلام هى الوسيلة الوحيدة التي تطهر الانسان من الاثم وتعيد إليه السعادة التي فقدها بعد ارتكابه الاثم . وفي الحياة أمثلة لا تحصي على ذلك . فكم من مرتكب لاثم لم يره أحد ، بل واتهم غيره بارتكابه ، فهو بذلك قد اطمأن إلى أنه لن يصيبه بعد ذلك أى أذى مادياً أو معنوياً أو أدبياً ، ورغم ذلك نجده قد إندفع إلى الاعتراف بما إقترف . وليس ذلك الا ليعود إلى إستقراره الفطرى .. ولا شك أن في ذلك سعادته وطمأنينة نفسه .

وفي الحديث الذى رواه الامام مسلم رضي الله عنه أن إمرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهى حبلى من الزنا فقالت : يا رسول الله أصبت حداً فأقمه على ، فدعا نبي الله ﷺ وليها فقال : « أحسن إليها فاذا وضعت فأتني » ففعل فأمر بها نبي الله ﷺ فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها . فقال له

(١) انظر مقالنا بمجلة رابطة العالم الاسلام ـ جمادى الأولى ١٤٠١هـ .

عمر : تصلى عليها يا رسول الله وقد زنت ؟ قال : « لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل » . فهذه المرأة ما الذى جعلها تذهب لتعترف بما إقترفت رغم أنه لم يشهد عليها أحدا . وهى تعلم أنها سوف تقتل . لقد أرادت أن تتخلص من الاثم فلم تجد إلاّ أن يطبق عليها الحد حتي ولو كان في ذلك نهاية حياتها . وهناك قصة مشابهة ومشهورة في أحاديث الرسول ﷺ وهى قصة « ماعز » .

ويقرن الله عز وجل بين الزنا وبين الشرك فيقول : ﴿ **الزاني لا ينكح إلاّ زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلاّ زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين** ﴾[1] . وفي هذه الآية ترهيب من جريمة الزنا . فالزنا ليس شأن المؤمنين وهو محرم عليهم . والزاني لا يزني حين يزني وهو مؤمن .

وقد جاء في روضة المحبين ونزهة المشتاقين للامام إبن القيم : « والزنا يجمع خلال الشر كلها ، من قلة الدين وذهاب الورع ، وفساد المروءة . وقلة الغيرة ، فلا تجد زانياً معه ورع ، ولا وفاء بعهد ، ولا صدق في حديث ، ولا محافظة على صديق ، ولا غيرة تامة على أهله ، فالغدر والكذب والخيانة وقلة الحياء وعدم المراقبة وعدم الأنفة للحرم وذهاب الغيرة من القلب من شعبه وموجباته ، ومن موجباته غضب الرب بافساد حرمه وعياله ، ولو تعرض رجل إلى ملك من الملوك بذلك لقابله أسوأ مقابلة . ومنها سواد الوجه

(١) سورة النور . آية رقم ٣

وظلمته وما يعلوه من الكآبة والمقت الذى يبدو عليه للناظرين . ومنها ظلمة القلب ، وطمس نوره ، وهو الذى أوجب طمس نور الوجه ، وغشيان الظلمة له ، ومنها الفقر اللازم ، وفي أثر يقول الله تعالى : إنَّ الله مهلك الطغاة ، ومفقر الزناة . ومنها أنه يذهب حرمة فاعله ويسقط من عين ربه ومن أعين عباده المؤمنين . ومنها أنه يسلبه أحسن الأسماء ، وهو إسم العفة والبر والعدالة ، ويعطيه أضدادها كاسم الفاجر والفاسق والزاني والخائن ﴾[1] . وحد الجلد أو الرجم في جريمة الزنا لا يطبق جزافاً ، فهو إما بالاقرار أو الشهود العدول أو بظهور الحمل على المرأة[2] فبالنسبة للاقرار فان الزنا يثبت باقرار العاقل البالغ على نفسه بالزنا أربع مرات ، كلما أقر مرة رده القاضي وزجره عن إقراره ، وأظهر كراهته لذلك . هذا في مذهب أبوحنيفة وأحمد أما الشافعي ومالك فيكتفيان بالاقرار مرة واحدة . « ويستحب للامام في حد الزني أن يلقن المقر بالرجوع عن إقراره ، وهو مندوب إليه . فلو أقر بالزنا ثم رجع عن إقراره سقط عنه الحد ، سواء كان الرجوع قبل الشروع في حده لم يجلد ولم يرجم ، وإن كان بعد الشروع فيه بعدما أخذه السياط أو الحجارة ، كف عن الجلد أو الرجم ولم يتمم ، ذكر العلة أو لم يذكرها » « وكذلك يكون الحكم لو هرب المقر أثناء الحد » وقد اتفق على ذلك الأئمة الأربعة . أما بالنسبة للشهود فلا بد أن يكونوا أربعة شهود عدول يشهدوا بفعل الزني ذاته فيشهدوا أنهم رأوا

---

(١) غذاء الألباب ـ الشيخ محمد السغاريني .
(٢) حد الزني في الشريعة الاسلامية ـ د . محمد رشيد قباني .

فرجه في فرجها . كالمرود في المكحلة ، في وقت واحد ورؤية واحدة . أما الحالة الثالثة وهي ظهور الحمل على مرأة لا يعرف لها زوج . فانها تسأل فان ادعت أنها أكرهت أو وطئت بشبهة أو لم تعترف بالزنا فانها لا تحد ، ذهب إلى ذلك الشافعي وأبوحنيفة وإبن حنبل أما عند مالك فلا تقبل دعواها الغصب إلاّ بقرينة » .

ويبدو أن حد الرجم لم يقتصر على البشر ففي البخارى عن عمرو بن ميمون الأودى قال[1] : « رأيت في الجاهلية قرداً زنا بقردة . فاجتمع عليهما القرود فرجموهما حتي ماتا . وكنت فيمن رجمهما » .

والزنا من الكبائر فقد عرض الرسول ﷺ الذنوب الكبار في حديثه الشريف عندما سأله رجل قال : يا رسول الله أى الذنوب أكبر عند الله قال : « أن تدعو لله نداً وهو خلقك » قال : ثم أى فقال : « ثم أن تقتل ولدك أن يطعم معك » قال ثم أى قال : « ثم أن تزني بحليلة جارك » . فأنزل الله عز وجل تصديقها ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلاّ بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلقي آثاماً**﴾[2] .

وتكون جريمة الزنا في أبشع صورها إذا تم الاعتداء على نساء المجاهدين الذين خرجوا في سبيل الله فعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم الا وقف له يوم القيامة فيأخذ من

---

(١) غذاء الألباب ـ الشيخ محمد السفاريني .

(٢) صحيح البخاري .

عمله ما شاء »[1]

والزنا كله حرام ولا فرق بين الزنا مع إمرأة حرة أو غير حرة وفي حديث المصطفى ﷺ يأمر بعدم إكراه الجوارى على الزنا . فعن أبي سفيان عن جابر أن جارية لعبد الله بن أبي سلول يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة . فكان يكرهها على الزنا فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله : ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إلى قوله غفور رحيم﴾[2] .

والاسلام لا يعاقب هذه العقوبات ـ التي تبدو للبعض قاسية ـ إلاّ بعد أن وجه الانسان وأرشده إلى الصواب و إلى حماية نفسه من الوقوع في الخطأ والانحراف . والله لم يحرم الانسان من لذة في الحرام إلاّ وقد فتح الطريق أمامه إلى الاستمتاع بها في الحلال . ولذلك فان الاسلام قد أمرنا بالزواج ويسره وحث عليه دفعاً للزنا وحصناً للفروج . ولذلك فان القرآن الكريم قد أوضح أن النكاح لا يرتبط بالغني ولا بالفقر . فالله قادر على أن يغني الفقراء ويفقر الأغنياء . فيقول عز وجل ﴿**وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم أن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم**﴾[3] ، ويقول ﷺ « لرجل تزوج ولو بخاتم من حديد »[4] . وقد زوج ﷺ رجلاً بما حفظ من القرآن الكريم أما من لم يستطع

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم
(٣) سورة النور ـ آية رقم ٣٢
(٤) صحيح البخاري

الزواج فيقول رب العالمين ﴿ **فليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله** ﴾ [1] ويعالج الرسول ﷺ هذه القضية فيقول « من استطاع الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطيع فعليه بالصوم فانه له وجاء » [2] .

ونظراً لخطورة جريمة الزنا وشدة العقوبة والنتائج فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالاشهاد عليها حتي توقع العقوبة وحتي لا يتهم أحد في عرضه دون بينة ولذلك يقول الله عز وجل ﴿ **أن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم** ﴾ [3] ولم يقتصر الأمر على اللعنة في الدنيا واللعنة في الآخرة وأنما فرض الله عز وجل عقوبة بدنية في الدنيا أيضاً على من يدعى وقوع الزنا دون أن يأتي بأربعة شهود فقال : ﴿**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فأجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون**﴾ [4] . ويقول الرسول ﷺ في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلاّ أن يكون كما قال » [5] ويعلمنا ﷺ كيف نتقي الشبهات ونحافظ على العرض فعن أنس رضي الله عنه قال : « ان النبي ﷺ كان مع احدى نسائه فمر به رجلاً ، فدعاه فجاء فقال « يا فلان هذه زوجتي فلانة » فقال : يا رسول

---

(١) سورة النور ، آية رقم ٣٣
(٢) صحيح البخاري
(٣) سورة النور ، آية رقم ٢٣
(٤) سورة النور ، آية رقم ٤
(٥) صحيح مسلم

الله من كنت أظن به فلم أكن أظن بك . فقال ﷺ « أن الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم » .[1]

والشريعة والأحكام طالما أنها من عند الله لذلك فلا يمكن أن يشوبها قصور أو غفلة أو نسيان . بل لا بد وأن يكون الشمول والرحمة والحكمة هو اطارها ومضمونها . لذلك نجد أن الشريعة الاسلامية قد حرمت الزنا وأمرت بالزواج ورغبت فيه ، ثم جاءت بالوسائل اللازمة لتحقيق ذلك ، وتحقيق ما أمر به الله من عدم الاقتراب من الزنا . فشرع الله لنا ما يساعدنا على كل ذلك فأمر المؤمنين والمؤمنات بغض الابصر وحفظ الفرج ، ووضع بالتفصيل القواعد التي تحكم إبداء الزينة للمرأة وملابسها ومشيتها فيقول سبحانه وتعالى ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهت الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني إخوانهن أو بني اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت إيمانهن أو التابعين غير أولى الا ربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾[2] .

ويستمر القرآن الكريم في عرض أساليب الوقاية من الزنا فيأمر

---

(١) صحيح مسلم .
(٢) سورة النور - آية رقم ٣٠/٣١

أحكم الحاكمين بالاحتشام للنساء والبنات فيقول سبحانه وتعالى :
﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدني أن يعرفن فلا يؤذين﴾[1] وتعليقاً على الآيتين السابقتين ـ لا أقول أنني أتحدى ـ بل أقول أن الاسلام يتحدى أن يطبق المؤمنين والمؤمنات ما جاء بهاتين الآيتين بالاضافة إلى الأخذ بحد الزنا ثم يجدوا أثراً لهذا الوباء في مجتمعاتهم .

هذا هو التشريع الاسلامى لحماية النفس من أى نوع من أنواع الاعتداء . تشريع شامل جامع يأخذ بأسباب الوقاية ثم العلاج . يتدرج في الوقاية والعلاج لجريمة القتل من مداراة السلاح إلى عدم حمله إلى القصاص والقتل . ويتدرج في الوقاية والعلاج لجريمة الزنا من الاحتشام وعدم إبداء الزينة وإلى غض البصر إلى الزواج ثم الجلد والرجم . وهذه كلها رعاية من الله لنفس الانسان .

---

(١) سورة الاحزاب ، آية رقم ٥٩

الفصل الخامس
الحقوق المتعلقة بالمال

١ ـ الزكاة والصدقات

٢ ـ الاكتناز واتلاف المال والاعتداء على مال الغير

٣ ـ الدين والأمانة



المال مال الله بنص الآية الكريمة ﴿**وأتوهم من مال الله الذى أتاكم**﴾[1] . وقد استخلف الله الانسان في ماله بنص الآية الكريمة ﴿**وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**﴾[2] .

وطالما أن المال مال الله ونحن مستخلفون فيه لذلك فقد وضع الله سبحانه وتعالى لنا مجموعة من الأحكام والضوابط والتوجيهات والارشادات للتصرف فيه والمحافظة عليه ، خاصة وأن للمال فتنة يقول رب العالمين ﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾[3] ، وللمال شهوة كما يقول أيضاً ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**﴾[4] . والانسان لا يقنع بما لديه من مال مهما أوتي منه فعن إبن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن لابن آدم مال واد مالاً لأحب أن يكون إليه مثله . ولا يملأ نفس إبن

(١) سورة النور ـ آية رقم ٣٣
(٢) سورة الحديد ـ آية رقم ٧
(٣) سورة التغابن ـ آية رقم ١٥ . وسورة الانفال ـ آية رقم ٢٨
(٤) سورة آل عمران ـ آية رقم ١٤

آدم إلاّ التراب . والله يتوب على من تاب »[1] وقد يبتلى الانسان في ماله كما يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **لتبلون في أموالكم وأنفسكم** ﴾[2] . ومن المال ما قد يكون عذاباً على صاحبه فيقول عز وجل ﴿ **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون** ﴾[3] . وأيضاً فان المال زينة لقول الله عز وجل : ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا** ﴾[4] .

ولكل ذلك جاءت أحكام المال في القرآن الكريم شاملة لكل شيء (للأنفاق والصدقات والزكاة والبخل والاكتناز والفقر والوصية والارث والربا وأكل المال بالباطل والسرقة والدين والتبذير والاسراف والاتلاف والتقتير) ثم أعطى القرآن الكريم إهتماماً خاصاً بمال اليتيم . كل هذا في آيات بينات محكمات من عند رب العالمين . وسوف نتناول في هذا الفصل بعض الأحكام المتعلقة بالمال في الشريعة الاسلامية لاظهار نظرة الاسلام لحقوق الانسان المتعلقة بالمال ، وكيف أتي الاسلام بما يحفظ على الانسان ماله . ويحفظه وهو من مال غيره .

ومن أحكام المال في الاسلام ما يتعلق بـ :

١ ـ الزكاة والصدقات .

---

(١) صحيح مسلم

(٢) سورة آل عمران ، آية رقم ١٨٦

(٣) سورة التوبة ، آية رقم ٥٥

(٤) سورة الكهف ، آية رقم ٤٦

٢ ـ الاكتناز واتلاف المال والاعتداء على مال الغير.
٣ ـ الدَّيْن والأمانة.
٤ ـ الاسراف والتبذير ـ والبخل والتقتير.
٥ ـ الارث والوصية.

وسوف نتناول هذه الأحكام من الزاوية التي تظهر الحقوق التي حفظها الله للانسان في ماله سبحانه والذى استخلف فيه بني آدم.

الزكاة والصدقات :

الزكاة هى الركن الثاني في الاسلام بعد الصلاة. وقد قرنها الله في كثير من الآيات بالصلاة وأمر بها سبحانه في قوله : ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾ [١] . وقد أوصي بها الله أنبيائه ورسله . فقال سبحانه : ﴿**فجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين**﴾ [٢] . ويحذرنا الرسول ﷺ من عدم أداء الزكاة على المال فيقول : « من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثِلَ له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزميه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك » [٣] .

والانفاق طالما أنه من مال الله فقد حدد لنا سبحانه في أى الوجوه ننفقه . وقد اتفق العلماء على [٤] « ان الحر الذى يقدر على

---

(١) سورة البقرة ، آية رقم ٤٣ ، ١١٠ وسورة النور ، آية رقم ٥٦ ، وسورة المزمل ٢٠
(٢) سورة الأنبياء . آية رقم ٧٣
(٣) صحيح البخاري
(٤) مراتب الاجماع ـ ابن حزم

المال ، البالغ العاقل غير المحجور عليه ، فعليه نفقة زوجته التي تزوجها زواجاً صحيحاً إذا دخل بها وهي ممن توطأ وهي غير ناشز . وسواء كان لها مال أو لم يكن » . واتفقوا أيضاً على أن « من كان بهذه الصفة فعليه القيام برضاع ولده ، إن لم يكن للرضيع أم أو لم يكن لأمه لبن ، ولم يكن للرضيع مال . وعليه الانفاق على ولده وإبنته الذين لم يبلغا ولا لهما مال حتي يبلغا . واتفق العلماء أيضاً على : « أنه يلزم الرجل من النفقات التي ذكرنا ، ما يدفع الجوع من قوت البلد الذى هو فيه ، ومن الكسوة ما يطرد البرد ، وتجوز فيه الصلاة » . وأيضاً اتفقوا على أن « من لزمته نفقة ، فقد لزمته كسوة المنفق عليه واسكانه » . ويقول سبحانه وتعالى للرسول ﷺ : ﴿ **يسألونك ماذا ينفقون ، قل ما انفقتم من خير فاللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم** ﴾[1] ويقول أيضاً : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** ﴾[2] . ويبين الله عز وجل من أبواب الانفاق أيضاً : ﴿ **للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف . تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافاً** ﴾[3] .

ويحدثنا الرسول ﷺ بما يحبب إلى قلوبنا الانفاق على الضعاف

---

(١) سورة البقرة ، آية رقم ٢١٥
(٢) سورة التوبة . آية رقم ٦٠
(٣) سورة البقرة . آية رقم ٢٧٣

من أرامل ومساكين وجوارى فيقول : « من عال جاريتين حتي تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو »[1] وضم أصابعه . ومن أبواب الانفاق أيضاً التي يوجهنا إليها ديننا الحنيف اعتاق الرقاب . ولا شك أن في ذلك قمة الاستفادة من المال في إعطاء الحقوق الكاملة للانسان فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل أرب منها إربا منه من النار »[2]

وقد اتفق العلماء على أن « الرجوع في الوصايا جائز ما لم يكن عتقا »[3] .

والانفاق فرض على المسلم القادر عليه ومن لم يقدر فلا اثم عليه لأن الله سبحانه وتعالى لا يكلف نفساً الا وسعها ، وفي ذلك المعني يقول رب العالمين : ﴿**لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله . لا يكلف الله نفساً إلاّ ما أتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا**﴾[4]

والانفاق لا بد أن يكون من مال حلال إكتسبه الانسان بطريق مشروع . فالله سبحانه وتعالى لا يقبل إلاّ الطيب . فالمال المكتسب من حرام لا تصلح منه الصدقة ولا يعطى الله عليه أجرا والانفاق يجب أن يكون من أجود ما يمتلكه الانسان ، فلا يصح أن يتصدق الانسان بما فسد من ماله أو طعامه أو شرابه . وفي هذا نجد

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم
(٣) مراتب الاجماع ـ ابن حزم
(٤) سورة الطلاق ، آية رقم ٧

قول الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد﴾[1] . فالشيء الذى لا يقبله الانسان لنفسه لا يليق به أن يقدمه ويتصدق به على الآخرين .

والانفاق خير ، ولا ينفع الخير إذا أعقبه شر وأذى . فالأذى يفسد ما يفعله الانسان من خيرات ولذلك فان الانفاق إذا لم يتبعه من ولا أذى أثاب الله عليه أجر عظيم فيقول سبحانه وتعالى ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[2] . ولكن إذا تبع الانفاق من أو أذى فان ذلك يبطل الصدقات لقول الله عز وجل : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾[3] ويقول أيضاً ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم﴾[4] وأن ما يزيد من ثواب الصدقات إخفاؤها وعدم الاعلام عنها ويرشدنا رب العالمين ورسوله الكريم إلى ذلك فمن آيات الله تعالى : ﴿إن تبدو الصدقات فنعماً هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾[5] . وفي الحديث المشهور عن النبي ﷺ أن من

---

(١) سورة البقرة ، آية رقم ٢٦٧
(٢) سورة البقرة ، آية رقم ٢٦٢
(٣) سورة البقرة ، آية رقم ٢٦٤
(٤) سورة البقرة ، آية رقم ٢٦٣
(٥) سورة البقرة ، آية رقم ٢٧١

السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتي لا تعلم يمينه ما تنفق شماله .

ولقد رغب الاسلام في الانفاق من المال وإعطاء الصدقات بشكل كامل وفريد . فيقول سبحانه وتعالى : ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾[١] . تطهر النفس وتزكى البدن فما أقوى الرغبة عند المسلم في الطهارة .. طهارة النفس .. وما أيسر ذلك في الاسلام .. فالمسلم يطهر الله نفسه ويزكيه إذا تصدق من مال طيب على فقراء المسلمين ودون أن يؤذيهم أو يمن عليهم أو يتفاخر ويعلن صدقته أمام الجميع . أو يكون له مأرب آخر غير سد حاجة المحتاج ومرضاة الله .

ويشجع الاسلام المرأة أن تتصدق من مال زوجها دون مفسدة وذلك ليعم الخير والثواب عليها وعلى زوجها فيقول ﷺ : « إذا تصدقت المرأة من طعام زوجها غير مفسدة كان لها أجرها ولزوجها بما كسبت وللخازن مثل ذلك .»[٢] ويقول ﷺ مخاطباً النساء . عن زينب امرأة عبدالله قالت : كنت في المسجد فرآني النبي ﷺ فقال : « تصدقن ولو من حليكم »[٣] .

ثم يشوقنا العزيز الحكيم باعطاء الصدقة فيقول : ﴿**ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم**﴾[٤] . فكم يكون الانسان في شوق إذا علم أن ما

---

(١) سورة لتوبة . آية رقم ١٠٣
(٢) صحيح البخاري
(٣) صحيح مسلم
(٤) سورة لتوبة . آية رقم ١٠٤

يتصدق به يأخذه المولى عز وجل . ثم يطمأننا النبي ﷺ على أموالنا بعد أن نخرج منها الصدقات فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما نقصت صدقة من مال . وما زاد الله عبداً بعفو الا عزا . وما تواضع أحداً لله إلاّ رفعه الله »[1] .

إن هذه الأحكام الكريمة السامية التي شرعها الاسلام ورغب بها المسلمون وشجعهم على الانفاق واعطاء الصدقات للفقراء والمحتاجين ، جعلت الكثير من المسلمين يميلون إلى إنفاق كل ما يملكون حتي يأخذون أعظم الثواب من الله ـ ولكن الاسلام دين لا يصلح شيء بافساد آخر ، فالمجتمع عنده جسد متكامل لا بد من رعاية كل أعضائه لذلك فلم يؤد الاسلام الانسان الذى يتصدق بجميع ماله ويترك من يعولهم عالة على الآخرين . وقد جاء رجل للنبي ﷺ فقال : « إن من توبتي أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ . قال ﷺ أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك »[2] . وفي حديث آخر عن جابر إبن عبدالله قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب فقال : يا رسول الله خذها صدقة ، فوالله لا أملك غيرها . فأعرض عنه رسول الله ﷺ . ثم أتاه من بين يديه وقال : «هاتها» مغضباً فأخذها منه ، ثم حذفه بها بحيث لو أصابته لأوجعته ، ثم قال : « يأتيني أحدكم بماله لا يملك غيره ثم يجلس ليتكفف الناس . إنما الصدقة عن ظهر غني ، خذها لا حاجة لنا فيها »[3] .

---

(١) صحيح صحيح مسلم
(٢) صحيح البخاري
(٣) رواه ابوداود والحاكم

والصدقة باب من أبواب الخير في الاسلام لذلك لم يشأ الله ورسوله أن يحرم من هذا الخير أحداً من المسلمين . فشرع الله عز وجل وأوضح الرسول ﷺ أن : « على كل مسلم صدقة فقالوا يا نبي الله فمن لم يجد ؟ قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا فان لم يجد ؟ قال يعين ذا الحاجة والملهوف . قالوا فان لم يجد ؟ قال فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فانها له صدقة »[١] . وعن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبوهريرة عن محمد ﷺ فذكر أحاديث منها : قال ﷺ : « تعدل بين الاثنين صدقة . وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة » . وقال : « والكلمة الطيبة صدقة . وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة . وتميط الأذى عن الطريق صدقة »[٢] ويقول ﷺ أيضاً : « كل معروف صدقة »[٣] « الكلمة الطيبة صدقة »[٤] .

وكما عالج الاسلام أمر من يريد أن يتصدق بكل ماله . عالج أيضاً من يريد أن يعيش على الصدقات ويسأل الناس ولا يعمل . فالاسلام يحث على العمل والكسب الحلال ويحذر من المسألة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ : لأن يحتزم أحدكم حزمة من حطب فيحملها على ظهره فيبيعها خير له من أن يسأل رجلاً يعطيه أو يمنعه »[٥] وعن أبي هريرة أيضاً قال رسول الله ﷺ « من سأل

---

(١) صحيح البخاري
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح البخاري
(٤) صحيح البخاري
(٥) صحيح مسلم

الناس أموالهم تكثرا فانما يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثر»[1] وعن حمزة بن عبدالله عن أبيه رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا تزال المسألة بأحدكم حتي يلقي الله وليس في وجهه مزعة لحم»[2].

الاكتناز واتلاف المال:

إكتناز المال تعطيل له عن أداء وظيفته في خدمة مصالح المسلمين. وقد حرم الاسلام «الاكتناز» ووعد من يكتنزه بعذاب أليم فقال عز وجل: **﴿الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾**[3] وعن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إن أحدكم ليخرج بصدقة من عندي متأبطها وإنما هي له نار. قال عمر: يا رسول الله كيف تعطيه وقد علمت أنها له نار؟ قال: «فما أصنع؟ يأبون الا مسألتي ويأبي الله عز وجل لى البخل»[4].

أما إتلاف المال فيحذر منه الاسلام. ومن أتلف أموال الناس أتلفه الله. أما من حافظ عليها وأنفقها فيما حدده الله من أبواب الخير فانه في أعلى المنازل عند الله. يقول الله عز وجل: **﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾**[5] ثم يقول رسول الله

---

(١) صحيح صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم
(٣) سورة التوبة، آية رقم ٣٤.
(٤) صحيح مسلم
(٥) سورة النساء، آية رقم ٥.

صلى الله عليه وسلم : « من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله »[1] ويقول أيضاً « أن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال »[2] ويقول ﷺ عن منازل الرجال فيما يتعلق بالمال « إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول : لو أن لى مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء .

وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل . وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول : لو أني لى مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء »[3] .

الاعتداء على حق الانسان في ماله :

إن المال كما قلنا في أول هذا الفصل فتنة وزينة . وله شهوة قد يثيرها الشيطان في نفوس البعض ويزين لهم الاعتداء على أموال الآخرين بالسرقة أو بالاغتصاب أو بالربا أو بالباطل .

وصيانة من الله لنفس الانسان ولمال المسلمين شرع من الأحكام ما يحقق ذلك .

---

(١) صحيح البخاري
(١) صحيح البخاري
(١) رواه الترمذي ـ انظر كتاب رياض الصالحين ص ٣٠٣/٣٠٤ حديث رقم ٥٥٦ الباب الستون في الكرم والجود والانفاق .

لذلك فرض أحكم الحاكمين على السارق عقوبة مادية في الدنيا . فأمر سبحانه بقطع يد السارق فيقول عز وجل : ﴿ **والسارق والسارقة فأقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم**﴾ [1] . ومن المعروف أن جريمة السرقة لا تتم بدون إستخدام السارق ليده في السرقة . ولذلك كانت العقوبة مباشرة على ما استعان به السارق في السرقة .

ونظراً لشدة عقوبة السرقة فانها لا تطبق في الاسلام إلاّ إذا توافرت شروط معينة : [2]

الشرط الأول : أخذ المال على وجه الاختفاء والاستتار .

الشرط الثاني : أن يبلغ المال المسروق النصاب الموجب لقطع اليد .

الشرط الثالث : أن يكون المال المسروق مالاً لا شيئاً يؤكل أو يشرب على تفصيل وارد في كتب الأحكام .

الشرط الرابع : أن يكون المال المسروق محرزاً .

الشرط الخامس : إنتفاء شبهة وجود حق ما للسارق في المال المسروق

الشرط السادس : ثبوت السرقة . وذلك بالاقرار أو شهادة رجلين مسلمين حرين عدلين .

وشرط قبول شهادتهما أن يصفا السرقة والحرز وجنس النصاب وقدره .

الشرط السابع : أن يطالب صاحب المال أو وكيله بما سرق منه .

---

(١) سورة المائدة ، آية رقم ٣٨

(٢) حد السرقة في الشريعة الاسلامية ـ الشيخ محمد بن عبدالله بن سبيل .

الشرط الثامن : أن يكون الجاني بالغاً عاقلاً غير مكره .

ورغم أن هناك إختلافاً واتفاقاً بين الأئمة والعلماء في تفاصيل بعض الشروط السابقة إلاّ أن هناك إتفاقاً على[1] : « أنه من سرق من حرز . من غير مغنم ولا من بيت المال ، بيده لا بآلة ، وحده منفرداً . وهو بالغ عاقل مسلم حر في غير الحرم بمكة ، وفي غير دار الحرم فسرق من غير زوجته ومن غير ذى رحمه ، ومن غير زوجها إن كانت إمرأة ، وهو غير سكران ولا مضطر ولا مكره . فسرق مالاً متملكاً يحل للمسلمين بيعه . وسرقه من غير غاصب له ، وبلغت قيمة ما سرق عشرة دراهم من الورق المحض ، بوزن مكة . ولم يكن لحماً ولا حيواناً مذبوحاً ولا شيئاً يؤكل أو يشرب ، ولا طيراً ولا صيداً ولا كلباً ولا سنوراً ولا زبلاً ولا عذرة ولا تراباً ولا زرنيخاً ولا حصي ولا حجارة ولا فخاراً ولا ذهباً ولا قصباً ولا خشباً ولا فاكهة ولا حماراً ولا حيواناً سارحاً ولا مصحفاً ولا زرعاً من فدانه . ولا تمراً من حائطه ، ولا شجراً ولا حراً ولا عبداً يتكلم ويعقل ، ولا أحدث فيه جناية قبل إخراجه له من مكان لم يؤذن له في دخوله من حرزه . وتولى إخراجه من حرزه بيده . فشهد عليه بكل ذلك شاهدان رجلان ، ولم يختلفا ولا رجعا عن شهادتهما ، ولا أدعى هو ملك ما سرق ، وكان سالم اليد اليسرى وسالم الرجل اليمني . لا ينقص منها شيء ، ولم يهبه المسروق منه ما سرق ، ولا ملكه بعد ما سرق ، ولا رد السارق على المسروق منه ، ولا أعاده

(١) مراتب الاجماع - ابن حزم .

السارق ، وحضر الشهود على السرقة ولم يمض للسرقة شهر ، وجب عليه حد السرقة » .

ومما سبق نرى أن العقوبة على السارق والسارقة لم تكن ـ كما يدعى البعض ـ قاسية . لم تأخذ في الاعتبار مصلحة المجتمع . بل هى عقوبة لازمة ولا غني عنها إذا أريد حماية مال المسلمين . وهى عقوبة عادلة ليس فيها جور أو تجني . وهى عقوبة مانعة رادعة . إنها عقوبة فرضها العزيز الحكيم الذى خلق الانسان ويعلم ما يفسده وما يصلحه .

وعقوبة قطع يد السارق ـ كسائر العقوبات الاسلامية ـ لا تفرق بين شخص وآخر أياً كان مركزه الاجتماعى أو جنسيته أو لونه أو غير ذلك من الفروق . . وقصة المرأة المخزومية معروفة كدرس من رسول الله ﷺ للمسلمين . ففي حديث عن عائشة رضي الله عنها : « أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم رسول الله ﷺ وقالوا من يجترأ عليه إلاّ أسامة حب رسول الله ﷺ فكلم رسول الله فقال أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فخطب قال أيها الناس إنما ضل من قبلكم إنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه و إذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »[1] .

ولم يترك الرسول ﷺ أمته دون توجيه وتحذير من جميع ما يمس حقوق الناس ومنها حقوقهم في أموالهم . فقبل العقوبة كان

---

(١) صحيح البخاري

التشريع من الله والتوجيه من رسوله فعنه ﷺ قال : « لا يحلبن أحد ماشية أمرىء بغير إذنه أيحب أحدكم أن تؤتي مشربته فتكسر خزانته فينتقل طعامه ، فانما تخزن لهم ضروع مواشيهم أطعمتهم . ولا يحلبن أحد ماشية أحد إلاّ باذنه »[(١)] . ويقول أيضاً : « من أخذ من الأرض شيئاً من غير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أراضين »[(٢)] . وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال : « من اقتطع حق أمرىء مسلم بيمينه فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنة » فقال له رجل : إن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ قال : « وإن قضيباً من أراك »[(٣)] .

ويباح للمسلم أن يقاتل دون ماله فاذا قتل كان شهيداً فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى ؟ قال فلا تعطه مالك قال : أرأيت إن قاتلني ؟ قال : « قاتله » قال أرأيت ان قتلني ؟ قال : « فأنت شهيد » قال أرأيت ان قتلته ؟ قال « هو في النار »[(٤)] .

أكل المال بالباطل :

أكل المال بالباطل أمر لا يقبله الانسان السوى . فهو ظلم

(١) صحيح البخاري
(٢) صحيح البخاري
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح مسلم

واضح فاضح واعتداء على حقوق الغير . وقد نهانا الله عز وجل عن أكل المال بالباطل : ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون**﴾[1] ويقول : إن هذا المال حلوة من أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو ، ومن أخذه بغير حقه كان الذى يأكل ولا يشبع »﴾[2] .

ويظهر أكل المال بالباطل في أكثر من مجال منها مجال البيع والشراء ومجال التعامل بالربا ، ومجال الوصية على مال اليتيم ، ومجال الرشوة . وغير ذلك . ويجب أن يتقي المسلم ربه في مال غيره . ففي البيع والشراء يقول ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ، رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم ، ورجل منع فضل ماء ، فيقول الله اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك »[3] . وعن حكيم بن حزام قال عن النبي ﷺ قال : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا . فان صدقا وبينا بوركا لهما في بيعهما . وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما »[4] ويقول أيضاً : « من حلف على يمين يقتطع بها مال أمرىء هو عليها فأجر لقي الله وهو عليه غضبان »[5] . وفي حديث آخر يبين ﷺ أنه

---

(١) سورة البقرة . آية رقم ١٨٨

(٢) صحيح البخاري

(٣) صحيح البخاري

(٤) صحيح مسلم

(٥) صحيح البخاري .

خصيم للرجل في ثلاث حالات منها « رجل باع حراً ثم أكل ثمنه »[1] .

وفي مجال التعامل بالربا نجد أن الله أحل البيع وحرم الربا وحذر سبحانه وأنذر من لم يقلع عن أكل الربا بالحرب من الله ورسوله فقال : ﴿**يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون**﴾[2] . ويبين سبحانه أيضاً أن الربا لن يفيد الانسان فسوف يمحقه الله فقال تعالى : ﴿ **يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم**﴾[3] . ويصف الله الحالة التي يكون عليها آكل الربا فيقول : ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاّ كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس**.[4] . ولم يقتصر جرم الربا في الاسلام على آكله إنما يشمل كل من أعان عليه فعن جابر رضي الله عنه قال لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء﴾[5] .

ومن صور أكل المال بالباطل إغتصاب الحقوق فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لا يأخذ أحداً شبر من الأرض بغير حقه إلاّ طوقه الله إلى سبع أراضين يوم القيامة﴾[6] .

---

(١) صحيح البخاري
(٢) سورة البقرة ، آية رقم ٢٧٨ ٢٧٩
(٣) سورة البقرة ، آية رقم ٢٧٦
(٤) سورة البقرة ، آية رقم ٢٧٥
(٥) صحيح مسلم
(٦) صحيح مسلم

أما في مجال الوصية على مال اليتيم فيتعاظم ذنب آكل مال اليتيم لشدة هذا الجرم . فيصور الله لنا أبشع صور العذاب لآكل مال اليتيم فيقول سبحانه : **﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا﴾** [1] ويقول أيضاً **﴿وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إنه كان حوبا كبيرا﴾** [2] . ويأمرنا سبحانه وتعالى بمراعاة مال اليتيم حتي يبلغ أشده فيقول : **﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن حتي يبلغ أشده﴾** [3] ويبين لنا أن نرد المال لليتيم طالما أصبح رشيدا وقادراً على المحافظة على ماله دون إتلاف أو مضرة فيقول سبحانه وتعالى : **﴿وابتلوا اليتامى حتي إذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فأدفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفي بالله حسيبا﴾** [4] .

وأخيراً فان الرشوة صورة من صور أكل المال بالباطل تحمل بالنسبة للمرتشي كل معاني الذلة والاحتقار ولذلك جاء تصوير القرآن الكريم للرشوة أبلغ تصوير فقال تعالى **﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون﴾** [5] . فكلمة تدلوا بها إلى الحكام تبين إنخفاض

---

(١) سورة النساء ، آية رقم ١٠
(٢) سورة النساء . آية رقم ٢
(٣) سورة الانعام ، آية رقم ١٥٢ وسورة الاسراء ، آية رقم ٣٤
(٤) سورة النساء ، آية رقم ٦
(٥) سورة البقرة . آية رقم ١٨٨

يد المرتشي رغم علو مكانة صاحبها في المجتمع . فالرشوة دائماً تكون مدفوعة من صاحب حاجة ، وآخذ الرشوة هو شخص له سلطان ما على قضاء هذه الحاجة ولقد لعن الله أطراف الرشوة جميعاً فقال ﷺ في حديث رواه أحمد والترمذى وإبن حبان « لعنة الله على الراشي والمرتشي في الحكم » وعن ثوبان في حديث رواه الامام أحمد والحاكم : قال : « لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي والرائش » . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن رواحة إلى اليهود ليقدر ما يجب عليهم في نخيلهم من خراج ، فعرضوا عليه شيئاً من المال يبذلونه له ، فقال لهم : « فأما ما عرضتم من الرشوة فهى سحت وانا لا نأكلها »[١] . وفي حديث متفق عليه : أن رسول الله ﷺ بعث والياً يجمع الصدقات . فلما جاء إلى الرسول أمسك بعض ما معه وقال : هذا لكم وهذا لى هدية ، فغضب النبي وقال : « ألا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتي تأتيك هديتك إن كنت صادقاً ؟ ثم قال : « مالى استعمل الرجل منكم فيقول : هذا لكم وهذا لى هدية ؟ ألا جلس في بيت أمه ليهدى له . والذى نفسي بيده ، لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حق الا أتي الله يحمله . فلا يأتين أحدكم يوم القيامة ببعير له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تبعر ثم رفع يديه حتي رؤى بياض أبطيه ثم قال : « اللهم هل بلغت » .

---

(١) صحيح مسلم .

الدين والأمانة :

المال هو وسيلة التعامل بين البشر والتعامل يترتب عليه وجود « الدين » . والدين حق للدائن على المدين واجب الآداء عند أجله . وقد أمرنا الله تعالى بكتابة الدين مهما كان صغيراً والاشهاد عليه وهذا باب من أول أبواب حفظ الحق في المال ، ومواجهة بعض صفات الانسان من حب للمال ونسيان أو إنكار أو ظلم أو تقتير . فقال رب العالمين في آيتين جامعتين : ﴿ **يآ أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فأكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فان كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل أحدهما فتذكر احداهما الأخرى ولا يأبي الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدني الا ترتابوا إلاّ أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد ولا تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم . وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم .** ﴾[1]

---

(١) سورة البقرة ، آية رقم ٢٨٣/٢٨٢ .

ويشدد الاسلام على الوفاء بالدين إلى أبعد الحدود فعن عبدالله بن عمر بن العاص قال قال رسول الله ﷺ : « القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلاّ الدين »[1] . وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : «كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ أتي بجنازة فقالوا صل عليها يا رسول الله فقال ﷺ هل عليه دين ، قالوا لا ، قال فهل ترك شيئاً قالوا لا . فصلى عليه . ثم أتي بجنازة أخرى فقالوا يا رسول الله صل عليها قال هل عليه دين ؟ قيل نعم . قال فهل ترك شيئاً قالوا ثلاثة دنانير . فصلى عليه . ثم أتي بالثالثة فقالوا صل عليها يا رسول الله . قال فهل ترك شيئاً ؟ قالوا لا قال فهل عليه دين قالوا ثلاثة دنانير قال صلوا على صاحبكم . قال أبوقتادة صل عليه يا رسول الله وعليّ دينه فصلى عليه »[2] . وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يؤتي بالرجل المتوفي عليه الدين فيسأل هل ترك لدينه فضلاً فان حدث إنه ترك لدينه وفاء صلى وإلا قال للمسلمين صلوا على صاحبكم . فلما فتح الله عليه الفتوح قال أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفي من المؤمنين وترك ديناً فعلى قضاءه ومن ترك مالاً فلورثته »[3] .

ومن الأمور المرتبطة بالدين « نظرة الميسرة » فمقابل التشديد على وفاء المدين بالدين كان الترغيب في إنتظار الدائن على المدين إلى أن يوفي دينه من ميسرة ولا يضيق عليه ولا يرغمه فقال الله تعالى :

---

(١) صحيح مسلم .
(٢) صحيح البخاري .
(٣) صحيح البخاري .

﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾[1] ويقول ﷺ : « تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم قالوا أعملت من الخير شيئاً قال كنت آمر فتياني أن ينظروا أو يتجاوزوا عن المعسر قال فتجاوزوا عنه وقال أبومالك عن ربعى كنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر »[2]

والأمانة مثل الدين واجبة الوفاء عند الطلب . ولا بد من صيانتها والمحافظة عليها فيقول سبحانه وتعالى : ﴿إنَّ الله يأمركم أن تأدوا الأمانات إلى أهلها﴾[3] الآية . والخادم أو الخازن مطالب بأن يكون أميناً على ما لديه ويقول ﷺ : « الخازن المسلم الأمين الذى ينفذ وربما قال يعطى ما أمر به كاملاً موفوراً طيب به نفسه فيدفعه إلى الذى أمر به أحد المتصدقين »[4] وقد بين ﷺ أن عدم تأدية الأمانة علامة من علامات النفاق فعنه قال « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » .[5]

الاسراف والتبذير ـ والبخل والتقتير :

والاسلام يحارب التطرف والانحراف فهو دين القسطوالاعتدال لذلك فقد نهى الاسلام عن الاسراف والتبذير من ناحية كما نهى عن البخل والتقتير من ناحية أخرى . وقد بين القرآن الكريم أن البخل شرا وليس خيركما يعتقد البخيل . فيقول أكرم الأكرمين :

---

(١) سورة البقرة ، آية رقم ٢٨٠

(٢) صحيح البخاري

(٣) سورة النساء ، آية رقم ٥٨

(٤) صحيح البخاري

(٥) صحيح البخاري

﴿ **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شراً لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** ﴾[١] ويقول أيضاً :
﴿ **ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء** ﴾[٢] . والله ذم البخيل وهو لا يحب من يأمر الناس بالبخل وكما نهى الاسلام عن البخل نهى أيضاً عن التبذير ووصف المبذرين بأنهم اخوان الشياطين. وبين في هذا الموقف صفة الكفر في الشيطان وفي هذا من المعاني ما فيه فقال تعالى : ﴿ **وآت ذا القربي حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا** ﴾[٣] . وبين الله صفة من صفات عباد الرحمن فقال : والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾[٤]ويأمر الله عز وجل بعدم الاسراف حتي في الأكل والشرب فقال : ﴿ **وكلوا وأشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾[٥] . ويجمع الله بين النهى عن البخل والتبذير بقوله :
﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا** ﴾[٦] . وقد روى البخارى أن النبي ﷺ كان يحبس لأهله قوت سنة .

---

(١) سورة آل عمران - آية رقم ١٨٠
(٢) سورة محمد - آية رقم ٣٨
(٣) سورة الاسراء - آية رقم ٢٧/٢٦
(٤) سورة الفرقان - آية رقم ٦٧
(٥) سورة الاعراف - آية رقم ٣١
(٦) سورة الاسراء - آية رقم ٢٩

الارث والوصية :

من الأحكام التي وردت بالتفصيل في القرآن الكريم أحكام الارث والوصية وذلك لما يرتبط بها من حقوق كثيرة لعدد من ذوى القربي . وقد وجهنا الرسول ﷺ إلى كتابة الوصية فقال : ﴿ **ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي به يبيت ليلتين إلاّ ووصيته مكتوبة عنده** ﴾[1] . وأمر رب العالمين بالوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين.[2] ثم نسخ الله من ذلك ما شاء وجعل للذكر مثل حظ الانثيين وبين حق الوالدين والزوج والزوجة في الميراث في ثلاث آيات بينات من سورة النساء : ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فان كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين . آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً من الله إن الله كان عليماً حكيما . ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين . ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين . وإن كان رجل يورث كلالة أو إمرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها**

(١) صحيح البخاري

(٢) سورة البقرة - آية رقم ٢٩

أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حكيم﴾[1] .

﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة أن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فان كانتا إثنتين فلهما الثلثا مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم﴾[2] .

وفرض الرؤوف الرحيم رزقاً لأولى القربي واليتامى والمساكين الذين يحضرون القسمة فقال : **﴿ وإذا حضر القسمة أولى القربي واليتامى والمساكين فأرزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً ﴾**[3] . ولا يحل لوالد أن يحرم بعض أولاده من الميراث : لا يحل له أن يحرم الاناث أو يحرم أولاد زوجة غير محظية عنده . كما لا يحل لقريب أن يحرم قريبه المستحق من الميراث بحيلة يصطنعها . فان الميراث قرره الله بعلمه وعدله وحكمته . وأعطى به كل ذى حق حقه . وأمر الناس أن يقفوا فيه عند ما حدده وشرعه . فمن خالف هذا النظام في تقسيمه وتحديده فقد اتهم ربه بعدم معرفته لخلقه وما ينفعهم .

(١) سورة النساء . آية رقم ١٢/١١
(٢) سورة النساء . آية رقم ١٧٦
(٣) سورة النساء . آية رقم ٨

الفصل السادس
الحقوق الاجتماعية

١ ـ حقوق الوالدين

٢ ـ حقوق الأولاد

٣ ـ الحقوق بين الزوجين

٤ ـ حقوق الأقارب واليتامى والمساكين وابن السبيل

٥ ـ الحقوق بين الخادم وسيده

٦ ـ الحقوق بين الحاكم والمحكوم

٧ ـ الحقوق بين الضيف وصاحب الدار

٨ ـ حقوق المرأة في الاسلام

الحقوق الاجتماعية هى الأصل في حقوق الانسان . فهى حقوق الناس جميعاً من خلال وظائفهم الاجتماعية .

حقوق الوالدين ، وحقوق الزوجين ، وحقوق الأولاد ، وحقوق الأقارب والجيران والأصدقاء ، وحقوق الخادم والأجير والحاكم والأمير . وحقوق اليتيم . وحقوق الضيف . لكل هؤلاء جميعاً حقوق وعليهم واجبات ويبين الاسلام كل ذلك من خلال آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة . وبصفة عامة تحكم علاقة المسلم مجموعة من الأحكام الاسلامية فعن الزهرى عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة »[1] . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني . قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال : أما علمت أن عبدى فلان مرض فلم تعده . أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا إبن آدم استطعمتك فلم تطعمني . قال يا رب وكيف أطعمك ؟ وأنت رب العالمين . قال أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ؟ يا إبن آدم استسقيتك فلم تسقني . قال يا رب كيف أسقيك ؟ وأنت رب العالمين . قال استسقاك عبدى فلان

(١) صحيح مسلم .

فلم تسقه . أما أنك لو سقيته وجدت ذلك عندى »[1] وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية . ومن قتل تحت راية عمية يغضب للعصبة ويقاتل للعصبة فليس من أمتي . ومن خرج من أمتي على أمتي يضرب برها وفاجرها لا يتحاش من مؤمنها ولا يفي بذى عهدها فليس مني »[2] .

وسوف نتناول بعض الجوانب من الحقوق الاجتماعية في الاسلام فيما يلى :

حقوق الوالدين :

الوالدان من حيث وضعهما الاجتماعى لهما المركز الأول . وقد قرن الله سبحانه وتعالى بين عبادته وعدم الاشراك به وبين الاحسان بالوالدين فقال : ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا**﴾[3] . ويزيد ذلك تفصيلاً ويقول جل شأنه : ﴿**وقضي ربك الا تعبد إلاّ إياه وبالوالدين إحسانا أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً**﴾[4] . هكذا يصور القرآن الكريم الاحسان للوالدين . ويبين أن هذه اللفظة « أف » التي قد تعبر عن بعض الضيق يجب ألا تقال

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم
(٣) سورة النساء . آية رقم ٣٦
(٤) سورة الاسراء . آية رقم ٢٣

للوالدين براً بهما خاصة في الكبر. ويوصي رب العالمين الانسان بوالديه ويقرن بين شكر العبد لربه وشكره للوالدين فيقول: ﴿ **ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لى ولوالديك إليّ المصير**﴾[1]. وهذا القرآن بين شكر العبد لربه وشكره لوالديه فيه ما فيه من رفع لشأن الوالدين وتكريمهم. وقد بين رب العالمين في صدر هذه الآية أن من موجبات شكر الوالدين ما عانته أمه في حمله وارضاعه وما أصابها من مشقة ووهن.

ومن بر الوالدين المحافظة على كرامتها وشرفها وعدم التسبب في لعنها. فان لعن الوالدين من الكبائر فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه. قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»[2]. ولقد قدم رسول الله ﷺ القيام على خدمة الوالدين ورعايتهم على الجهاد في سبيل الله فعن أبي العباس، عن عبدالله بن عمرو قال: قال رجل للنبي ﷺ: أجاهد؟ قال: الك أبوان؟ قال: نعم قال: ففيهما فجاهد»[3].

ومما يشق على نفس الوالدين أن يتنكر الابن لهما أو يدعى لغيرهما. لذلك فقد حرم الاسلام ذلك واعتبره كفراً أعاذنا الله من

(١) سورة لقمان، آية رقم ١٤
(٢) صحيح البخاري
(٣) صحيح البخاري

ذلك فقال ﷺ : « ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه الا كفر . ومن ادعى قوماً ليس منهم فليتبوأ مقعده من النار »[١] . وعن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال : « من ادعى أبا في الاسلام غير أبيه ، يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام »[٢] . وقال أيضاً : « من أعظم الفرى أن يدعى رجل لغير أبيه أو يرى عينيه ما لم ترى أو يقول على رسول الله ما لم يقل »[٣] .

وبر الوالدين يمتد أثره إلى مودة أصدقائهم فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه »[٤] . ونظراً لما تعانيه الأم في الحمل والرضاعة . وتكريماً من الاسلام لها ولدورها هذا جعل حقها في حسن معاملة الابن لها سابق على حق الوالد[٥] . ففي حديث مشهور عن الرسول ﷺ عندما جاءه رجل وقال يا رسول الله من أحق بحسن صحابتي ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من قال أمك ، قال ثم من ؟ قال أبوك »[٦] . وعلى أي الحالات فالأولاد لا يجزون أبويهم

---

(١) صحيح صحيح البخاري . (٢) صحيح مسلم .
(٣) صحيح البخاري
(٤) رواه مسلم .
(٥) لقد نص القرآن الكريم على أن للرجال على النساء درجة وذلك لمسؤلية الرجال عن الانفاق على الاسرة واعالة جميع أفرادها بما فيهم الزوجة . مما يدل على أن الدرجة التي رفعها الاسلام للرجل عن المرأة كانت لطبيعة المهمة الملقاة على الرجل وليس لسبب آخر . الدليل على ذلك ما أورده الرسول ﷺ في هذا الحديث من رفع للأم ثلاث درجات عن الأب في مقام الاحسان اليها من الأبناء . وذلك نظرا لأن طبيعة المهمة التي يتم على أساسها التفضيل قد تغيرت من اعالة الأسرة الى الحمل والرضاعة وتربية الأولاد .
(٦) رواه البخاري .

إلاّ في حالة واحدة جاءت في حديث رسول الله ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يجزى ولد والداً إلاّ أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه »[1] . فدون ذلك لا يستطيع الانسان مهما فعل أن يوفي حق والديه .

حقوق الأولاد :

في مقابل الوالدين وواجبات الأولاد نحوهم نجد حقوقاً للأولاد وواجبات على الوالدين نحوهما ، وتبدأ الحقوق منذ الطفولة بالحضانة والرعاية والنفقة . فيقول الله عز وجل : ﴿**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلاّ وسعها لا تضار والدة لولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان أراد افصالاً عن تراضي منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما أتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير.**﴾[2]

ومن حق الولد الانتساب لأبيه ، ومن واجب الوالد عدم انكار إبنه . يقول في ذلك فضيلة الشيخ يوسف القرضاوى في كتابه الحلال والحرام في الاسلام « الولد سر أبيه ، وحامل خصائصه ، وهو في قرة عينه ، وهو بعد مماته امتداد لوجوده ، ومظهر لخلوده . يرث منه الملامح والسمات ، والخصائص والمميزات ، يرث الحسن

(١) رواه مسلم .
(٢) سورة البقرة ، آية رقم ٢٣٣ .

منها والقبيح . والجيد والرديء . هو بضعة من قلبه ، وفلذة من كبده . لهذا حرم الله الزنا ، وفرض الزواج . حتي يصون الانساب ، ولا تختلط المياه . ويعرف الولد من أبوه . ويعرف الوالد من بناته وبنوه ؟ فبالزواج تختص المرأة بزوجها ويحرم عليها أن تخونه . أو تسقي زرعه بماء غيره . وبذلك يكون كل من تلدهم في فراش الزوجية أولاد زوجها . بدون أن يحتاج ذلك إلى إعتراف أو إعلان من الأب أو دعوى من الأم فالولد للفراش كما قال رسول الاسلام .

ومن هنا لا يحل للزوج أن ينكر نسب ولد ولدته زوجه في فراشه أى في حالة قيام زوجية صحيحة بينهما . فان إنكاره هذا يلحق أكبر الضرر وأقبح العار بالزوجة والولد فلا يباح له الاقدام عليه لشك عارض أو وهم طارىء أو اشاعة خبيثة . أما إذا جزم بأن إمرأته خانته بأدلة تجمعت لديه ، وقرائن لا يستطيع أن يدفعها عن نفسه ، فان شريعة الاسلام لم ترض أن تدعه يربى من يعتقد أنه ليس بابن له ، ويورث من لا يرثه في رأيه . أو على الأقل يكون فريسة للشك طول حياته . وقد جعلت الشريعة له مخرجا من ذلك بما عرف في الفقه باسم « اللعان » فمن تأكد أو ظن ظناً راجحاً أن زوجته قد لوثت فراشه بماء غيره وجاءت بولد منه وليس له بينة على ذلك ، فله أن يرفع ذلك إلى القاضي ويجرى القاضي بينهما الملاعنة التي فسرها القرآن الكريم في سورة النور : ﴿ **والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان**

من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين . والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾[1] ثم يفرق بينهما إلى الأبد ويلحق الولد بأمه) .

ومن حق الأولاد أيضاً عدم قتلهم من الفقر أو من خشية الفقر فيقول سبحانه وتعالى : **﴿ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم وإياهم﴾**[2] . وفي تفسير قوله تعالى : **﴿من إملاق﴾** قال إبن عباس رضي الله عنهما[3] : (هو الفقر أى لا تُقتلوهم من فقركم الحاصل ، أى لا تقتلوهم خوفاً من الفقر في الآجل ، ولهذا قال هناك : **﴿نحن نرزقهم و إياكم﴾** فبدأ برزقهم للاهتمام بهم أى لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله وأما هنا فلما كان الفقر حاصلاً قال : **﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾** لأنه الأهم ههنا والله أعلم) .

ومن حقوق الأولاد أيضاً أن يحملهم آبائهم بظلم اقترفوه ، ولذلك يبين الله لعباده أهمية عدم الظلم حتىٰ لا ينعكس على ذريتهم فيقول : **﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾**[4] .

ومن أهم حقوق الأولاد العدل بينهم فالعدل مطلوب في كل شيء وتتعاظم أهميته بين الأولاد حتي لا نورث لهم البغضاء ونتسبب في قطع صلة الرحم . يقول ﷺ « اعدلوا بين أبنائكم .

---

(١) سورة النور ، آية رقم ٧ . (٢) سورة الانعام ، آية رقم ١٥١ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير للشيخ محمد على الصابوني .

(٣) سورة النساء ، آية رقم ٩ .

اعدلوا بين أبنائكم . أعدلوا بين أبنائكم »[1] . هكذا كررها ﷺ ثلاثة . وعن النعمان ابن بشير قال تصدق على أبي ببعض ماله فقالت أمى عمرة بنت رواحة : لا أرضي حتي تشهد رسول الله ﷺ فانطلق أبي إلى النبي ﷺ ليشهده على صدقتي فقال له رسول الله ﷺ « أفعلت هذا بولدك كلهم ؟ » قال : لا . قال : « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » فرجع أبي فرد تلك الصدقة » .[2]

والابن أولى بمال أبيه سواء في الانفاق عليه وتربيته أو حتي في الصدقة التي يخرجها الوالدان فيقول ﷺ : « خير الصدقة ما كان عن ظهر غني وأبدأ بمن تعول »[3] .

الحقوق بين الزوجين :

حفظ الحقوق بين الزوجين هو الأساس في حماية المجتمع من أى إنحراف أو إنحلال . والعلاقة بين الزوجين هى من أخطر العلاقات الاجتماعية لذلك فقد اهتم الاسلام بها وبين الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين وبين ﷺ في خطبة الوداع جانباً رئيسياً من هذه الحقوق فيقول : «أيها الناس فان لكم على نسائكم حقاً ولهن عليكم حقاً . لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فان إنتهين فلهن رزقهن

---

(١) رواه احمد والنسائي وأبوداود .
(٢) صحيح مسلم .
(٣) صحيح البخاري .

وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً فانهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً وانكم إنما اتخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله . »[1]

ومن الحقوق المتبادلة أيضاً بين الزوجين أن يحفظ كل منهما سر الآخر ولا يذيعه وقد بين الرسول ﷺ أن من أشر الناس الزوج أو الزوجة إذا أذاع أحدهما سر الآخر فعن أبا سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى إمرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرهما . »[2]

ومن أحكام الاسلام بين الزوج وزوجه خاصة إذا حدث بينهما نزاع أو شقلق أو طلاق قوله تعالى : ﴿**واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا**﴾[3] . وبذلك فقد عالج الاسلام بحكمة كاملة من الله سبحانه وتعالى أدق الأمور بأسلوب متدرج . فاذا ظهرت بوادر العصيان على الزوجة فان الموعظة أولا ثم الهجر في المضاجع ثم الضرب غير المبرح هي درجات ثلاث للعلاج ويبين ﷺ إن التصريح بالضرب لا يعني تجاوز الحد فيقول : « لا يجلد أحدكم إمرأته جلد العبد ثم يجامعها آخر اليوم »[4] ويبين الله تعالى علاج الموقف إذا اشتد الخلاف وخشي من حدوث شقاق

---

(١) صحيح البخاري .
(٢) صحيح مسلم .
(٣) سورة النساء ، آية رقم ٣٤ .
(٤) صحيح البخاري .

فيقول : ﴿ وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا ﴾ [1] . والأمر لا يقتصر على الزوجة فربما يهمل الزوج في شئون زوجته وأسرته فان خافت الزوجة حدوث مثل ذلك من زوجها بعد أن ظهرت بوادره فيقول عز وجل : ﴿وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضا فلا جناح عليها أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير﴾ [2] . أما إذا وصل الأمر إلى الطلاق فان الصبر والانتظار هما أول مطلب علاجي في هذه الحالة . ولذلك فمن حلف بأن لا يقرب من إمرأته فله مهلة أربعة أشهر فان أتاها قبل ذلك استمر الزواج وعليه كفارة اليمين أما بعد ذلك فانه يعتبر اضرارا بالزوجة ويصبح الأمر مستلزما الطلاق . فاذا تم الطلاق فان على المرأة الانتظار ثلاث حيضات استبراء للرحم وفسحة لاحتمال المراجعة ولا يحل للمرأة أن تكتم ما يكون في رحمها من جنين أو دم حيض . وبعد العدة فمن حق الزوج رد زوجته بغية الاصلاح وللزوجة من الحقوق مثلما عليهما من الواجبات بالمعروف وللرجال على النساء درجة نظراً لقيام الرجل برعاية الأسرة والانفاق عليها . وهذه هي الآيات البينات التي تناولت ذلك : ﴿للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم . وإن عزموا الطلاق فان الله سميع عليم . والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر .

(١) سورة النساء . آية رقم ٣٥ .
(٢) سورة النساء . آية رقم ١٢٨ .

وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾[1] .

ويضع العلى القدير من أحكام الطلاق ما يحد منه ولا يجعله مباحاً دون ضوابط حتي يؤخذ مأخذ الجد ويكون علاجاً وليس عقاباً فيقول الله تعالى : ﴿**الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان**﴾[2] ثم يقول ﴿**فان طلقها فلا تحل له من بعد حتي تنكح زوجا غيره**﴾[3] ويقول أيضاً ﴿**وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه**﴾[4] .

وليس للرجل سواء كان ولياً أو زوجاً سابقاً أن يمنع المرأة إذا طلقت واستوفت عدتها من الزواج فيقول الله تعالى : ﴿**وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف**﴾[5] .

وقد فرض الاسلام للمرأة حقوقاً قبل الزواج فعن أبي هريرة قال قال ﷺ : «لا تنكح الأيم حتي تستأمر ولا تنكح البكر حتي تستأذن»[6] . ومن الآداب النبوية في مجال الحقوق الزوجية نجد حديث الرسول ﷺ الذى رواه جابر حيث قال قال رسول الله

---

(١) سورة البقرة . آية رقم ٢٢٦ – ٢٢٧ – ٢٢٨ .
(٢) سورة البقرة . آية رقم ٢٢٩ .
(٣) سوره البقرة . آية رقم ٢٣٠ .
(٤) سورة البقرة . آية رقم ٢٣١ .
(٥) سورة البقرة . آية رقم ٢٣٢ .
(٦) صحيح مسلم

صلى الله عليه وسلم « إذا قدم أحدكم ليلاً فلا يأتين أهله طروقاً . حتي تستحد المغيبة وتنتشط الشعثة »[1] .

حقوق الأقارب واليتامى والمساكين وابن السبيل :

يشدد الاسلام على صلة الرحم ويحذر من قطعها فيقول ﷺ في حديثه عن الزهرى أن محمد بن جيد بن مطعم أخبره : أن أباه أخبره أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة قاطع رحم»[2] وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من سره أن يبسط عليه رزقه أو ينسأ في أثره فليصل رحمه»[3] . « وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أن رجلاً قال : يا رسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إليّ وأحلم عنهم ويجهلون على . فقال : « لأن كنت كما قلت فكأنما تسقهم الملل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك »[4] . ويقرر الاسلام حق الأقارب في الأرث والأولوية في الاحسان والصدقة وقد جمع الاسلام في آيات كثيرة بين ذى القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل خاصة في مجال الانفاق والصدقة والاحسان فيقول الله تعالى : ﴿**وآتي المال على حبه لذوى القربي واليتامى والمسكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب**﴾[5] ثم يقرن سبحانه وتعالى

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح مسلم
(٥) سورة البقرة - آية رقم ١٧٧

الاحسان بالوالدين بالاحسان لذى القربي واليتامى والمساكين والجار وابن السبيل فيقول : ﴿ **وبالوالدين إحسانا وبذى القربي واليتامى والمساكين والجار ذى القربي والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم**﴾ (١) ثم ينص صراحة أن لذى القربي والمسكين وابن السبيل حق فيقول عز وجل : ﴿**وآتي ذى القربي حقه وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا**﴾ (٢) . ويقول ﷺ « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله والقائم الليل الصائم النهار » (٣) . وبعد أن جمع اليتيم مع ذى القربي والمسكين وابن السبيل في الحق في المال والاحسان أفرد سبحانه لليتيم حكما خاصاً فقال : ﴿**ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وأن تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح**﴾ (٤) ويقول ﷺ « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » (٥) وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى . ويخص سبحانه وتعالى يتامى النساء بآية أخرى فيقول : ﴿**ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما**﴾ (٦) ويقول عز وجل ﴿**فأما**

---

(١) سورة النساء ، آية رقم ٣٦
(٢) سورة الاسراء . آية رقم ٢٦
(٣) صحيح البخاري
(٤) سورة البقرة . آية رقم ٢٢٠
(٥) صحيح البخاري
(٦) سورة النساء . آية رقم ١٢٧

اليتيم فلا تقهر﴾[1] .

أما الجار فيكفي ما قاله ﷺ : « مازال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »[2] وقال أيضاً : « والله لا يؤمن ثلاث مرات قيل من يا رسول الله ؟ قال الذى لا يأمن جاره بوائقه »[3] وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه (أو قال لجاره) ما يحب لنفسه »[4] . ويقول أيضاً : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره »[5] ويقول ﷺ للنساء : « لا تحتقرن جارة لجارتها ولو فرش شاة »[6] .

وعن التعاون بين الجيران يقول ﷺ : « لا يمنع جار جاره أن يغرس خشبة في جداره »[7] . ويقول رسول الله ﷺ بصفة عامة عن العلاقة بين المسلم والمسلم سواء كان جار أو صديق أو زميل : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث »[8] . وفي حديث آخر يقول : « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا »[9] . ويقول أيضاً : « لا تحاسدوا ولا

---

(١) سورة الضحى : آية رقم ٩
(١) صحيح البخاري
(٣) صحيح البخاري
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح البخاري
(٦) صحيح البخاري
(٧) صحيح البخاري
(٨) صحيح مسلم
(٩) صحيح مسلم

تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . « بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »[1] . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبوبكر رضي الله عنه أنا . قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبوبكر أنا . قال « فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبوبكر أنا . قال « فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟ » قال أبوبكر أنا . فقال ﷺ : « ما اجتمعنا لامرىء الا دخل الجنة . »[2]

الحقوق بين الخادم وسيده :

لقد نال الخدم في ظل الاسلام حقوق لم تعرف من قبل . وقد شملت هذه الحقوق الكثير الكثير فمن أسلوب المناداة أو التخاطب مع الخدم إلى اطعام الخادم والباسه مما يطعم ويلبس سيده . إلى معاونة السيد لخادمه فيما يسنده إليه من أعمال . فعن أسلوب التخاطب يقول ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضئ ربك ، اسق ربك . وليقل سيدي . مولاي . ولا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي »[3] . ثم يبين بعد ذلك

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح بخاري

قواعد المعاملة فيقول ﷺ : « إذا أتي أحدكم خادمه بطعامه فان لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فانه ولى علاجه »[1] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه ثم جاءه به ، وقد ولى حره ودخانه فليقعده معه فليأكل فان كان الطعام مشفوها قليلاً فليضع في يده منه أكلة أو أكلتين »[2] . وقد شوهد أبا ذر الغفارى رضي الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسؤل عن ذلك فقال « إني سابيت رجلاً فشكاني إلى النبي ﷺ فقال لى النبي ﷺ أعيرته بأمه ، ثم قال إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم »[3] . ولذلك اتفق العلماء على[4] « أن على الرجل الحر والمرأة الحرة نفقة أمتهما وعبدهما وكسوتهما واسكانهما ، إذا لم يكن للرقيق صنعة يتكسبان منها .

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فعن أنس رضي الله عنه قال : « خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لى أف ولا لِمَ صنعت ولا ألا صنعت ؟ »[5] . ويحرم على السيد أن يتهم خادمه بالتهم الباطلة فعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « من قذف

---

(١) صحيح البخاري
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح البخاري
(٤) مراتب الاجماع – ابن حزم .
(٥) صحيح البخاري

مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة الا أن يكون كما قال »[1] .

وفي مقابل ذلك نجد أن هناك حقوقاً على الخادم تجاه سيده ويشجع ﷺ على الوفاء بهذه الحقوق فيقول : « ثلاثة لهم أجران ، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله أجران »[2] . ويبين ﷺ الحق في النصيحة فيقول : « العبد إذا نصح سيده وأحسن عبادة ربه كان له أجره مرتين »[3] ويقول أيضاً : « للعبد المملوك الصالح أجران والذى نفسي بيده لو لا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك »[4] . وهناك حقوق للأجير أهمها اعطاءه أجره ويحذر الرسول ﷺ من يستأجر أجيراً ولا يوفيه أجره فيقول : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه فلم يعطه أجره »[5] . فمن كان يريد أن يختصم مع محمد ﷺ يوم الشفاعة فلا يعطى الأجير حقه .

الحقوق بين الحاكم والمحكوم :

إن أول حقوق الحاكم على المحكومين الطاعة فيقول ﷺ في

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح البخاري
(٣) صحيح البخاري
(٤) صحيح البخاري
(٥) صحيح البخاري

خطبة الوداع « أيها الناس اسمعوا وأطيعوا وان أمر عليكم عبداً حبشياً مجدع أقام فيكم كتاب الله »[1] وعن يحى بن حصين فن سمعت جدتي تحدث أنها سمعت النبي ﷺ يخطب في حجة الوداع فيقول : « ولو استعمل عليكم عبد يقودكم لكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا »[2] ويقول أيضاً : « من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصي الله ومن أطاع أميرى فقد أطاعني ومن عصي أميرى فقد عصاني . »[3] ولكن السمع والطاعة ليست على الاطلاق دون ضابط ولذلك يبين ﷺ حدودها فيقول : « السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »[4] ويقول أيضاً « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »[5] .

وعن علقمة بن وائل الحضرمى عن أبيه قال : سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألون حقهم ويمنعون حقنا . فما تأمرنا . فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه . ثم سأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس . فقال رسول الله ﷺ « أسمعوا وأطيعوا فعليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم »[6] . ويقول أيضاً ﷺ مبيناً أن السمع

(١) صحيح البخاري
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح البخاري
(٤) صحيح البخاري
(٥) صحيح البخاري
(٦) صحيح مسلم

والطاعة في معصية له عقابته فعن على رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث جيشاً وأمر عليهم رجلاً فأوقد ناراً وقال ادخلوها فأرادوا أن يدخلوها وقال آخرون انما فررنا منها . فذكروا للنبي ﷺ فقال للذين أرادوا أن يدخلوها لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة . وقال للآخرين لا طاعة في معصية إنما الطاعة في المعروف »[1] .

وفي مقابل السمع والطاعة هناك واجبات على الحاكم والأمير وحقوق لمن يحكموهم . أول ذلك دون شك الحكم بما أنزل الله فيقول الله تعالى : ﴿ **فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك** ﴾[2] . ويصف رب العالمين من لم يحكم بما أنزل الله سبحانه بالكفر والظلم والفسوق فيقول سبحانه : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾[3] ويقول أيضاً : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الظالمون** ﴾[4] . ويقول : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأو لئك هم الفاسقون** ﴾[5] . وعن بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . فالأمير الذى على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته . والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم . والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسؤولة عنهم . والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه . ألا

---

(١) صحيح البخارى
(٢) سورة المائده . آية رقم ٤٩
(٣) سورة المائدة . آية رقم ٤٤
(٤) سورة المائدة . آية رقم ٤٥
(٥) سورة المائدة . آية رقم ٤٧

فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[١] . وعن أبي موسي قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال : « بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا »[٢] .

ويوضح الرسول ﷺ جوانب أخرى من حقوق المحكومين وواجبات الحاكم . ومنها عدم الغش فيقول ﷺ : « ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم الا حرم الله عليه الجنة »[٣] . ومنها النصيحة فيقول ﷺ : « ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد رائحة الجنة »[٤] . ومما هو مفيد ويستحق الاشارة إليه في هذا المجال حديث رسول الله ﷺ عن الأمانة حيث يقول : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة . قيل كيف اضاعتها يا رسول الله ؟ قال إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة »[٥] . ويرشدنا ﷺ إلى أن لا نحكم بين الناس عند الغضب فيقول : « لا يقضين حكم بين إثنين وهو غضبان »[٦] . ومن أمور الحكم أيضاً أيضاً « الشورى » وهو مبدأ إسلامى طبقه الرسول ﷺ كما أراد الله وليس أدل على ذلك من قيام الرسول ﷺ خطيباً في الناس فحمد الله وأثني عليه فقال : « ما تشيرون على في قوم يسبون أهلي ما علمت عليهم من سوء قط ؟ »[٧] .

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح البخاري
(٤) صحيح البخاري
(٥) صحيح البخاري
(٦) صحيح البخاري
(٧) صحيح البخاري

فحتي عندما سب أهله ﷺ استشار أصحابه ماذا يفعل . ويقول رب العالمين يصف الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون : ﴿**والذين استجابو لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون**﴾[1] ويأمر رب العالمين رسوله الكريم ﷺ بالشورى فيقول : ﴿**وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**﴾[2] .

الحقوق بين الضيف وصاحب الدار :

من الحقوق الاجتماعية أيضاً « حق الضيف » . فيقول ﷺ : « إذا نزلتم بقوم فأمر لكم بما ينبغي للضيف فقبلوا فان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف »[3] . ويقول أيضاً في حديث آخر : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فاليكرم ضيفه »[4] . ومن حق صاحب البيت على الضيف أن لا ينظر الأخير إلى عورة بيته ، ويجلس في المكان الذى يختاره له صاحب البيت ولا يسأل عن شيء من البيت الا القبلة ومكان قضاء الحاجة . وعلى الضيف الا يزيد عن حد حتي لا يتسبب في حرج صاحب البيت أو تحميله فوق طاقته . فعن أبي شريح الخزاعى قال : قال رسول الله ﷺ : « الضيافة ثلاثة أيام . وجائزته يوم وليلة . ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتي يؤثمه » قالوا يا رسول الله : كيف يؤثمه ؟ قال :

---

(١) سورة الشورى . آية رقم ٣٨

(٢) سورة آل عمران . آية رقم ١٥٩

(٣) صحيح البخاري

(٤) صحيح البخاري

« يقيم عنده ولا شيء له يقربه به »[1] .

حقوق المرأة في الاسلام :

رغم أن حقوق المرأة قد تناولناها من خلال كثير من الحقوق السابقة ، وليس للمرأة حقوق خاصة إلاّ أننا أردنا أن نذكر تحت هذا العنوان بعض الحقوق التي كانت مسلوبة من المرأة وردها الاسلام عليها ، وذلك لمواجهة ما يفتريه البعض على الاسلام من مقولة استعباد المرأة . وأول ما رده الاسلام للمرأة هو حق الحياة . فحماها الاسلام من القتل بعد أن كانت تؤد وهي طفلة ، ويسود وجه الأب إذا بشر بالأنثي . ثم فرض لها الاسلام نصيباً في الميراث بعد أن كان ممنوعاً عليها أن ترث . بل كانت هي بعض من متاع الرجل « تورث » . قال الله تعالى ﴿**للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً**﴾[2] . ومن الحقوق الأخرى التي بينها الاسلام للمرأة حقها في أن تستأذن قبل الزواج ولا تكره عليه . فقال ﷺ : « لا تنكح الأيم حتي تستأمر ولا تنكح البكر حتي تستأذن ، قالوا يا رسول الله وكيف أذنها ؟ قال : « أن تسكت »[3] . ورد ﷺ نكاح التي أكرهت ، فعن خنساء بنت خزام الانصارية : أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله صلى الله

---

(١) صحيح مسلم
(٢) سورة النساء ، آية رقم ٧
(٣) صحيح البخاري

عليه وسلم فرد نكاحها »[1] . وقد أكد الاسلام حق المرأة في الصداق ونهى ﷺ عن الشغار ـ والشغار أن يزوج الرجل إبنته على أن يزوجه الآخر إبنته وليس بينهما صداق ـ وقال ﷺ : « أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج »[2] . وأعطى الاسلام للمرأة الحق في العدل بينها وبين نساء زوجها . فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر أقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه » . وكان ﷺ يقسم لكل إمرأة منهن يومها وليلتها »[3] .

وللمرأة الحق الكامل في مالها وقد اتفق العلماء على[4] « أنه لا يلزم أحداً أن ينفق على غني غير الزوجة » فالزوج متكفل بالانفاق على زوجته ولو كانت غنية وغير محتاجة . واتفق العلماء أيضاً على « أنه لا يحل للرجل أن يتصدق من مال زوجته بغير إذنها » .

ويحببنا الرسول في الاحسان إلى البنات فعن عائشة رضي الله عنه قالت : قال رسول الله ﷺ « من ابتلى من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار »[5] . ولا ننسى وصية الرسول ﷺ في حجة الوداع حيث قال أوصيكم بالنساء خيراً . ونختم هذه الحقوق التي كرم الاسلام بها المرأة بقول الرؤوف الرحيم :

---

(١) صحيح البخاري
(٢) صحيح البخاري
(٣) صحيح البخاري
(٤) مراتب الاجماع ـ ابن حزم
(٥) صحيح مسلم

﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾[1] .

(١) سورة النساء، آية رقم ١٩

الفصل السابع

حق الاعتقاد وحكم الارتداد

١ ـ حق الاعتقاد مكفول في الاسلام

٢ ـ شبهات حول حكم الارتداد في الاسلام

٣ ـ مقارنة الأديان

٤ ـ أي شيء سيرتد اليه المسلم عن الاسلام ؟

٥ ـ حكم الارتداد في الاسلام ضرورة لحماية حقوق الانسان

٦ ـ الرد على من شكك في حكم الارتداد

الاعتقاد حق أساسي من حقوق الانسان في الاسلام . كفله الله للانسان بكل الضمانات وأشار إليه في عديد من الآيات بما لا يدع مجالاً للشك في أن الاسلام لا يكره أحد على الدخول فيه حتي ولو كان ضعيفاً أو أسيراً أو أقل من ذلك . وكم كانت عظمة الاسلام وهو يمتد إلى مشرق الأرض ومغاربها فاتحاً العديد من البلاد بالقوة . ولكنه لم يرغم أحداً على الدخول فيه حتي ممن حاربوه . فهو لم يستخدم القوة الا ليزيل العوائق بين الناس وبين حق الاعتقاد . فكان الناس في أغلب هذه البلاد مرغمون على اعتناق دين ملوكهم . فجاء الاسلام فاتحاً ليوجد حق الاعتقاد ويحافظ عليه . وهناك نصوص كثيرة في القرآن والسنة النبوية الشريفة توضح ارساء الاسلام لحق الاعتقد والحث عليه . فيقول الله تعالى في كتابه العزيز مبيناً أنه لم يترك حتي لحبيبه المصطفي محمد ﷺ الحق في إكراه أحد عى الدخول في دين الاسلام . يقول سبحانه ﴿**ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتي يكونوا مؤمنين**﴾[1] ويقول أيضاً : ﴿**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى**﴾[2] ويقول سبحانه ﴿**وقل الحق من**

(١) سورة يونس . آية رقم ٩٩
(٢) سورة البقرة . آية رقم ٢٥٦

ربكم فمن شاء فاليؤمن ومن شاء فاليكفر﴾[1] .

وحق الاعتقاد في الاسلام جاء مثل سائر الحقوق التي حفل بها الاسلام جاء متفقاً مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها . فيقول رب العالمين : ﴿**وهديناه النجدين**﴾[2] ويقول أيضاً : ﴿**إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا**﴾[3] ويقول جل شأنه : ﴿**فألهمها فجورها وتقواها**﴾[4] . وطالما أن دين الاسلام هو من عند الله وليس من صنع البشر لذلك كان لا بد أن يأتي متفقاً مع فطرة الانسان ومع ما طبع عليه الانسان من خير وشر ، وفجور وتقوى ، وشكر وكفر ، ولا يتفق كل هذا الا مع حرية الاعتقاد . ولقد استأثرت حرية الاعتقاد في الاسلام بسورة كاملة من كتاب الله بخلاف ما جاء عنها متفرقاً من آيات . فيقول سبحانه وتعالى : ﴿**قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين**﴾[5] فالحق والحرية كاملة أمام الناس في إعتناق الدين الاسلامى أو غير من الأديان . فالاسلام لا يجبر أحد على الدخول فيه ، والله سبحانه وتعالى ﴿**غني عن العالمين**﴾ . ولكن القضية الأساسية التي نعتزم معالجتها في هذا الفصل إن شاء الله هى قضية « حكم الارتداد في الاسلام » . فالارتداد عن دين الاسلام حكمه أن

---

(١) سورة الكهف . آية رقم ٢٩
(٢) سورة البلد ، آية رقم ١٠
(٣) سورة الانسان . آية رقم ٣
(٤) سورة الشمس . آية رقم ٨
(٥) سورة الكافرون

يستتاب المرتد فان لم يتب فيقتل . وهذا موضوع استغله بعض المستشرقين وأعداء الاسلام للنيل به من الاسلام . ويستندون إليه فيما يدعونه من تخلف الاسلام عن ركب الحريات في العالم ، ويشيرون في ذلك إلى المادة (١٨) من « الاعلان العالمى لحقوق الانسان » والتي تنص على حرية الاعتقاد بمعني الدخول في أى دين والخروج منه دون أى ضابط . وهذا الادعاء لا شك فيه إدعاء باطل . وإن دل على شيء فانما يدل إما على جهل كامل بروح الاسلام وإما أنه يدل على سؤنية مبيتة للنيل من الاسلام . وقد يكون الأمرين معاً . وقد قرأت رداً لبعض علماء المسلمين المخلصين على هذه الفرية ، وكانت خلاصته : « أن منطق الاسلام لا ينطق من حيث أنه (قيد للحرية في الحق لكل شخص بتغيير دينه) وإنما ينطلق من قمع لمكيدة يهودية حدثت في صدر الاسلام حين أسلم جميع عرب المدينة المنورة واتحدّ كلمتهم بعد خصومة مسلحة بينهم حاكها اليهود اللاجئون . ففكر اليهود عندئذ بخبث على أن يدخل بعضهم في الاسلام ثم يرتد عنه ليشكك العرب في دينهم وليضللهم في معتقدهم . فتولد عن ذلك عندئذ الُحكم في منع تغيير المسلم لدينه مع العقوبة عليه حتي لا يدخل أحد في الاسلام إلاّ بعد سبق بحث عقلى وعلمى ينتهى بالعقيدة الدائمة ، وذلك ليقطع الطريق على المضللين وأمثالهم من الدخول في الاسلام تحت طائلة العقوبة . استئصالاً لعوامل الفساد في الأرض فمن دأبوا على الافساد فيها . ويتضح من منطق الاسلام حول هذه النقطة أنه لا ينطلق من منطلق (القيد على الحرية) وإنما من منطق (القمع لمكائد

الكائدين الذين دأبهم الافساد في الأرض) . ولذلك فان الموضوع موضوع إجتهاد إسلامى وهو من لوازم حرية الرأى . ولا يجوز أن يشجب باجتهاد آخر ولكل إجتهاده ولنا إجتهادنا المعزز باسبابه التاريخية وحرصنا على أن لا يدخل في الاسلام الا من يعتقد فيه إعتقاداً جازماً . وفي ذلك منتهى الحرمة للعقيدة التي لا يسمح بأن تكون عقيدة سطحية وعرضة لتضليل المضللين » .

وهذا رد جيد ولكنه لا يوقف أعداء الاسلام ويفحم حججهم الباطلة فهم يأخذون هذا الرد ويستنبطون منه ما يعيدون به الكرة على الاسلام . وما ذلك الا لأن الرد اعتمد على ظروف تطبيق الحكم لأول مرة ولم يستند إلى العلة في الحكم . ولذلك نجد أن من أول ما يواجه به أعداء الاسلام حكم الارتداد على ضوء مثل هذا الرد هو قولهم بأن الظروف التي طبق فيها الحكم قد اختلفت وأصبحت غير موجودة الآن فلا مبرر إذن لاستمرار الحكم . وطالما أن الحكم كان لمواجهة مكيدة يهودية أخذت شكل فتنة جماعية فلماذا يطبق الحكم على الحالات الفردية والتي لا تمثل خطراً على الاسلام ؟ . إننا إذا اعتمدنا على جانب واحد من الأساس التاريخى لحكم الارتداد فاننا سنواجه بموقف صعب بلا شك وذلك ليس لعدم موافقة الحكم لظروف العصر وإنما لعدم استكمال باقي الجوانب التاريخية للحكم ولعدم البحث وراء العلة في الحكم ، فالأساس التاريخى بمفرده وعلى النحو الوارد في الرد السابق سيؤدى إلى تساؤل حول إمكانية مسايرة أحكام الشريعة الاسلامية بصفة عامة للتقدم والرقي الحضارى . فما معني أن الاسلام صالح لكل

زمان ومكان إذا لم تكن أحد أحكامه مستندة إلى ضرورة مستمرة من ضرورات الحياة ثم الا يخشي المسلمون أن يدخل أصحاب الديانات الأخرى مثل هذا الحكم في دياناتهم ويدعون بالباطل وليس كما قلنا بحق أن هناك من يكيد لهم ؟ ثم الا يستطيع اليهود الآن أن يكيدوا للاسلام بصورة أشد وأعمق خطراً ودون أن يحتاجوا إلى الدخول في الاسلام ؟ لقد استند البعض إلى الأساس التاريخي لحكم الارتداد ليتنصل من تطبيق الحكم إلاّ إذا إقترن الارتداد بالحرابة والفتنة والعصيان . ففي كتاب أركان حقوق الانسان وهو بحث مقارن في الشريعة الاسلامية والقوانين الحديثة للدكتور صبحي المحصاني جاء ما نصه :

« كرس الشرع حرية العقيدة في آيات عديدة ... » ولكن الشرع تحاشي الردة . ومعناها الرجوع عن الاسلام طوعاً . بالقول أو بالفعل . وحكم المرتد أن يعرض عليه الاسلام . لأن الاقرار بالحق يوجب التزام أحكامه . فان لم يتب . كان جزاؤه القتل . وذلك في قول جمهور الفقهاء ، عملاً بالحديث الشريف : « من بدل دينه فاقتلوه » . ثم أن هذه العقوبة لا تطبق على المرأة المرتدة في قول الامام أبي حنيفة . وفوق ذلك فقد اعتبر بعض العلماء أن الحديث المنوه به الذى هو من نوع الخبر الواحد يستوجب الشك في صحته لا سيما وأنه يبدو مخالفاً لمعني الآية الكريمة المتقدم ذكرها والتي تعلن أنه « لا إكراه في الدين » . وكذلك قال مفتي الأندلس ومحدثها محمد بن الفرج القرطبي المالكى . المعروف باسم ابن الطلاع . بأنه لم يقع في شيء من المصنفات المشهورة أن النبي ﷺ عاقب مرتداً أو

زنديقاً بالقتل ، ، غير أن الردة إذا اتخذت الصفة الجماعية . مقرونة بانشقاق المرتدين وخروجهم عن طاعة الدولة أو بالالتحاق بالعدو . فعندئذ يعتبر عملهم من نوع الفتنة المضرة بالمصلحة العامة . ويجيز قتالهم حتي يتوبوا ويرجعوا إلى إحترام لنظام والسلطة . وهذا ما فعله الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه . يوم حارب بعض الأعراب والقبائل عندما إنشقوا عن الدين بعد وفاة النبي ﷺ أو امتنعوا عن أداء فريضة الزكاة . فكان ذلك منهم ثورة وعصياناً وفتنة . ومعلوم أن الفتنة تؤلف خطراً على سلامة الدولة ، وتعد بعبارة القرآن الكريم نفسه ، أشد وأكبر من القتل . فاذن ليست الردة وحدها سبب القتال في هذه الحالة . بل هى الردة مقرونة بالحرابة والفتنة والعصيان . » هكذا يبرر الدكتور المحمصاني حكم الارتداد في صدر الاسلام ، وعليه فلا قتال للمرتدين ـ استناداً إلى ذلك ـ إلاّ إذا صاحب الارتداد حرابة وفتنة وعصيان وبذلك ينتهى الحكم بالقتل على المرتد الذى لم يتب طالما أنه فرد لم يسعى إلى فتنة .

وأنا لا أدعى لنفسي أنني سآتي بالرد الشافي على من حاج الاسلام في حكم الارتداد ولكني سوف استعين بالله واجتهد مخلص لدفع حجة باطلة عن الاسلام واني لأسأل الله تعالى أن يدفع عني بعلمه الخطأ ويدفعني برحمته إلى الصواب .

إن الموضوع يحتاج منا إبتداء إلى نظرة متأنية للمقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة ومن خلاصة هذه المقارنة الضرورية سيكون مدخلنا إلى علة حكم الارتداد وأهميته بل وحتميته في الاسلام .

وفي مقارنة الأديان يستلزم الأمر تناول الألوهية ثم الرسل ثم الكتب المنزلة لنرى موقف هذه الرسالات منها . فبالنسبة للألوهية نجد أن جميع الأديان السماوية جاءت بالتوحيد لقوله تعالى : ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى إليه أنه لا إله إلاّ أنا فاعبدون**﴾(الأنبياء ٢٥) .

ولكن اتباع الديانة اليهودية والمسيحية قد انحرفوا عن التوحيد إنحرافاً بعيداً فبنوا إسرائيل لم يستطيعوا أن يثبتوا على التوحيد في أى فترة من فترات تاريخهم الطويل . وقد أورد الدكتور أحمد شلبي في كتابه مقارنة الأديان أقوال بعض المفكرين والمؤرخين حول قضية الألوهية عند اليهود . فيقول ريناش أن اليهود اتخذوا بيوتهم أصناماً صغيرة كانوا يعبدونها ويتنقلون بها من مكان إلى مكان .

وأول ما استند إليه لدفع هذا البطلان هو خلاصة ما انتهت إليه الدراسات الموضوعية في مجال مقارنة الأديان والتي يظهر منها :

١ ـ أن اليهود لم يثبتوا على التوحيد في أى فترة من فترات تاريخهم الطويل . ولم يظهر التوحيد عندهم الا عندما أرادوا أن يميزوا أنفسهم كشعب مختار .

٢ ـ إن اليهود لم يتركوا لالٰههم الذى عبدوه أى صفة من صفات الكمال الا وسلبوها منه . فوصفوه بالتحيز والرعونة والضعف وحب اللهو . كما أنهم أدعوا أنه ندم على ما فعله بهم وأنه أمرهم بالسرقة .

٣ ـ إن اليهود نسبوا إلى أنبياء الله ورسوله أفظع التهم وأقذر

الأفعال وكذبوهم وقتلوهم .

٤ ـ إن اليهود حرفوا التوراة . واخفوا ما أخفوه منها . ونسوا بعضها . وبدلوا فيها حسب أهوائهم . وكتبوا بأيديهم وقالوا هذا من عند الله . فلم يعد هناك من التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام إلاّ الاسم فقط .

٥ ـ أباح اليهود لأنفسهم ارتكاب الجرائم والفواحش مع غيرهم مثل الزنا والربا والسرقة والقتل .

٦ ـ لم يكن المسيحيون أحسن حالاً من اليهود فقد جاء بولس بعقيدة التثليث . ثم أصدر البطارقة والأساقفة قراراً حددوا فيه الآلهة التي يعبدونها بألهين إثنين (الله والمسيح) . كما لم يعد هناك أثر لانجيل المسيح عليه السلام أو لما كتبه الحواريون . وقد أحل المسيحيون ما حرمه الله وحرموا ما أحله لهم .

٧ ـ أما عن النبي محمد ﷺ فهو عند المسلمين بشر رسول لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله . ولا يعلم الغيب . ولم يكتب له الخلد . وكان يتزوج النساء . وكان يصوم ويفطر ويقوم ويرقد . وكان حريصاً على المؤمنين وبهم رؤوف رحيم . ولم يكن فظاً غليظ القلب وكانت زوجاته أمهات المؤمنين . وكان على خلق عظيم . وكان يوحى إليه من الله ولم ينطق عن الهوى وكان لا يتحدث الا بخير . وجاهد في الله حق جهاده . وبلغ رسالة ربه وأدى الأمانة ونصح أمته ولم يترك خيراً الا ودل أمته عليه ولم يدع شراً إلاّ وحذرهم منه . وقد حرب الشرك والمشركين وحطم الأصنام ودعا إلى التوحيد فكانت أمته خير أمة أخرجت لنناس .

٨ ـ أما عن موقف المسلمين من جميع الرسل فهو أمر مرتبط ارتباطاً كاملاً بالأيمان . فلا يؤمن المسلم الا إذا آمن بجميع رسل الله ولم يفرق بين أحد منهم . وإن أول من آمن بجميع الرسل هو رسولنا محمد ﷺ لقوله تعالى : ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾[1] .

٩ ـ أما عن الكتاب المقدس عند المسلمين فهو القرآن الكريم . وهو محفوظ بحفظ الله وهو معجزة محمد ﷺ إلى يوم البعث . ومع تطور كل عصر وزمان يظهر جانب من جوانب هذه المعجزة ليستمر التحدى ﴿**فأتوا بسورة من مثله**﴾ . فعند نزول الوحى بالقرآن كان الجانب اللغوى من المعجزة ، فتحدى أرباب اللغة وفحولها . وفي عصر العلم توصل العلماء إلى ما جاء به القرآن من قرون عديدة ، ولم تظهر حقيقة علمية واحدة تتعارض مع القرآن الكريم . وفي هذا العصر ، عصر الأرقام والاحصاء ظهر الجانب الاحصائي والعددى المذهل والتناسق والتناسب الحسابي العجيب في القرآن الكريم[2] . والله وحده يعلم كم من جوانب أخرى لهذه المعجزة خافية علينا وسيظهرها الله سبحانه وقت يشاء لتستمر المعجزة وتثبت أن القرآن هو من عند الله ولم ولن يناله أحد بسوء .

ويقول ديورانت أن بني إسرائيل لم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل ، ولم يستطع موسي عليه السلام أن يمنعهم من

---

(١) سورة البقرة ـ آية رقم ٢٨٥

(٢) الاعجاز العددي للقرآن الكريم ـ د . عبد الرزاق نوفل .

عبادة العجل الذهبي لأن عبادة العجول كانت لاتزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر وظلوا زمناً طويلاً يتخذون هذا الحيوان القوى آكل العشب رمزاً لالهم . وقد كانت الحية معجزة موسي كما هو معروف ، ويروى العهد القديم أن موسي عمل حية من نحاس وأن بني إسرائيل عبدوها بعد ذلك . ويقول ديورانت أيضاً أن اليهود نظروا إلى موسي وهرون على أنهما ساحران ، ومن ثم إنتشر السحر بينهم إلى عهود متأخرة رغم احتجاج الأنبياء والكهنة .

ولم يكتف اليهود بما اتخذوه من آلهة وإنما عبدوا آلهة جيرانهم ويوضح لنا غوستان لوبون أن اليهود لم يستعيروا من جيرانهم في الاتجاهات الدينية والاجتماعية الا أحط ما كان عندهم فيقول : « عندما خرج هؤلاء البدويون الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم ليستقروا بفلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة من زمن طويل ، فكان أمر كأمر جميع العروق الدنيا التي تكون في أحوال مماثلة ، فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أخس ما في حضارتها ، أي لم يقتبسوا غير عيوبها وعاداتها ، ودعارتها وخرافتها ، فقربوا القرابين لجميع آلهة آسيا » .

كذا نرى أن اليهود لم يعبدوا الإله الواحد الخالق ، وما كان التوحيد عندما كان يظهر في ديانتهم الا ليخصوا أنفسهم باله واحد ليميزوا أنفسهم كشعب مختار لهذا الاله من دون شعوب الأرض . ولذلك فلم يكن هذا الاله عندهم كما أمرت به الديانة اليهودية وإنما هو اله غير معصوم من أخطاء البشر وصفاتهم . وأنه لمن سفالة اليهود أن يختاروا الصفات السيئة وينسبوها للأله . وأول ما نسبوا إلى الله

هو الظلم وعدم العدل فقد جاء في التوراة التي وضعوها بأيديهم بعد موسي عليه السلام : « أنا الرب الهكم الذى ميزكم عن الشعوب . تكونون لى قديسين لأني قدوس ، أنا الرب وقد ميزكم من الشعوب لتكونوا لى » وجاء فيها أيضاً : « إنك يا اسرائيل شعب مقدس لرب الهك . إياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعباً أخصي من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض . ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم . ولا لأنكم أقل من سائر الشعوب . بل من محبة الرب إياكم ، وحفظه القسم الذى أقسم لآبائكم » . وهناك مبررات كثيرة باطلة يرويها اليهود سبباً لهذا التمييز والخصوصية لشعبهم منها ما يقرره الباحث آرثر هرتزبرج[1] إنه في سيناء عندما تجلى الله لموسي ولبني إسرائيل تم زواج بين الله وبين إسرائيل وسجل عقد الزواج بينهما ، وكانت السموات والأرض شهودا لهذا العقد . ومن الصفات الأخرى التي ينسبوها بنو إسرائيل لالههم القسوة والرعونة والندم . ففي التلمود على لسان الههم جاء قوله : « تبالى لأني صرحت بخراب بيتي واحراق الهيكل ونهب أولادى » . وتصور التوراة موسي وهو ينصح الله فجاء فيها : « إن يهوه غضب على بني إسرائيل ، وقال لموسي : أتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم .... فراجعه موسي وقال له : إرجع عن حمو غضبك . واندم على الشر بشعبك . ماذا يقول عنك الناس إذا سمعوا بفعلتك ؟ ... فندم الرب على الشر الذى قال أنه يفعله بشعبه » .

---

(١) مقرنة الأديان ـ د . احمد شبي .

ومن الصفات التي الصقوها بالههم أيضاً أمره لهم بالسرقة فقد روت التوراة حادثة سرقة بني إسرائيل لحلى المصريين تنفيذاً لوصية الرب التي أوصي بها موسي وبلغها لقومه قبل خروجهم من مصر فعملوا بها . ولم يقف اليهود عند حد أن الله خصهم دون غيرهم من شعوب الدنيا ، ثم وصفوه بأقبح الصفات بل تمادوا في غيهم فقرر التلمود أنهم جزء من الله وأن أرواحهم جزء من روح الله ، وأنهم أحب إلى الله من الملائكة . ولقد انبني على ذلك أمور بالغة الخطورة وأولها أن كل ما يفعله اليهود مع غيرهم من جرائم هى واجب وحلال ومشروع بها ، بل الههم سيعاقبهم لو لم يرتكبوها مع غير اليهود . وفي مقابل ذلك فان أى اعتداء من غير اليهودى على اليهودى فهو اعتداء على الذات الالهية فمن صفع يهودياً فقد صفع الله ويستحق الموت . وقد انبني على ذلك أيضاً أن اليهود اعتبروا أنفسهم مالكين لكل ما في الأرض وما عليها من خيرات نيابة عن الاله ، فاذا سرق اليهودى مال غير اليهودى فلا يعتبر ذلك عندهم سرقة وإنما هو إسترداد لأموال اليهود من سالبيها . وأجيز لليهودى أن يبيع ما يملكه غير اليهودى . فأى اله هذا الذى عبده اليهود ؟ . إنه إله إخترعوه ليميزهم على شعوب الأرض ويملكهم كل ما على الأرض ، ويبيح لهم كل أمور الفسق ، ويسرع لهم ارتكاب أبشع الجرائم في حق غيرهم . أما هو في ذاته فلم يتركوا له صفة واحدة من صفات الكمال . ولم يكن المسيحيون أكثر تأدباً مع الله من اليهود . فقد أشرك المسيحيون في الألوهية ثلاثة : الله المسيح وروح القدس ، وهذه ليست مسيحية المسيح عيسي بن مريم عليه السلام

ولكنها مسيحية المبتدع الكافر يولس الذى قضي على الوحدانية وأدخل التثليث ، وقد استغل كل الظروف التي كانت مواتية له في ذلك الوقت ، فاتخذ التثليث عقيدة بين اليهود المتعصبة وبين الوثنية البدائية وقد أورد الدكتور شلبي في كتابه مقارنة الأديان بعض أقوال المؤرخين عن بولس منها قول المؤرخ ويلز : «كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا ـ المسيحية الحديثة ـ وهو لم يرى عيسي قط ولا سمعه يبشر الناس ، وكان إسم بولس في الأصل شاول ، وكان في بادىء الأمر من أبرز وأنشط المضطهدين لفئة الحواريين القليلة العدد . ثم اعتنق المسيحية فجأة وغير إسمه فجعله بولس . وقد أوتي ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة . كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية . فتراه على علم عظيم باليهودية والميتراسية وديانة ذلك الزمان التي تعتنقها الاسكندرية فنقل إلى المسيحية كثيراً من فكراتهم ومصطلح تعبيرهم . ولم يهتم بتوسيع فكرة عيسي الأصلية وتنميتها . وهى فكرة « ملكوت السموات » ولكنه علم الناس أن عيسي لم يكن المسيح الموعود فحسب ، ولا زعيم اليهود الموعود فقط . بل إنه إبن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر . فموته كان تضحية مثل مئات الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاصة البشرية .. » وقد استعارت المسيحية أشياء كثيرة من هذه الديانات كالقسيس الحليق وتقديم النذور ، والهياكل والشموع والتراتيل والتماثيل التي كانت لعقائد متراس والاسكندرية ، تبنت أيضاً حتي عباراتها في عباداتها وأفكارها اللاهوئية وراح القديس

بولس يقرب إلى عقول تلاميذه الفكرة الذاهبة إلى أن شأن عيسي كشأن أوزوريس كذن ربا مات ليبعث حياً ويمنح الدس الخلود » .

ويقول براى وهو عالم أوروبي كبير : « إن المسيحية الحالية هى من وضع بولس . وأنها ديانته وهو منشئها ويقول » وكان عيسي يهودياً وقد ظل كذلك أبداً ولكن شاءول (بولس) كون المسيحية على حساب عيسي . فشاءول هو في الحقيقة مؤسس المسيحية . وقد أدخل بولس على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب له العامة من اليهود . كما أدخل صورا من فلسفة الاغريق ليجذب اتباعاً له من اليونان » ـ ويبين قاموس الكتاب المقدس التثليث بصورة قاطعة في هذا النص « طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية : الله الأب والله الابن . والله الروح القدس . فالى الأب ينتمى الخلق بواسطة الابن . والى الابن الفداء . وإلى الروح القدس التطهير . غير أن الثلاثة الأقانيم تتقاسم جميع الأعمال على السواء » .

ومن أعجب ما قام به الانسان حتي الآن في قضية الألوهية أن يصدر قراراً يحدد فيه الآلهة التي يعبدها . ففي عام ٣٢٥ صدر قرار البطارقة والأساقفة من خلال مجمع نيقية حدد فيه الهين إثنين (الله والمسيح) . ونص القرار هو : [١] « نؤمن بالله الواحد ، الأب . مالك كل شيء . وصانع ما يرى وما لا يرى . وبالأبن الواحد يسوع المسيح . إبن الله الواحد . بكر الخلائق كلها . الذى ولد من

---

(١) مقارنة الاديان ـ د . احمد شلبي .

أبيه قبل العوالم ، كلها ، وليس بمصنوع ، اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه الذى بيده اتقنت العوالم ، وخلق كل شيء . من أجلنا ومن أجل معشر الناس ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ، وحبل به وولد من مريم البتول ... وصلب أيام بيلاطوس ، ودفن ، ثم قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء ، وجلس على يمين أبيه » .

« والجامعة المقدسة الكنسية الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن إبن الله موجوداً فيه وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لا شيء ، أو من يقول : أن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الأب ، وكل من يؤمن أنه خلق ، أو من يقول أنه قابل للتغيير » .

إذن فلا اليهود ولا المسيحيون وهم على ما هم عليه الآن عرفوا حقيقة التوحيد . أما المسلمون فالههم هو الله الواحد الأحد ، الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد . الله عند المسلمين واحد لا شريك له ليس كمثله شيء ولا تدركه الأبصار ، ولا يحيط احد به علما . وهو منزه سبحانه عن صفات العباد . سبحانه وتعالى عما يشركون علواً كبيراً . ومن نصوص القرآن الكريم في هذا الشأن : **﴿والهكم إله واحد لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم﴾**[1] **﴿وما من إله إلاّ إله واحد﴾**[2] **﴿إنما الله إله واحد**

(١) سورة البقرة ، آية رقم ١٦٣

(٢) سورة المائدة ، آية رقم ٧٣

سبحانه أن يكون له ولد﴾[1] **﴿وقال الله لا تتخذوا الٰهين إثنين إنما هو إله واحد﴾**[2] **﴿إنني أنا الله لا إله إلاّ أنا﴾**[3] **﴿فاعلم أنه لا إله إلاّ الله واستغفر لذنبك﴾**[4] **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**[5] **﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**[6] **﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما﴾**[7] **﴿اني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء﴾**[8] . فأى شريعة إذن يمكن أن تستقيم مع فطرة الانسان ؟ الشريعة التي يدعى المتنسبون إليها الآن أن الههم قد تزوج من نبيهم وفضل شعبهم على العالمين ؟ أم الشريعة التي يدعى المتنسبون إليها الآن أن الههم أنجب لهم إله إبن ونزل هذا الاله الابن إلى الأرض ليكفر عنهم خطيئة أبيهم وأن الناس ستقف أم كرسي هذا الاله الابن يوم الحشر ليحاسبهم ؟ هذه الشرائع التي كتبت بأيدى الكفرة والمنافقين هي االحق المتفق مع فطرة الانسان أم الشريعة التي أنزلها الله على محمد ﷺ وتكفل سبحانه أن يحفظها ؟ إن الأمر لا يحتاج الآن إلى مزيد من تعليق فالى النقطة التالية في هذه المقارنة الضرورية وهى الرسل .

لقد تعددت الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله إلى اليهود وما

---

(١) سورة النساء ، آية رقم ١٧١
(٢) سورة النحل ، آية رقم ٥١
(٣) سورة طه ، آية رقم ١٤
(٤) سورة محمد ، آية رقم ١٩
(٥) سورة اشورى ، آية رقم ١١
(٦) سورة الانعام ، آية رقم ١٠٣
(٧) سورة طه ، آية رقم ١١٠
(٨) سورة الانعام ، آية رقم ١٠١

ذلك الا لكثرة مرات شركهم . وكان كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا فكانوا يكذبوهم ويقتلوهم كما ذكر القرآن الكريم . ولقد ظل اليهود على عهدهم بالصاق النقائص إلى الله ورسوله . فكم من تهمة بشعة ألصقوها بنبي كريم وأولهم أبو الأنبياء خليل الله إبراهيم فقد جاء في سفر التكوين « إنه عندما قرب إبرام من دخول مصر قال لساراى إمرأته : إني قد علمت أنك إمرأة حسنة المنظر فيكون إذا راك المصريون إنهم يقولون هذه إمرأته . فيقتلوني ويستبقونك . قولى إنك أختي ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك » وعندما دخل مصر أخذت إلى بيت فرعون وصنع لابرام خيرا بسببها . وضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ما رأى إمرأة ابرام . فدعا فرعون إبرام وقال لما لم تخبرني إنها إمرأتك ؟ لماذا قلت إنها أختي حتي أخذتها لتكون لى زوجة والآن هو ذا إمرأتك خذها وأذهب »[1] . أهذا هو الحق أم ما قاله القرآن الكريم عن أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام : ﴿ **أن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين**)[2] وقال (إن إبراهيم لحليم أواه منيب)[3]وقال (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيا﴾[4] وقال ﴿**واتخذ الله ابراهيم خليلا**﴾[5] . وعن اسحاق ويعقوب عليهما السلام تروى التوراة[6] أن اسحاق تزوج

---

(١) سورة النحل . آية رقم ١٢٠
(٢) سورة هود . آية رقم ٧٥
(٣) سورة مريم . آية رقم ٤١
(٤) سورة النساء . آية رقم ١٢٥
(٥) مقارنة الاديان ــ د . شلبي
(٦) مقارنة الاديان ــ د . شلبي

من إمرأة اسمها رفقة فحملت منه وأنجبت توأمان الأول أحمر كله كفروة شعر فدعوا اسمه عيسو وأصبح بكر أبيه والثاني خرج من بطن أمه بعد أخيه قابضاً بعقبه فدعى اسمه يعقوب . وكبر الغلامان وكان اسحاق يحب عيسو وأما رفقة فكانت تحب يعقوب . وطالما حاول يعقوب أن يحل محل أخيه في البكورية وتقول التوراة أن يعقوب طلب من عيسو أن يبعيه بكوريته مقابل بعض الطعام . ويصف سفر التكوين أعمال يعقوب عليه السلام بالشطط والكذب لينال ما ليس له ويروى قصة احتيال يعقوب على أبيه بمساعدة أمه في أن يأخذ مكان أخيه عيسو ليباركه أبيه اسحاق قبل موته بدلاً من مباركة أخيه . وأن اسحاق باركه قائلاً : « فليعطيك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض ، حنطة وخمر . لتستعبد الشعوب وتسجد لك قبائل . كن سيد لأخوانك ، وليسجد لك بنوا أمك ليكن لاعنوك ملعونين . ومباركوك مباركين » وتورد التوراة بعضاً مما يجرى في بيت يعقوب عليه السلام فتقول زوجته (راحيل) كانت وثنية ، حتي بعد أن مضت عدة سنوات على زواجها منه . وقد بلغ من ثنيتها وأخلاقها أنها سرقت أصنام أبيها وفرت بها هاربة من بيت أبيها مع زوجها إلى فلسطين . وتذكر التوراة أيضاً أن (أوبين إبن يعقوب البكرزني ببلهة زوجة أبيه وأم أخوته دان ونفتالى . وشاع الخبر حتي سمعه يعقوب . وغير ذلك من الوقائع المشينة التي لا يتصور المرء أن تقع في أفحش البيوت على الأرض وليس بيت رسول .

أهذا هو الحق أم ما قاله القرآن الكريم عن اسحاق ويعقوب

عليهما السلام ﴿ **ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا** ﴾[1] وقال ﴿**ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين**﴾[2] وقال ﴿**وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين**﴾[3] وقال ﴿**أم كنتم شهداء إذا حضر يعقوب الموت إذ قال لبنية ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون**﴾[4] . وعن موسي وهارون عليهما السلام تروى الوراة حادث سرقة بني إسرائيل لحلى المصريين تنفيذاً لوصية الرب التي أوصي بها موسي وبلغها موسي لقومه فعملوا بها . أما هارون فان التوراة تروى إنه استجاب لقومه حينما استبطأوا موسي وطلبوا منه أن يقيم لهم الها يعبدونه فأخذ منهم هارون اقراط الذهب وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً . أهذا هو الحق أم ما جاء في القرآن الكريم عن موسي وهارون عليهما السلام . ﴿**واذكر في الكتاب موسي إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبيا**﴾[5] وقال ﴿**سلام على موسي وهارون . انا كذلك نجزى المحسنين . إنهما من عبادنا المؤمنين**﴾[6] . أما عن قصة هارون عليه السلام مع بني إسرائيل بعد أن تركهم موسي إلى ميقات ربه فيقول

---

(١) سورة الانعام ، آية رقم ٨٤
(٢) سورة الانبياء ، آية رقم ٧٢ - ٧٣
(٣) سورة الصافات ، آية رقم ١١٢
(٤) سورة البقرة ، آية رقم ١٣٣
(٥) سورة مريم ، آية رقم ٥١
(٦) سورة الصافات ، آية رقم ١٢٠ - ١٢٢

فيها القرآن الكريم : ﴿**ولما رجع موسي إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال إبن أم إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين**﴾ (١) .

أما عن داود عليه السلام فيروى سفر راغوث قصة نسبه ويبين أنه لم يكر إسرائيلياً خالصاً ويقول د . شلبي : « وأهمية هذا النسب خطيرة بالنسبة للفكر اليهودى فان القوانين اليهودية تعتبر السلالة من ناحية : الأم هى السلالة التي يعتمد عليها في نقاء الدم اليهودى . ويعتبر (غير نظيف) عند اليهود من اختلط دمه ، وغير يهودى من كانت أمه غير يهودية . ويبين الكتاب المقدس (٢) أن داود أرسل قائده يؤاب وجنوده ومن بينهم جندى اسمه أوريا فخربوا بني عمون وحاصروا ربه وأما داود فأقام في أورشليم وزني بزوجة الجندى أوربا . وادركت المرأة بعد ذلك أنها حملت من داود فزوجها بعيداً في المعركة . فأرسلت لداود وأخبرته فأرسل داود إلى قائده يؤاب رسالة طلب منه فيها جعل الجندى أوربا في وجه الحرب الشديدة وتركه ليقتل فنفذ القائد ما أمر به وقتل أوريا ثم ضم داود زوجة أوربا إلى بيته وصارت له إمرأة وولدت له أبنا هو سليمان . ويختم الاصحاح هذه القصة بقول : « وأما الأمر الذى فعله داود فقبح في عيني الرب » . ويتحدث العهد القديم عن حادثة وقعت في بيت داود وتتلخص في أنه كان لابشالوم بني داود شقيقة جميلة اسمها

---

(١) سورة الاعراف ، آية رقم ١٥٠

(٣) سورة النمل ، آية رقم ١٥

ثامار أحبها أخ لها من أبيها اسمه أمنون وزني بها ولما عرف شقيقها أبشالوم ذلك دبر مكيدة لقتل أمنون .

أهذا هو الحق أم ما قاله القرآن الكريم عن داود عليه السلام : **﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾**[1] أما عن سليمان عليه السلام فينسب له الكتاب المقدس إنحرافات دينية منها ما جاء في الاصحاح عشر من سفر الملوك الأول :[2]

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، مؤابيات وعمونيات وأدرميات وصيدونيات وحيثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون الهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبهم وراء الهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكان له سبعمائة من النساء السيدات ، وثلاثمائة من السرارى . فأمالت نسائه قلبه . وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نسائه أملن قلبه وراء الهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب الهه كقلب داود أبيه .

ويستمر الاصحاح في قوله : « فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب اله إسرائيل الذى ترائي له مرتين . وأوصاه في هذا الأمر ألا يتبع الهة أخرى فلم يحفظ ما أوصي به الرب .

أهذا هو الحق أم ما قاله القرآن الكريم عن سليمان عليه السلام عندما سمع قول النملة وفهمه : **﴿فتبسم ضاحكاً من قولها وقال ربي**

(١) مقارنة الاديان ـ د . شلبي
(٢) مقارنة الاديان ـ د . شلبي

أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾[1] . وعندما أحضر إليه عرش بلقيس قال : **﴿قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم﴾**[2] . هكذا كان اليهود أشر الناس على رسلهم ثم جاء المسيحيون ليألهوا رسولهم .

يقول الدكتور شلبي في كتابه مقارنة الأديان :

« ليس المسيح في نظر المسيحيين إنساناً ولد على الطريقة التي ذكرناها من قبل بل هو تكوين آخر . إنه إبن الله الأزلى . وهو كالأب أزلى أيضاً . فليس بينه وبين الله فرق في الزمن . والله الأب غضب على الجنس البشرى بسبب خطاياهم وبخاصة خطيئة أبيهم آدم التي أخرجته من الجنة . ولكن مع غضب الله على الجنس البشرى فهو رحيم . يريد أن يمحوا هذا الذنب ويعيد رضاه عن الناس . فأرسل إبنه ووحيده إلى الأرض حيث دخل رحم مريم العذراء البتول . وولد كما يولد الأطفال وتربي كالأطفال حتي بدأ إنساناً كالبشر ثم صلب ظلماً على الصليب . لا لأنه ارتكب خطأ في حق الرومان أو اليهود بل ليكفر عن اثم آدم الذى أصبح المسيح كأنه أحد أبنائه . فكأنه احتمل بعض مسئولية عصيان أبيه آدم . »

هذا حق أم ما يقوله القرآن الكريم عن المسيح عليه السلام :

---

(١) سورة النمل . آية رقم ١٩

(٢) سورة النمل . آية رقم ٤٠

﴿ما المسيح إبن مريم إلاّ رسول قد خلت من قلبه الرسل﴾ (١) **﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق إنما المسيح عيسي إبن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة إنتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفي بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون﴾** (٢) .

وعن الرسل عموماً وآبائهم وذرياتهم واخوانهم يقول القرآن الكريم : **﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسي وكذلك نجزى المحسنين . وزكريا ويحى وعيسي والياس كل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين . ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون . أولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين . أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده . قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو الا ذكر للعالمين﴾** (٣) . وقد أمر المسلمون بالايمان

---

(١) سورة المائدة ـ آية رقم ٧٥

(٢) سورة النساء ـ آية رقم ١٧١ ـ ١٧٢

(٣) سورة الانعام ـ آية رقم ٨٣ ـ ٩٠

بجميع الرسل وعدم التفرقة بينهم لقوله تعالى : ﴿**قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسي وعيسي والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**﴾ [1] هكذا يكون الايمان بالرسل واحترام قدرهم واتباع ما جاءوا به فقد جاءوا بالحق وقالوا إنا بشر لقول الله تعالى : ﴿**لقد جاءت رسل ربنا بالحق**﴾ [2] وقوله : ﴿**قالت لهم رسلهم إن نحن إلاّ بشر مثلكم**﴾ [3] أما عن الرسول محمد ﷺ عند المسلمين فهو أول من آمن برسل الله لقول رب العالمين : ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾ [4] .

ومحمد ﷺ عند المسلمين بشر رسولاً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا إلاّ ما شاء الله ولا يعلم الغيب . ولم يكتب له الخلد . وكان يتزوج النساء وكان يأكل ويشرب ويصوم . وكان يقوم الليل وينام . وكان حريصا على المؤمنين وبهم رؤوفاً رحيماً . ولم يكن فظاً غليظ القلب . وكانت زوجاته أمهات المؤمنين . وكان على خلق عظيم . وكان يوحى [illegible] . وكان لا يتحدث الا بخير . وجاهد في الله حق جهاده . و[illegible]

(١) سورة آل عمران . آية رقم ٨٤
(٢) سورة الأعراف . آية رقم ٤٢
(٣) سورة إبراهيم . آية رقم ١١
(٤) سورة البقرة . آية رقم ٢٨٥

وأدى الأمانة ، ونصح أمته . ولم يترك خيراً الا ودل أمته عليه ، ولم يدع شراً الا وحذرهم منه . وقد حارب الشرك وحطم الأصنام ودعى إلى التوحيد ، وكانت أمته خير أمة أخرجت للناس فصلاة الله وسلامه عليه . ومن نصوص القرآن الكريم عن النبي ﷺ قول الله عز وجل آمراً نبيه : ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ انما الهكم إله واحد**﴾[1] وقوله : ﴿**قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرا إلاّ ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء**﴾[2] وقوله : ﴿**قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشدا**﴾[3] وقوله : ﴿**قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا**﴾[4] وقوله : ﴿**قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا**﴾[5] . كلها أوامر من الله أن يقول رسوله للناس أجمعين ما معناه أنه بشر ولا حول ولا قوة له إلاّ بالله العلى العظيم .

أما النقطة الثالثة في هذه المقارنة فهى عن الكتب السماوية المنزلة على السل . ويهمنا في مجال المقارنة البحث وراءها لأنها الجوهر الذى يعطى للدين شرعية الاستمرار . فالكتاب السماوى ينزل على الرسول بشرع ومنهج يعالج شؤون الدين والدنيا ، فاذا اختفي كتاب أحد الأديان أو حرف للدرجة التي تخفي أحكامه فانه لا معني لاستمرار الدين ولا فائدة منه إلاّ إذا كانت هناك فوائد خاصة

---

(١) سورة فصلت ، آية رقم ٦ وسورة الكهف ، آية رقم ١١٠
(٢) سورة الاعراف ، آية رقم ١٨٨
(٣) سورة الجن ، آية رقم ٢١
(٤) سورة الجن ، آية رقم ٢٢
(٥) سورة الاسراء ، آية رقم ٩٣

لمن حرفوه وأنه لمن مشيئة الله وفي علمه سبحانه ما حدث للديانة اليهودية والمسيحية . فلم تكن مشيئته حفظ هذه الديانات إلى آخر الزمان والا لحفظت بقدرته ـ تعالى مهما إمتدت إليها من أيدى وحاولت النيل منها .

لقد كان في علمه الأزلى أن هناك دينة أخرى سيرسل بها سبحانه محمد ﷺ لتكون خاتمة الأديان . وطالما أنه لا دين بعد دين الاسلام فكان لا بد من حفظ هذا الدين . والبشر لا يمكن أن يؤتمنوا على حفظ رسالة سماوية ورسالة خاتمة أراد الله لها أن تستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . لذلك تكفل العليم الخبير بحفظها فجاء قوله سبحانه : ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[1] . فما بالنا برسالة الله حافظها . وكتاب قال الله عنه : ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾[2] . ومحنة هذا الكتاب مع أعدائه إنه كشف ما أرادوا إخفائه فقد كشف القرآن الكريم ماقام به أعداء الديانات السابقة من تحريف للكلم عن مواضعه وقد أشار إلى من يكتبون بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً . وهذا التحريف والكتب الموضوعة أشار إليها القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً . وقد تم هذا التحريف قبل نزول القرآن الكريم بقرون أيضاً . فما بالنا بما هو بين أيدى اليهود والمسيحيين الآن من كتب يدعون قداستها . لقد ذكرنا بعض ما وضعوه في كتبهم عن الله وعن الرسل والأنبياء يقول دكتور

---

(١) سورة الحجر . آية رقم ٩
(٢) سورة فصلت . آية رقم ٤٢

شلبي بعد دراسات عميقة وجيدة عن أسفار اليهود كانت خلاصتها : « إتضح لنا أن الفساد سرعان ما تطرق لبني إسرائيل بعد موسي ، واتضح لنا كذلك أن أسفار العهد القديم كتبت متأخرة ، أى في عهد الفساد والاضطراب ، وإن كتابها ليسوا هم الذين اسندت لهم هذه الأسفار وليس الوحى مصدراً لهذه الأسفار . والنتيجة الواضحة لكل هذه المقدمات أن اليهود كتبوا التوراة إنعكاساً لاخلاقهم ولآمالهم . **وكذا كتبت أسفار العهد القديم باسم الله والله منها برىء ، إنها في الحقيقة صدى لانفعالات اليهود وأحاسيسهم** » . « **ولهذا السبب ولسبب كثرة الكتاب الذين إشتركوا في تدوين العهد القديم ، كثرت الأخطاء فيه** » .

ولم يبق لنا الآن إلاّ أن نعرض نصوصاً مما وضعوه في كتبهم لتكون شريعة للبشر ، سنورد بعضها لنرى هل هى شريعة تصلح لذلك . أم هى شريعة لا يمكن أن يقبلها من يعيشون حتي في الغابات .

فيالتلمود يقولون عن العلاقة بين اليهودى وغير اليهودى إن الله لا يغفر ذنباً ليهودى يرد للأمى (أى لغير اليهودى) ماله المفقود . والربا والغش والحلف الكذب كله مباح مع غير اليهودى ، بل وممنوع أن يقرض اليهودى الأجنبي الا بالربا . ومحرم على اليهودى أن ينجى أحد من الهلاك . بل إذا رأى غير اليهودى يقع في حفرة لزمه أن يسدها بحجر . وفي التلمود أيضاً أن من العدل أن يقتل اليهودى غير اليهودى لأنه بذلك يقرب قرباناً إلى الله . وفيه أن اتيان زوجات الأجانب جائز وكل عقد نكاح عند الأجانب فاسد لأن المرأة التي لم

تكن من بني إسرائيل هى بهيمة . والزواج عندهم صفقة شراء تعد المرأة بها مملوكة والمرأة المتزوجة كالقاصر والصبي والمجنون لا يجوز لها البيع والشراء . وينص الفكر اليهودى على أن جميع مال المرأة ملك زوجها وأن المرأة لا ترث . ويقول الرباني (أيدل)[1] « إن غير اليهودى لا يختلف بشيء عن الخنزير البرى (ولهذا) فالمرأة اليهودية التي تخرج من الحمام عليها أن تستحم ثانية إذا وقع نظرها لأول مرة على نجس كالكلب والحمار والمجنون وغير اليهودى . والجمل والخنزير والحصان والأبرص » ويعين التلمود يوماً كل فترة يسمى يوم الغفران العام وفيه يمحى ما ارتكبه اليهودى من ذنوب . هذا هو التلمود الذى يعتبره أكثر اليهود كتابا منزلا ويضعونه في منزلة التوراة . ولا يقنع بعض اليهود بهذه المكانة للتلمود . بل يضعون هذه الروايات الشفوية في منزلة أسمى من التوراة . وفى كتاب « اليهود يجب أن يعيشوا لصموئيل روث يقول : — إن كتاب الصلاة اليهودى يعتبر سفاح القربي والاجتماع للزنا الجماعى من الذنوب المغفورة لديهم إذا تم ذلك في يوم (كيبور)[2] . » هل من هذه النصوص السابقة وغيرها كثير وكثير — ما يدل على أنها من عند الله ؟

وهل فيها ما يصلح لأن يكون شريعة بين الناس ؟ أليست هذه تشريعات موضوعة بمعرفة أخس وأحط أنواع البشر ؟

وإذا كانت اليهودية على هذا الحال فان المسيحية لا تقل عن ذلك فنحن لا نرى أثراً لمسيحية المسيح عيسي بن مريم الآن . ولقد

---

(١) المذاهب المعاصرة — د . عبدالرحمن عميرة

(٢) المذاهب المعاصرة — د . عبدالرحمن عميرة

أفنيت الأناجيل التي تعارض إتجاه بولس مبدل مسيحية المسيح وفي مقدمة ذلك إنجيل المسيح ثم ما كتبه الحواريون ولم يكتف بولس بوضع مبادىء المسيحية وشعائرها بل شرع قوانين للمسيحيين يتبعونها في حياتهم العامة . فهو الذى أوصي بما نراه اليوم في الكنائس من التسابيح والأغاني الروحية والمزامير والتراتيل . ويقول بعدم وجوب الختان . وقد أورد باحث غربي في ختام دراسته عن الأناجيل العبارة التالية :[1] « إن فلسفة الأغريق والقانون الروماني جعل الانجيل لا يمثل حقيقته . كما أثر في تدوينه ، والباحث المنصف في تاريخ الكنيسة لا يستطيع ولا للحظة واحدة أن يفكر أن آراء مزيفة . وأغراضاً غير كريمة . ومقاصد خاطئة . كانت أسباباً رئيسية مسيطرة أحياناً . دفعت إلى هذا التبديل الذى حدث في الأناجيل » .

والمسيحيون رغم تقديسهم للتوراة فلم يتبعوها . فأحلوا منها ما حرمته ولم يلزموا حدودها . وغيروا ما شاءوا من نصوص التوراة وأحياناً فسروا التوراة بما يناسب الانجيل .

والخلاصة بعد الاطلاع على بعض نصوص الكتب المقدسة عند اليهود والمسيحيين نجد أن هذه الديانات لم يبق منها سوى اسمها فقط أما ما أوحاه رب العالمين لرسل هذه الديانات فذهبت حيث يعلم الله فعنه ما نسوه ومنه ما بدلوه ومنه ما أخفوه ومنه ما حرفوه . لذلك نجد أقوال معظم المؤرخين والباحثين وعلماء الدين تؤيد

(١) مقارنة الاديان ـ د . احمد شلبي .

هذا . يقول العالم الكبير أبوالحسن الندوى في كتابه ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » وهو يستعرض ما كانت عليه الديانات السماوية قبل بعثة محمد ﷺ ، أصبحت الديانات العظمى فرية العابسين والمتلاعبين ولعبة المنحرفين والمنافقين . حتي فقدت روحها وشكلها . فلو بعث أصحابها الأولون لم يعرفوها » ويقول : « لم تكن المسيحية في يوم من الأيام من التفصيل والوضوح ومعالجة مسائل الانسان . بحيث تقوم عليه الحضارة . أو تسير في ضوئه دولة . ولكن كان فيها إثارة من تعليم المسيح . وعليها مسحة من دين التوحيد البسيط . فجاء بولس فطمس نورها . وطعمها بخرافات الجاهلية التي إنتقل منها . والوثنية التي نشاء عليها . وقضي قسطنطين على البقية الباقية . حتي أصبحت النصرانية مزيجاً من الخرافات اليونانية والوثنية والرومية والافلاطونية المصرية والرهبانية » .

« وبالجملة لم تكن على ظهر الأرض أمة صالحة المزاج . ولا مجتمع قائم على أساس الأخلاق والفضيلة ولا حكومة مؤسسة على أساس العدل والرحمة . ولا قيادة على العلم والحكمة . ولا دين صحيح مأثور عن الأنبياء هذا ما كانت عليه الديانات السماوية قبل رسالة محمد ﷺ . فما هو الوضع الآن ؟ يقول العالم أبو الحسن الندوى : « فلا شك فيه أن دين أوروبا اليوم الذى يملك عليها القلب والمشاعر ويحكم على الروح هو المادية لا النصرانية » « تحولت أوروبا النصرانية جاهلية . مادية ، تجردت من كل ما خلفته النبوة من تعاليم روحية . وفضائل خلقية . ومبادىء إنسانية . وأصبحت

لا تؤمن في الحياة الشخصية إلاّ باللذة والمنفعة المادية . وفي الحياة السياسية الا بالقوة والغلبة . وفي الحياة الاجتماعية الا بالوطنية ـ المعتدية . والجنسية الفاحشة . وثارت على الطبيعة الانسانية والمبادىء الخلقية . وشغلت بالآلات . واستهانت بالغايات . ونسيت مقصد الحياة . وبجهادها المتواصل في سبيل الحياة وسعيها الدؤوب في الاكتشاف والاختبار مع الاستهانة بالتربية الخلقية وتغذية الروح ، وجحودها بما جاءت به الرسل . وانغماسها في المادية وبقوتها الهائلة مع فقدان الوازع الديني والحاجز الخلقي ، فيلا هائجاً ، يدوس الضعيف ويهلك الحرث والنسل » .

هذه هي الحالة التي عليها اليهودية والمسيحية الآن بعد أن حرفوا ما أنزل الله . فماذا عن الكتاب المقدس عند المسلمين ؟ إن أول ما يتميز به القرآن الكريم هو أن الله سبحانه وتعالى جعله معجزة محمد ﷺ . فكل رسول أتي إلى قومه أيده الله بمعجزة إنتهت بانتهاء تأثيرها على من شاهدوها . ثم جاء سيد المرسلين محمد ﷺ إلى العالم كله بمعجزة دائمة ما دامت الحياة ، ومحفوظة من أى تحريف أو عبث بحفظ الله . هذه المعجزة وحدها فيض من المعجزات . تحدى رب العالمين بها الانس والجن فقال : ﴿ **قل لئن إجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**﴾ [١] وقال سبحانه : ﴿**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله**

---

(١) سورة الاسراء ـ آية رقم ٨٨

إن كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾[1] . هذا التحدى كان للعرب الذين برعوا في لغة القرآن . وهو كذلك تحدى للعالمين إلى يوم الدين . ومهما تعددت المجالات التي يظهر الله فيها ما منحه للانسان من قدرات . فإ عصرنا هذا عصر الاحصاء والأرقام نلمس في القرآن هذا التحدى الذى بدأ منذ أربعة عشر قرناً . فيي كتاب الأستاذ الدكتور الرزاق نوفل الاعجاز العددى للقرآن الكريم آيات عديدة من القرآن تظهر توازن رقمى وتناسب بحسابي مذهل . فمن ذلك :

١ ــ لفظ (الدنيا) ولفظ (الآخرة) ذكر كل منهما في القرآن ١١٥ مرة .

٢ ــ لفظ (الملائكة) ولفظ (الشياطين) ذكر كل منهما في القرآن ٦٨ مرة .

٣ ــ لفظ (النطفة) ولفظ (الطين) ذكر كل منهما في القرآن ١٢ مرة .

٤ ــ لفظ (الفعل) ولفظ (الأجر) ذكر كل منهما في القرآن ١٠٨ مرة .

٥ ــ لفظ (الرحيم) ذكر ١١٤ مرة ولفظ (الرحمن) ذكر نصف ذلك العدد أى ٥٧ مرة .

٦ ــ لفظ (المغفرة) ذكر ٢٣٤ مرة ولفظ (الجزاء) ذكر نصف

(١) سورة البقرة . آية رقم ٢٣ ــ ٢٤

ذلك العدد أى ١١٧ مرة .

٧ ـ لفظ (الأبرار) ذكر ٦ مرات ولفظ (الفجار) ذكر نصف ذلك العدد أى ٣مرات .

٨ ـ لفظ (القرآن) ومشتقاته ولفظ (الاسلام) ومشتقاته ولفظ (الوحى) ومشتقاته ذكر كل منهما ٧٠ مرة .

٩ ـ لفظ (الشدة) ومشتقاتها ولفظ (الصبر) ومشتقاته ذكر كل منهما في القرآن ١٠٢ مرة .

١٠ ـ لفظ (إبليس) ذكر ١١ مرة وكذلك الأمر بالاستعاذة منه ١١ مرة .

هذا قليل مما ذكره الدكتور عبدالرازق نوفل عن الاعجاز العددى . وهو كما قال : « الاعجاز الايجابي والمادى الذى لا تختلف الآراء حوله .. ولا يقوم النقاش فيه .. ولا يثار الجدل عنه إذ أن لغة الأرقام هى الفاصلة ، وأحاديث الاعداد والحسابات قاطعة » . ونحن بدورنا نقول إن ما توصل إليه البشر حتي الآن من معجزات القرآن قليل ، فهناك الكثير الكثير مما لم يرد الله إظهاره بعد . ولا يهمنا البحث وراء الأرقام ومدلولاتها في القرآن الكريم إلاّ بالقدر الذى يثبت الايمان ويظهر أن القرآن العظيم محفوظ بحفظ الله ، وإنه ليس من صنع بشر . ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً** ﴾[1] . فهذا القرآن لو تبدل أو تغير أو إنتقل منه حرف واحد من مكانه لما وجدنا مثل هذا التوازن العجيب الدقيق . وإن كان كل هذا يدل على شيء فانما يدل على أن هذا كلام الله .

---

(١) سورة النساء ، آية رقم ٤ .

النقطة الأخيرة في موضوع هذه المقارنة بين الديانات السماوية هو بيان آثار تحريف ماجاءت به الأديان ، وآثار ابتعاد الناس عن الدين الحق كما أراده الله رب العالمين . إن أول أثر سيء للابتعاد عن الدين هو ظهور بعض العقائد والأفكار والمذاهب الفاسدة . ومن ذلك قديماً ما ادعاه البعض من نبوة وألوهية كما هو الحال في البهائية والبابية والقاديانية ، أما حديثاً فهناك النظرة المادية للوجود ، وإنكار الله ، والتحلل من القيم ، وإشاعة الفوضي والفساد . وكل هذه أفكار يهودية تضمنتها الماسونية والشيوعية وغيرها من النظم والمنظمات . والبهائية تنسب إلى البهاء واسمه (الميرزا حسين على) وقد ادعى النبوة ثم الألوهية ، وادعى إنه قد أنزل عليه كتاب ناسخ للشرائع السابقة اسمه « الأقدس » . أما البابية فتنسب إلى الباب واسمه (ميرزا على محمد) وقد ادعى إنه المهدى ثم ادعى النبوة فالألوهية . وقال إنه أنزل عليه قرآن أفضل مما أنزل على محمد ﷺ ، وادعى أن البشر لا يستطيعون أن يأتوا بحرف من قرآنه . وقد الغى الباب الصلاة وحرم قراءة القرآن فحرقت المصاحف . أما القاديانية والتي قام بها (مرزا غلام أحمد) الذى ادعى النبوة أيضاً فقد ارتبطت دعوته الفاسدة منذ نشأتها بالاستعمار ، لذلك كان أول ما حرمته هو الجهاد . وعموماً فان مثل هذه العقائد والدعوات لم يعد لها أثر الآن لأنها أصبحت عقيمة وواهية ، فلم يعد هناك من يؤيدها بفاعلية أو يقيم لها وزناً .

أما الأفكار اليهودية التي قامت عليها بعض النظم والمنظمات في هذا العصر ، فهذه هي مكمن الخطر كله ، ليس على المسلمين فقط

إنما على البشرية جمعاء .

فالماسونية كما يقول الدكتور عبدالرحمن عميرة في كتابه المذاهب المعاصرة : يقصد بها البنائون الأحرار . وكان إسم هذه الجمعية في عهد التأسيس الأول « القوة الخفية » وقد نشأت على الأرجح في بداية القرن الأول الميلادى .

وهى مؤسسة يهودية وفي عام ١٧٧٠ إتصل كبار رجال الماسونية بـ (آدم وايزهاويت) وكلفوه بمراجعة « بروتوكلات حكماء صهيون » وإعادة تنظيمها على أسس حديثة وذلك لوضع خطة للتمهيد للسيطرة على العالم عن طريق فرض عقيدة الالحاد والشر فوضع هذا المخطط عام ١٧٧٦ والذى يقوم على :

١ ــ الهدف الأول تدمير جميع الحكومات الشرعية وتقويض الأديان السماوية .

٢ ــ تقسيم الحويم إلى معسكرات متنابذة تتصارع فيما بينها بشكل دائم حول عدد من المشاكل تتولى المؤامرة توليدها وإثارتها باستمرار ملبسة إياها ثوباً إقتصادياً أو إجتماعياً أو سياسياً أو عنصرياً .

٣ ــ تسليح هذه المعسكرات بعد خلقها ثم تدبير حادث في كل مرة يكون من نتيجته أن ينقض كل معسكر عن الآخر .

٤ ــ بث سموم الشقاق والنزاع داخل البلد الواحد وتفريقه إلى فئات متناحرة وإشاعة عقلية الحقد والبغضاء فيه حتي تتقوض كل دعاماته الأخلاقية والدينية والمادية .

٥ ــ الوصول شيئاً فشيئاً إلى النتيجة بعد ذلك ، وهى

تحطيم الحكومات الشرعية والأنظمة الاجتماعية السليمة ، وتهديم المبادىء الدينية والأخلاقية والفكرية والكيانات القائمة عليها تمهيداً لنشر الفوضى والأرهاب والالحاد .

ويضيف الدكتور عميرة قوله « وفي هذا العصر الحديث من أوائل من روج الأفكار الفاسدة ، ودعى للأباحية وطالب باشاعة الرجس ، وتعميم الجنس الماسوني اليهودى (ليون بلوم)[1] . إن (ليون بلوم) خطط مع مجموعة من الماسون للثورة الفرنسية وعندما نجح مسعاهم طالبوا بفصل الدين عن الدولة . ثم قرروا إباحة الطلاق لزعزعة المسيحية . وعملوا على نشر الاباحية في فرنسا ، وأخرجوا النساء من بيوتهن ودفعني بهن إلى إقتراف الآثام على أن ذلك حلال وواجب . وهذا الافاق (الشيطاني) له كتاب يسمى (الزواج) يعد من أقذر كتب الجنس والدعوة إلى الفسق والفجور .

وقد كان ليون بلوم من ثمرات المخططات الماسونية والصهيونية فكانت أهم بنود كتابه :

١ ـ دعوة الشباب والفتيات إلى الانغماس في حمأة الرذيلة .

٢ ـ مطالبتهم بتعجيل قضاء رغباتهم الجنسية ، بمجرد الاحساس بها ، لا عن طريق الزواج المشروع ولكن بالمشايعة الوقحة .

٣ ـ تهوينه من الأخلاق والمثل ، والعفة والفضيلة ومطالبة

(١) ليون بلوم ـ يهودي ولد في بعاريا وتولى رئسة الورارة الفرسية عام ١٩٣٦

الجنسين بالتخلص من قيودها . وطرح مبادئها .

٤ ـ السخرية من الأديان والرسل ، والدعوة إلى الالحاد السافر المتنمر الذى يطلب من الآخرين السيرة في ركابه ، ومطالبة العابثين والعابثات السخرية من الدين ورجاله .

٥ ـ تهوين العلاقات الزوجية ، وتحطيم الرباط الأسرى عن طريق دعوة الزوجات إلى إتخاذ الأخدان والاحباب ، ومطالبة الرجال باغواء النساء المتمنعات العفيفات .

٦ ـ الدعوة إلى العقم الاختيارى ، وذلك بتنفير النساء عن الحمل والولادة ، وتربية الأطفال .

وذكر الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار في كتابه عن الماسونية قال :

وتقول دائرة المعارف اليهودية في مادة الماسونية :

« إن تعاليم الماسونية محاطة بالسرية الدائمة ، وتنص في جميعها على تقديس الجنس والحرية التامة في نشر الاباحية ، وآمال الماسونية في الناحية الخلقية من حياة الناس قائمة على تنظيم أمة من الناس أحرار لا يشعرون بالخجل عندما يتعرى بعضهم أمام بعض ، ولا يخجلون من إظهار أعضائهم التناسلية ، حين يجتمعون في منتديات العرى أو في شواطىء المصايف » .

هذا عن الماسونية وما تهدف إليه أما الشيوعية فموقفها من الديانات معروف . قال عنه مؤسسها ماركس : « إنه الأفيون الذى يخدر الشعب لتسهل سرقته ، وإن الدين كان وسيلة الاخضاع الروحى ، كما كانت الدولة وسيلة الاخضاع

الاقتصادى » وقال عنه لينين : « إننا لا نؤمن بالاله ونحن نعرف كل المعرفة إن أرباب الكنيسة والاقطاعيين والبرجوازيين لا يخاطبوننا باسم الاله الا استغلالاً . ومحافظة على مصالحهم . إننا ننكر بشدة جميع هذه الأسس الأخلاقية التي صدرت عن طاقات وراء الطبيعة . غير الانسان» . إن الخطر الرئيسي على الشيوعية هو الدين ومن هنا كان هذا العداء المحتدم بينهما . وقد أحس الشيوعيون بخطر الدين فكان أول من حاربوه يقول أحد زعماء الشيوعية : « لن تنتشر الشيوعية في الشرق إلاّ إذا أبعدنا أهله عن تلك الحجارة التي يعبدونها في الحجاز وإلاّ إذا قضينا على الاسلام » . لقد صمت اذنا هذا الملحد عن دعاء المسلمين عند هذه الحجارة « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » ولم يعرف أن المسلمين لا يعبدون الحجارة إنما يعبدون رب البيت .

وقد نشرت مجلة (كلمة الحق) في العدد الصادر في محرم ١٣٨٧هـ (١٩٠٧م) الوثيقة التي أعدها الشيوعيين بموسكو وقدموها لعبيدهم في الشرق الاسلامى لتنفيذها . وملخص الوثيقة كما يلى :

١ ــ مهادنة الاسلام لتتم الغلبة عليه .

٢ ــ تشويه سمعة رجال الدين والحكام المتدينين وإتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية .

٣ ــ تعميم دراسة الاشتراكية في جميع مراحل الدراسة ومزاحمة الاسلام ومحاصرته .

٤ ـ الحيلولة دون قيام الحركات الدينية والعمل بيقظة لمحو انبعاث ديني والضرب بعنف لا رحمة فيه لكل من يدعو إلى الدين ولو أدى إلى الموت .

٥ ـ محاصرة الدين والصاق التهم وتنفير الناس منه بالأسلوب الذى لا ينم عن معاداة الاسلام .

٦ ـ تشجيع الكتاب الملحدين على مهاجمة الدين والشعور الديني والضمير الديني والعبقرية الدينية .

٧ ـ قطع الروابط الدينية بين الشعوب وإحلال الروابط الاشتراكية .

٨ ـ مزاحمة وطرد الوعى الديني بالوعى العلمى .

٩ ـ خداع الجماهير بأن نزعم أن المسيح إشتراكى وأن محمد أمام الاشتراكيين ونبعد القداسات الروحية والوحى والمعجزات عنهم .

١٠ ـ تفسير قصص الكتب المقدسة تفسيراً مادياً إشتراكياً .

١١ ـ اشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية والأناشيد الحماسية والأغاني الوطنية والتنظيمات الحزبية والشئون العسكرية والمحاضرات المذهبية وإلقاء مسؤولية المشاكل الاقتصادية المزمنة على الرجعية والاستعمار والصهيونية والاقطاع ورجال الدين .

١٢ ـ تحطيم القيم الدينية والروحية .

١٣ ـ الهتاف الدائم للثورة على أنها المنفذ الوحيد للشعوب وللاشتراكية على أنها الجنة الموعودة .

١٤ ـ نشر الأفكار الالحادية وهدم الدين بالدين عن طريق

النفاق والصاق كل خطايا رجال الدين بالدين .

وجاء في الأبجدية الشيوعية كما ذكر على أدهم في كتاب حقيقة الشيوعية :

« حين يقول الوالدان هذا ابني وتلك إبنتي . لا تعني هذه الكلمات وجود آصرة أبوية فحسب ، بل توحى بأن للأبوين حقاً في تربية أولادهم من وجهة نظرهم كما يريدون . والاشتراكية تأبي هذا الاقرار بهذا الحق للآباء ، لأن الفرد ليس ملكاً لنفسه ولكنه ملك للجماعة . »[1]

هذا عن الأولاد أما عن المرأة فقد نادى الشيوعيين باطلاق المشايعة الجنسية بين رجال الدولة ونسائها وأطلقوا على ذلك إسم المعاشرة الاختيارية أو الزواج الاختيارى وبرروا ذلك بأن البشرية عاشت في حالة (مشايعة) جنسية في عصورها الأولى ولم تعرف نظام الأسرة إلاّ تحت تأثير الظروف الاقتصادية . ورد على ذلك يقول د . على عبدالواحد وافي في كتاب الأسرة والمجتمع : « نظام الشيوعية المطلقة لم تعثر عليه في أى مجتمع من المجتمعات الانسانية سواء في ذلك البدائي والمتحضر » ويستطرد الدكتور عبدالرحمن عميرة فيقول عن فكرة المشايعة : « فافلاطون نفسه لم يرد السير عليها الا في طبقة خاصة من طبقات المجتمع وهى الجنود فقد أراد أن يجرد هؤلاء من كل عاطفة غير العاطفة الوطنية حتي يخلصوا لخدمة المجتمع . ولا تكون لهم صلة الا به . فلا يشغلهم عن ذلك

---

(١) المذاهب المعاصرة ــ د . عبدالرحمن عميره .

ارتباطات بأسرة أو بنين .

هذا إلى أنه أراد أن تكون هذه الشيوعية منظمة من عدة وجو .

وكامبانلا نفسه الذى ذهب إلى أبعد مما ذهب إليه إفلاطون . إذ آثر أن تكون الشيوعية عامة في جميع الطبقات فتكون جميع النساء حقاً مشاعاً لجميع الرجال .. رأى في روايته أن الحاجة ماسة في مدينة كهذه إلى إنشاء وزارة للشئون الاجتماعية ، وهى « وزارة الوزيرموز » يعهد إليها بالاشراف على تنظيم الأمور الجنسية حتي لا تؤدى الشيوعية إلى فوضي » . ولكن ما هى نتائج كل هذه الأفكار الخبيثة والمنحطة التي تضمنتها قرارات وتوصيات منظمات ونظم الفسق في العصر الحديث إننا نورد فيما يلي مختصر لبعض النماذج من آثار تلك الدعوات المسمومة وقد أوردها الدكتور عبدالرحمن عميرة في كتابه المذاهب المعاصرة على لسان بعض المسئولين في أمريكا والغرب :

١ - يكتب الدكتور « هوكر » الأمريكى فيقول : « إنه لا تزال تحدث في مثل هذه المدارس والكليات ، ودور التربية للممرضات والمدارس الدينية حوادث من تسافح الوالدان من الجنس الواحد فيما بينهما . وقد تلاش - أو كاد - ميلهم الطبيعى إلى الجنس المخالف » .

٢ - ويكتب الطبيب لورى في أحد كتبه أنه كتب عميد مدرسة من المدارس ذات مرة إلى أربعين أسرة يفضي إليها بشأن صبيانها وجدوا على حال مروعة من الدناءة الخلقية ، فلم يعد

يمكنه الآن ابقاؤهم في المدرسة .

٣ ـ يقدم القاضي « لندس » إحصائية عن حالات بعض المدارس الثانوية للبنات تقول الاحصائية أن **٤٩٥** بنتاً في السن الباكرة من بنات المعاهد الثانوية . إعترفن لى بأنهن كن جربن العلاقة الجنسية مع الصبيان . إلاّ أنه لم تحمل منهن إلاّ خمس وعشرون . أما الباقيات فسلم بعضهن من الحمل بمحض الاتفاق . ولكن كانت لأكثرهن خبرة كافية بتدابير منع الحمل وهذه الخبرة قد عمت فيهن إلى حد لا يكاد الناس يصيبون في تقديره » .

٤ ـ كتب (أميل بوريس) يصف بعض هذه المسارح وما تعارضه من ألوان يقول :

« كانت أغاني الممثلة وحركاتها غاية في الخنا والفحش . وكان المنظر الخلفي من وراءها يصور آخر مدارج الاختلاط الجنسي » .

٥ ـ ويكتب (بول بيورد) : إنه ربما تعرض على المنصة نساء عاريات لا تكون على أجسامهن خرقة ثوب .

٦ ـ وقد كتب (أدولف برياسون) في جريدة (طان) الفرنسية المشهورة يحتج ويعترض على مثل هذه المنكرات بقوله : لقد بلغ السيل الزبي . ولم يبق بعد هذا كله سوى أن يعرض على أنظار الناس منظر الفاحشة بعينها .

٧ ـ يقول العالم الاسلامى الكبير أبو الأعلى المودودى عن تأثير الفواحش على الفرنسيين أن « عدد الجنود الذين إضطرت الحكومة إلى أن تعفيهم من العمل . وتبعثهم إلى المستشفيات في السنتين الأوليين من سني الحرب العالمية الأولى : لكونهم مصابين

بمرض الزهرى خمسة وسبعين ألفاً وابتلى بهذا المرض وحده ٢٤٢ جندياً في آن واحد في ثكنة متوسطة » .

٨ ـ يقول الطبيب الفرنسي (ليريد) : « إنه يموت في فرنسا ثلاثون ألف نسمة بالزهرى وما يتبعها من الأمراض الكثيرة في كل سنة » .

٩ ـ وتقول دائرة المعارف البريطانية عن المجتمع الأمريكى أنه يعالج في المستشفيات الرسمية هناك مائتا ألف مريض بالزهرى ومائة وستون ألف مصاب بالسيلان البني في كل سنة .

١٠ ـ ويقول كتاب القوانين الجنسية : « يموت في أمريكا ما بين ثلاثين وأربعين ألف طفل بمرض الزهرى الموروث وحده في كل سنة ، وأقل ما يقدره المسئولون في مرض السيلان إنه قد أصيب بـ ٦٠٪ من النفوس في سن الشباب .

وفي عدد جريدة الشرق الأوسط الصادرة يوم السبت ١٩٨٢/٥/٢٢ تحت عنوان « مجتمع يغوص في الوحل . إنتشار المخدرات حتي بين ربات البيوت » ما يلي « تتعاطى ربات البيوت في لوس أنجلوس الكوكايين لكى يتمكن من تنظيف منازلهن بشكل أسرع في حين يحتفظ رجال الأعمال بالمخدر في علب ذهبية صغيرة ويقدمون لأصدقائهم المخدر . لقد أصبح الكوكايين الذى كان في وقت من الأوقات عقار نجوم السينما وموسيقي الروك آند رول والأغنياء منتشراً بين أفراد الطبقة الوسطى . ويقدر أحد الخبراء البارزين في هذا المجال وهو الدكتور رونالد سيجل أن هناك على الأقل ١٠ ملايين نسمة في الولايات المتحدة يستخدمون

الكوكايين بانتظام و ١٥ مليوناً تعاطوا المخدر في وقت ما . ويصف الدكتور سيجل هذه الأرقام بأنها محافظة إلى حد كبير . ويقدر أحد الخبراء البارزين في هذا المجال وهو الدكتور رونالد سيجل أن هناك على الأقل ١٠ ملايين نسمة في الولايات المتحدة يستخدمون الكوكايين بانتظام و ١٥ مليوناً تعاطوا المخدر في وقت ما . ويصف الدكتور سيجل هذه الأرقام بأنها محافظة إلى حد كبير . ويقدر مسؤولوا إدارة مكافحة المخدرات الأمريكية أن مدمني الكوكايين في الولايات المتحدة ينفقون ٣٥ مليار دولار في العام على المخدر الذى يعرف أيضاً بأسماء مثل الثليج والتراب السعيد والفتاة البيضاء . وقال الدكتور سيجل الأستاذ بقسم علم النفس بكلية طب جامعة كاليفورنيا في مقابلة : إننا نشهد إتجاهاً جديداً في الثمانينات ... لقد تميزت الستينات بمخدرات مثل الماريجوانا وعقار الهلوسة كانت تدفع الناس إلى إستكشاف أعماقهم وكان العصر عصر الثورة النفسانية . ويضيف الدكتور سيجل : أما اليوم فان الناس تتحول إلى كوكايين إنه يلائم روح الرأسمالية وهو أيضاً مخدر الفترات التضخمية فالمزيد من الناس يمكنهم الانفاق على شراء الكوكايين اليوم . هناك مرضي أنفقوا ما بين ٢٠٠٠ و ١٢,٠٠٠ دولار في الأسبوع على الكوكايين . ويشترى المدمنون أمواس مصنوعة من الذهب لتقسيم كميات الكوكايين وملاعق صغيرة ذهبية وفضية لاستنشاقه . ولكن الكوكايين وأثره القوى لها عواقبها الوخيمة حيث يمكن أن تسبب جرعات المخدر الهلوسة والبارانويا . ويقول الدكتور سيجل : أشعر أنه لو عرف الناس

عن الكوكايين ما أعرفه لابتعدوا عنه نهائياً . ويقول الدكتور توماس انجرليدر وهو أيضاً أستاذ في كلية الطب بجامعة كاليفورنيا أن مدمني الكوكايين الذين يعالجون من بينهم طلبة من عائلات ثرية أو لهم أصدقاء أثرياء . وأضاف : الكوكايين ليس قاصراً على النجوم فحسب . ويتم تعاطى الكوكايين عن طريق الاستنشاق ويمكن أيضاً تعاطيه عن طريق الحقن . ولكن إحدى المشكلات الكبيرة المتعلقة بهذا المخدر هى ما أصبح معروفاً باسم التنقية . وهذه العملية تتم عن طريق إستخدام أثير البنزين لفصل الأملاح عن الكوكايين الذى يباع في الشوارع وذلك يترك شكلاً نقياً تقريباً من المخدر يؤخذ ويتم تدخينه في نار جيلة أو على طرف سيجارة . والكوكايين الذى يستنشق يصل تأثيره إلى المخ بعد حوالى ثلاث دقائق ويقول الدكتور سيجل أن تعاطى المخدر بأسلوب التنقية يجعل الأثر يصل إلى المخ في خلال ست ثواني فقط . ويضيف الدكتور سيجل : إن المخ يفسر هذه الثواني الست على أنها تجربة مبهجة للغاية وأنها شيء مرغوب مرة أخرى ولذا فان الذين يدخنون الكوكايين يبدأون في تعاطى جرعات أكبر. وقال الدكتور سيجل أن الجرعات الكبيرة تسبب الاكتئاب ويمكن أن تؤدى إلى التوتر البالغ وبارانويا والشك في الأصدقاء والأقارب وصعوبة التركيز . وكان الممثل الكوميدى جون بيلوشي قد مات في آذار (مارس) الماضي بعد تعاطيه لجرعة كبيرة من الكوكايين والهيروين .

وفي نفس العدد من الجريدة وردت بعض الاحصاءات عن

الأسرة الأمريكية عام ١٩٨٠م تبين أن نسبة الطلاق تكاد تصل إلى ٥٠٪ من الزيجات . وأن هناك ١٥ مليون أمريكية لا يجدن رجالاً لهن . وأن عدد الأطفال غير الشرعيين إرتفع إلى ٥٥٩,٨٠٠ في سنة ١٩٨٠ من ١٤١,٦٠٠ في سنة ١٩٥٠ . ويختم الكاتب الذى أورد هذه الاحصاءات بقوله : « وإذا كان عدد أولاد الحرام هو مقياس تقدم وحضارة فالحمد لله على نعمة التخلف . »

وبعد ما عرضناه من هذه النماذج العفنة لما صار عليه الغرب أذكر ما أورده العالم المغفور له أبو الأعلى المودودى في نهاية كتابه « الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة » حيث قال « أما بخصوص المسيحية فقد تنازلت منذ مدة عن قيادة الانسانية وتحديد وجهة سيرها في هذا العصر ، بل إنها ما استطاعت أن تقود حضارة الانسان ومدنيته في أى عصر من العصور المنصرمة .. إذ أن المسيحية عبارة عن تعاليم سيدنا المسيح عليه السلام والتي توجد اليوم لدى المسيحيين . ولكل شخص . إذا ما نظر نظرة في عهد الانجيل الجديد . أن يعرف ماذا عندها من وسائل لقيادة الانسان وتوجيه حضارته ومدنيته ؟ فليس عندها ما عدا مبادىء معنوية مجردة شىء يستطيع الانسان أن يسترشده في أمر يتعلق باجتماعية أو إقتصاده أو سياسته أو محكمته أو قانونه ... »

أما بخصوص الاسلام فانه منذ فجر تاريخه أصبح يقود الانسان فيما يتعلق بالمدينة والحضارة . إلى جانب أنه إنشاء لنفسه مدنية مخصوصة وحضارة مستقلة . فما من شعبة للحياة الانسانية إلاّ وقد أخذ فيها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بيد الانسان

وزوداه فيها بأحكام واضحة وتعليمات محكمة ، وأسسا له فيها دوائر علمية تبعا لهذه الأحكام والتعليمات ، وكل أولئك ، كما كان صالحا للتنفيذ في القرن السابع فهو صالح للتنفيذ في هذا القرن العشرين وسيبقى كذلك إلى ما بعد الآلاف من السنين إن شاء الله . ولا يستطيع أحد أن يدلنا على شيء يجعل الاسلام غير صالح للتطبيق أو فاقد القابلية لقيادة البشرية في هذا العصر المتمدن الراقي . إذن فان الذى يرى الاسلام ناقصاً في هذا الشأن ، عليه أن يحدد لنا شيئاً ، وجد فيه الاسلام عاجزاً عن التوجيه » وبعد أن أثبت العالم المودودى أن اللادينية أو الدهرية لا تساعد الانسان في أى رقي روحى أو مادى إنتهى إلى أنه : « لا يصح للقيام في وجه سيل الشيوعية العارم الا نظام يعالج قضايا الحياة ال٦نسانية ومشكلاتها العملية بطريقة أحسن من طريقتها ، ويضفي على الانسان في الوقت ذاته الطمأنينة القلبية والسعادة الروحية التي تخلوا منها الشيوعية بتاتاً . وإذا كان لنظام مثل هذا أن يوم فانما له أن يقوم على أساس الاسلام وحده .

من هذه الالمامة العاجلة عن الديانات السماوية وما هى عليه وما آلت إليه يمكن أن نقف وقفة من هذه الخلاصة لنتائج دراسات مقارنة الأديان يتبين ما يلي :

١ ـ إن الديانات السماوية كلها جاءت بالتوحيد واسلام الوجه لله .

٢ ـ لم تكن الديانة اليهودية أو السيحية ديانة عامة إنما كانت كلاهما رسالة خاصة لذلك لم يكن التشريع في كل منهما يلائم أو

يتسع لاحتياجات الناس جميعاً .

٣ ـ لقد حرف اليهود والمسيحيون ما أنزل إليهم من كتب مقدسة وبدلوها ونسوا بعضها وكتموا البعض الآخر وقد أثبت ذلك القرآن الكريم . وكفي بالله شهيدا .

٤ ـ إن الرسالة السماوية المنزلة على محمد بن عبدالله ﷺ هى الرسالة الخاتمة للرسالات وهى شريعة كاملة جامعة لكافة ما يتعرض له الانسان في أمور الدين والدنيا وهى صالحة لكل زمان ومكان وهى محفوظة من أى سوء بحفظ الله سبحانه وتعالى لها وهناك الأدلة الكثيرة القاطعة على أن ما بين أيدى المسلمين الآن هو نفسه القرآن الذى أنزله الله على رسوله محمد ﷺ .

٥ ـ إنه لا يصح يقيناً لازالة الفساد من هذه الأرض إلاّ تطبيق الشريعة الاسلامية كما جاءت من الله تطبيقاً متكاملاً شاملاً .

واستناداً إلى كل ما سبق يمكن أن نصل إلى غايتنا من العرض السابق في مقارنة الأديان وهو أن المنتمى للاسلام إنما هو إنسان إنتمى إلى شريعة سماوية فطرية خاتمة كاملة وآمن بأنه لا إله إلاّ الله وأن محمد رسول الله وآمن بجميع الرسل السابقين والكتب المنزلة عليهم دون أن يفرق بين أحد منهم وآمن باليوم الآخر . ويترتب على ذلك ما يلى :

١ ـ إن إيمانه بأنه لا إله إلاّ الله سيضمن له حق الا يستعبد لغير الله ويصبح عليه حق عدم استعباد الآخرين .

٢ ـ إن إيمانه بأن محمد رسول الله يوجب عليه الايمان والعمل بكل ما بلغه عن الرسول ﷺ من قرآن وسنة صحيحة . كما يحق

له أن يطالب بكافة ما له من حقوق في الحياة (إجتماعية ، إقتصادية ، وسياسية إلى آخر هذه التسميات) على ضوء ما جاء به الرسول في الكتاب والسنة .

٣ ـ إن إيمانه بجميع الرسل السابقين على محمد ﷺ وإيمانه بالكتب المنزلة عليهم يضمن ذلك الحق لأصحاب الديانات الأخرى في حرية العقيدة مع الحق في إحترام عقيدتهم وعدم الاساءة إليهم وإحترام رسلهم وكتبهم فكل من عند الله. وهذا من تمام الايمان في الاسلام .

٤ ـ الايمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وثواب وعقاب يغرس في النفس الشيء الفطرى الذى يحافظ على الحقوق أقوى من قوانين الأرض جميعاً . فالخوف من الله وإنتظار الثواب والرهبة من عقاب الله تجعل المؤمن دائماً واقفاً ومتأدباً عند حقوق الآخرين . وعلى ضوء ذلك يكون السؤال هو ماذا سيترتب على إرتداء المسلم عن الاسلام ؟ ويستتبع ذلك سؤال : إلى أى شيء سيرتد المسلم عن الاسلام ؟ فاذا كان سيرتد إلى دين أكمل وأسمى وأتم من دين الاسلام فليس من عدل الاسلام عند ذلك معاقبته وإذا كان سيرتد إلى دين يضمن له حقوق أكثر ويعطى للآخرين حقوقهم بشكل أوسع وأعظم مما في الاسلام فلن يجد الاسلام أبداً من يؤيد حكمه في المرتد . ولكن الواقع أن الاسلام هو أكمل وأتم شريعة وهو الدين الذى شمل من الحقوق ما لم يخطر بعد على قلوب البشر . إنه دين أتمه الله ورضيه وحفظه ، وقد بلغه رسوله وفصله وعمل به ، وثبت للعالمين أنع عندما طبق كما أراد الله صلح

كل شيء لأنه حقق التوازن في الحقوق بين جميع المخلوقات . فاذا ارتد المسلم عن الاسلام . فالى أي شيء سيرتد ؟ إنه سيرتد إلى لا شيء إذا ارتد إلى الالحاد . وأما أنه سيرتد إلى شيء ناقص ثم موضوع ومحرف إذا ارتد إلى اليهودية أو المسيحية . والارتداد إلى الالحاد إنما هو تنصل من عبادة الله وحده لا شريك له . وتنصل من جميع أحكام شرع اﷺ . ولا شك أن ترك عبادة اﷺ قد أخضع نفسه لعبادة المادة والبشر . ومن استعبد من المادة والبشر استعبد غيره ممن هو أضعف منه . ومن المؤكد أن حقوق الانسان ستضيع بسبب مثل هذه العبودية والاستعباد . أما الارتداد إلى اليهودية أو المسيحية وهى على ما هى عليه بعد أن إنقطعت كل صلة بينها وبين ما شرعه الله وبعد ما أدخلت فيها نصوص تدعو في معظمها إلى إنتهاك حقوق الانسان . إن الارتداد إلى هذه الديانات سيصبح نوعاً من الثورة على الحقوق . وسبيلا إلى التنصل مما كان يلتزم به المسلم من حقوق في إطار الشريعة الاسلامية . إن المسلم الذى يرتد عن الاسلام هو إنسان خرج عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها . والخارج عن الفطرة هو عدوها ــ ومعتدى عليها وعدو للناس . والمرتد عن الاسلام تنصل من حقوق الانسان في الاسلام . تنصل من الحدود الشرعية التي تحمى حقوق الانسان . تنصل من العبادات التي تهيئ نفسه لاحترام الانسان تنصل من الأوامر والنواهى التي تحافظ على حقوق الانسان . تنصل من الآداب العامة والرحمة وحسن الخلق التي استكمل بها الاسلام حقوق الانسان ــ فماذا أبقي هذا المرتد للمسلمين وغيرهم مما كان

يلتزم لهم به؟ إنه أنسلخ من كل الحقوق ولبس ثوباً كله رياء ونصوص مادية لا تهدف إلاّ إلى إنتهاك حقوق الآخرين. فلماذا يعاقب مثل هذا المرتد؟ أيستحق البقاء؟

إن المرتد عن الاسلام لابد له من البحث عن أسباب يبديها لكل من سأله عن سبب إرتداده عن الاسلام. ولا شك في أن ما سوف يبديه من أسباب لا يمكن أن تكون إلاّ ضد الاسلام، وسوف يكون داعية سوء ضد الاسلام والمسلمين وسوف يتجني وينتقص من الكمال ويعتدى على السمو والتنزيه، وربما أمرته نفسه من السوء بالمزيد والمزيد. ومن المهم هنا أن نشير إلى أن مثل هذا التبرير الذى يحتاج إليه من إرتد عن الاسلام لا يحتاج إليه من يرتد عن الالحاد أو اليهودية أو السيحية إلى الاسلام. لأن الداعى إلى الدخول في الاسلام لا يستلزم ولا يحتاج إلى مهاجمة الديانات الأخرى. بل إنه قد سبق القول بأن الاسلام يجعل من تمام الايمان الايمان بكافة الرسل والكتب السماوية السابقة. وإنها لمخالة بشعة في الاسلام أن يفرق المسلم بين أحد من رسل الله مجرد تفرقة. فالذى يخرج من اليهودية أو المسيحية إلى الاسلام ليس عليه إلاّ أن يقول أن هذا الدين الحق وأن هذه رسالة سماوية خاتمة لكل الرسالات لذلك اتبعتها. أما الرسالات الأخرى فهى رسالات سابقة على رسالة محمد وهذا ادعى إلى أن تتصف رسالة محمد ﷺ بالكمال والتمام. لن يؤمن من المسلمين من يسيىء إلى عيسي أو إلى غيره من الأنبياء والرسل. ولن يؤمن من المسلمين من يدعى أن الكتب المقدسة التي أنزلت على رسل الله هى كتب فيها

شك أو با تأمر بخير او ذير ذلك . أما ما يقوله المسيحيون عن اليهود وما يقوله اليهود عن المسيحيين فهو كثير ومشين . يقول التلمود : ان المسيح في الجحيم . وان أمه اتت به من الخطيئة . وان الكنائس النصرانية هي بمقام القاذورات والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة . وان قتل المسيحي من الامور المأمور بها .

وقد جاءت مقارنة عالية في الدقة بين الديانات السماوية الثلاث لشيخ الاسلام إبن تيمية في كتابه « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » نورد بعض فقراتها لنؤيد به ما ذهبنا إليه في هذا الشأن : يقول إبن تيمة :

« فالدين الذى إجتمع عليه المسلمون إجتماعاً ظاهراً معلوماً ، ومنقول عن نبيهم نقلاً متواتراً ، نقلوا ، ونقلوا سنته ، وسنته مفسرة للقرآن مبينة له كما قال تعالى له : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾[1] . فبين ما أنزل الله لفظه ومعناه فصار معاني القرآن التي اتفق عليها المسلمون إتفاقاً ظاهراً مما توارثته الأمة عن نبيها ، كما توارثت عنه ألفاظ القرآن فلم يكن ـ ولله الحمد ـ فيما إتفقت عليه الأمة شيء محرف مبدل من المعاني فكيف بألفاظ تلك المعاني ؟ فان نقلها والاتفاق عليها أظهر منه في الألفاظ فكان الدين الظاهر للمسلمين الذين اتفقوا عليه مما نقلوه عن نبيهم ، لفظه ومعناه فلم يكن فيه تحريف ولا تبديل ، لا للفظ ولا للمعني ، بخلاف التوراة والانجيل فان من ألفاظها ما بدل معانيه

(١) سورة النحل آية ٤٤ .

وأحكامه اليهود أو النصارى أو مجموعهما تبديلاً ظاهراً مشهوراً في عامتهم » . ويستمر شيخ الاسلام في كتابه « الجواب الصحيح » في بيان المقارنة الدقيقة بين الأديان فيقول : « ومن تدبر حال اليهود والنصارى مع المسلمين وجد اليهود والنصارى متقابلين هؤلاء في طرف ضلال . وهؤلاء في طرف يقابله ، والمسلمون هم الوسط . وذلك في التوحيد ، والأنبياء ، والشرائع ، والحلال ، والحرام ، والأخلاق ، وغير ذلك . فاليهود يشبهون الخالق بالمخلوق في صفات النقص المختصة بالمخلوق التي يجب تنزيه الرب سبحانه عنها .... والنصارى يشبهون المخلوق بالخالق في صفات الكمال المختصة بالخالق التي ليس له فيها مثل .... وكل من القولين يستلزم الآخر » « والنصارى أيضاً يصفون اللاهوت بصفات النقص التي يجب تنزيه الرب عنها ، ويسبون الله سباً ما سبه إياه أحد من البشر » . « واليهود تزعم أن الله يمتنع منه أن ينسخ مما شرعه . كما يمتنع ما لا يدخل في القدرة ، أو ما ينافي العلم والحكمة . والنصارى يجوزون لأكابرهم أن ينسخوا شرع الله الذى بعث به رسوله ، فيحللوا ما حرم ، كما حللوا الخنزير ، وغيره من الخبائث ، بل لم يحرموا شيئاً ، ويحرمون ما حلل ، كما يحرمون في رهبانيتهم التي ابتدعوها وحرموا فيها من الطيبات ما أحله الله ، ويسقطون ما أوجب ، كما أسقطوا الختان وغيره ، وأنواع الطهارة من الغسل ، وإزالة النجاسة وغير ذلك . ويوجبون ما أسقط . كما أوجبوا من القوانين ما لم يوجبه الله وأنبياؤه . والمسلمون وصفوا الرب بما يستحقه

من صفات الكمال ، ونزهوه عن النقص ، وان يكون له مثل ، فوصفوه بما وصف به نفسه ، وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ومع علمهم إنه ليس كمثله شيء لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله » . ا ...

وهو المعبود المطاع الذى لا يستحق العبادة الا هو ، ولا طاعة لأحد طاعته ، وهو ينسخ ما ينسخ من شرعه ، وليس لغيره أن ينسخ شرعه . واليهود بالغوا في إجتناب النجاسات ، وتحريم الطيبات ، والنصارى إستحلوا الخبائث ، ولابسة النجاسات . والمسلمون أحل الله لهم الطيبات خلافاً لليهود وحرم عليهم الخبائث خلافاً للنصارى ، واليهود يبالغون في طهارة أبدانهم مع خبث قلوبهم . والنصارى يدعون أنهم يطهرون قلوبهم مع نجاسة أبدانهم ، والمسلمون يطهرون أبدانهم وقلوبهم جميعا . والنصارى لهم عبادات وأخلاق بلا علم ومعرفة ، ولا ذكاء . واليهود لهم علم ومعرفة بلا عبادات ولا أخلاق حسنة . والمسلمون جمعوا بين العلم التافع ، والعمل الصالح ... » .

« والمسلمون اعتدلوا فآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله ، فلم يكذبوا الأنبياء ولا سبوهم ، ولا غلوا فيهم ولا عبدوهم ، وكذلك في أهل العلم والدين لا يبخسونهم حقهم ، ولا غلوا فيهم . واليهود يغضبون لأنفسهم وينتقمون . والنصارى لا يغضبون لربهم ولا ينتقمون . والمسلمون المعتدلون المتبعون لنبيهم ، يبغضون لربهم » « في أمة محمد ﷺ من الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر الذى فيه صلاح العباد في المعاش

والمعاد ما لم يوجد مثله في الأمتين » .

ثم هناك نقطة أخرى وهى إتهام اليهود للنصارى أنهم ليسوا على شىء وإتهام النصارى لليهود أنهم ليسوا على شىء ويلفت القرآن الكريم الانتباه إلى ذلك فيقول : ﴿ **قالت اليهود ليست النصارى على شىء . وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب**﴾[1] ثم بلغت النظر إلى موقف اليهود والمسيحيين من الاسلام فيقول مخاطباً الرسول محمد ﷺ ﴿**ولن ترضي عنك اليهود ولا النصارى حتي تتبع ملتهم**﴾[2] هكذا نجد أنه من السهل على من اعتنق الاسلام بعد خروجه من المسيحية أو اليهودية من السهل عليه أن يعيش سوياً لا يضر أحد ولا يسىء إلى أحد . إنه ألزم نفسه بحكم الاسلام بالكثير من الأحكام والتشريعات التي تحمى حقوق الآخرين وألزم نفسه بالعبادات التي تظهر نفسه وتجعله إنساناً فاضلاً يحمل الخير وينبذ الشر ويحق الحق ويجاهد الباطل . وإذا سولت له نفسه شيئاً وتعدى حدود الله فانه يعرف الجزاء الذى سيناله دون تفرقة أو تمييز . إن الاسلام يأمر باحترام جميع الأديان وجميع الشعائر وجميع العبادات والحريات والحقوق والواجبات ، فأى موقف أفضل من هذا يكون أمام من يدخل في دين الفطرة والحق . أما إذا خرج من الاسلام فكما قلنا من قبل ليس هناك دين آخر بعد الاسلام يحترم باقي الأديان ، وليس هناك دين قبل ولا بعد الاسلام يتسع لمزيد

---

(١) سورة البقرة ، آية رقم ١١٣ .

(٢) سورة البقرة ، آية رقم ١٢٠ .

من الحقوق . فانه سينسلخ من كل ذلك بعد أن أمنه الاسلام وأمنه المجتمع الذى يعيش فيه . إنه سيستبيح لنفسه الاشتراك بالله أو الالحاد . وسيبيح لنفسه أكل الربا . وسيستبيح لنفسه فعل الفواحش مثل الزنا وشرب الخمر إلى غير ذلك من المصائب التي توقع الانسان في حقوق الآخرين . وسيتخلى عن البادات والآداب التي كان عليها في الاسلام مما يسلب نفسه كل استواء واطمئنان ويجعلها تأمر بالسوء . كل هذا والله أعلم أسباب كافية لحكم الارتداد في الاسلام . إن مثل المرتد عن الاسلام كمثل الطالب الذى أنهى دراسته الجامعية وبعد أن حصل على شهادته والتحق بالعمل المناسب ترك عمله وعاد إلى مدرسته الأولى يسألهم أن يقيدوه بالصف الأولى . نسي ما وصل إليه من مركز ووظيفة ومكانة وعشق أن يعبث مع الصغار . نسي ما ترتب عليه من حقوق في عمله وأسرته ومجتمعه وعشق حقوق اللهو والانطلاق بدون وقار .

نستنتج من كل ما سبق أن حكم الارتداد في الاسلام ـ ضرورة حتمية من الضرورات التي تشكل جداراً صلباً سانداً حتي لا تنهار حقوق الانسان . وإن الارتداد سواء في شكله الفردى أو الجماعى فان حكمه واحد ولا تفرقة في ذلك في الاسلام . وعلى من يريد أن يتطاول بعد على الاسلام أن يمد بصره ليرى من يقتلون بالآلاف ودون محاكمات أو بمحاكمات صورية لمجرد أنهم يتهمون بأنهم تمردوا على الدولة بشكل أو بآخر دون تغيير عقيدة أو دين . ليرى من يعترضون على قتل من يخرج على مجمع الحقوق الانسانية

(الاسلام) ليروا ما يحدث في الدول الشيوعية . يقول الكاتب الروسي نيكوليفسكى في كتاب « لا شيء غير الاغلال » (إن في روسيا أربعة عشر مليوناً فرضت عليهم السخرة ، ويحيون كالبهائم في حظائر تحيط بها حواجز مسيجة بالأسلاك الشائكة ، محروسة حراسة قوية بجنود يرابطون في أبراج عالية لا يغفلون ثانية عن المراقبة ، وزودت الأبراج بأنوار كاشفة قوية . ويطوف آلاف الكلاب الضارية خارج الاسلاك فاذا نجا هارب من رصاص الحرس لم ينج من مطاردة الكلاب تفرى لحمه وهم يقومون بأشق الأعمال التي لا يطيقها بشر . وهؤلاء هم رجال الدين وأحرار الفكر والأدباء وكل معارضي الشيوعية والمشتبه في أمرهم » إن من يعترض على القتل بغير حق عليهم أن يقاوموا الغزو السوفيتي لأفغانستان ، إن من يعترضوا على القتل بغير حق عليهم أن يواجهوا إسرائيل بما فعلته في هذه الأيام بلبنان ويبحثوا لنا عن سبب واحد يتفق مع حقوق الانسان فيما قامت به من مذابح في مخيمى صبرا وشاتيلا وليأتوا لنا مجتمعين باجراء واحد ذى شأن اتخذ ضد إسرائيل بعد أن أتمت هذه المذابح وانتهكت حق الحياة .

يبقى لنا الآن أن نرد على ما أوردناه في بداية هذا الفصل من أقوال للدكتور صبحى المحمصاني والتي شكك فيها في حكم الارتداد ومنها قوله : « وفوق ذلك فقد اعتبر بعض العلماء أن الحديث المنوه به الذى هو من نوه الخير الواحد يستوجب الشك في صحته لا سيما وأنه يبدوا مخالفاً لمعني الآية الكريمة المتقدم ذكرها . والتي تعلن أنه (لا إكراه في الدين) وقوله : « فاذن

ليست الردة وحدها سبب القتال في هذه الحالة ، بل هي الردة مقرونة بالحرابة والفتنة والعصيان » والحديث الشريف الذى أشار إليه المحمصاني هو حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم والنسائي وقد رواه إبن عباس . وإبن عباس لا يحتاج أن نعرفه فهو ترجمان القرآن وكان يسمى (البحر) لغزارة علمه وصح أن النبي ﷺ دعا له بقوله : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقد روى رضوان الله عليه ١٦٦٠ حديث ونص هذا الحديث الذى بين أيدينا هو قول الرسول ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » . وليت الدكتور المحمصاني قد سعى إلى ما يؤيد الحديث بدلاً من أن يؤيد من شككه فيه . وها نحن نعرض عليه بعض ما أطلعنا عليه .

في حديث آخر روى في الموطأ عن زيد بن أسلم . أن رسول الله ﷺ قال : « من غير دينه فاضربوا عنقه » .

وفي حديث ثالث عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحل دم أمرىء مسلم إلاّ باحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » رواه البخارى ومسلم . وإبن مسعود صاحب سر المصطفى ﷺ وكان يقول رضي الله عنه : والله الذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلاّ وأنا أعلم أين نزلت وفيم نزلت ولو أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته .

وفي حديث رابع متفق عليه عن إبن مسعود قال : قال ﷺ : « لا يحل دم أمرىء مسلم إلاّ باحدى ثلاث : «كفر بعد إيمان ، ونزنا بعد احصان ، وقتل نفس بغير نفس » وفي حديث

خامس عن معاذ وحسنة الحافظ أن النبي ﷺ قال لما أرسله إلى اليمن « أيما رجل ارتد عن الاسلام فادعه ، فان عاد وإلاّ ضرب عنقه ، وأيما إمرأة ارتدت عن الاسلام فادعها ، فان عادت ، وإلا فاضرب عنقها » .

وقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « إن إمرأة إرتدت يوم أحد فأمر رسول الله ﷺ أن تستتاب ، فان تابت والا فقتلت » .

وقد ثبت أن أبابكر رضي الله عنه استتاب إمرأة يقال لها « أم قرفة » كفرت بعد اسلامها فلم تتب فقتلها » .

وفي حروب الردة الكثير مما فعله أبوبكر خليفة رسول الله ﷺ بالمرتدين عن الدين « ونعلم أن أكثرهم كانت ممتنعاً فقط عن فرض واحد وركن واحد من أركان الاسلام وهو الزكاة فلم يعصمها ذلك من القتل وفي عهد عمر وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما طبق حكم الارتداد باجماع من صحابة رسول الله ﷺ فهل لنا بعد ذلك أن نقول أن بعض العلماء قد اعتبر أن الحديث الصحيح لرسول الله ﷺ « من بدل دينه فاقتلوه » يستوجب الشك . وتنال بذلك من حكم الارتداد وأى مخالفة تلك التي تبدوا بين هذا الحديث الشريف وبين معني الآية الكريمة ﴿**لا إكراه في الدين**﴾ .

ومن قال أن الاسلام يكره أحداً على الدخول في الدين . إن حكم الاتداد لا ينصب على من لا يعتنق دين الاسلام . إنما هو ينصب على من دخل باختياره وكامل إرادته دين الاسلام ، ثم

ارتد عن الاسلام . والآية الشريفة لا تعالج هذا الأمر مطلقاً والفرق هنا كبير بين أن أكره أحد على الدخول في الدين وبين أن أعاقب من ارتد عن الدين .

وهنا نقطة أخيرة ألفت النظر إليها في هذا الموضوع وهى أن الاسلام لم يعاقب الا من جهر بارتداده عن دين الاسلام . فهذا قد أعلن الحرب على الاسلام فهو قد ارتد بينه وبين نفسه ثم أعلن ذلك على الناس . ولا بد له من أن يجيب من يسأله عن سبب إرتداده ، وكما سبق وأن فصلنا فانه سينال بذلك من الاسلام والمسلمين . وإذا لم يكن قد عقد النية على محاربة الاسلام بجهره بالارتداد لكان يكفيه أن يستقر الكفر في قلبه . فالاسلام لم يأمر بأن يحاسب الانسان الا على ما يقوله أو يفعله أما ما يضمر في صدره فعلمه عند علام الغيوب فهو وحده الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وهناك أحاديث نبوية كثيرة تشير إلى ذلك وتؤكد عليه .

وهذا ما نجده أيضاً في جريمة الزنا فحد الرجم حتي الموت للزاني المحصن لا يتم إلاّ إذا شهد أربعة من الشهود العدول وقالوا أنهم رأوا وفي وقت واحد فرجه في فرجها . كالمورد في المكحلة ومثل هذا الفعل إذا تم ورآه أربعة شحود وعلى هذا النحو فان الأمر لا يقتصر على أنه زني فقط وإنما هو جهر بالزنا ومن هنا كان الحكم بالرجم ، لأن الأمر لم يقتصر على المعصية إنما إمتد إلى الجهر بها . فكيف يتم مثل هذا الموقف ويمثل هذه الشروط وأمام أربعة شهود دون أن يكون في الأمر إستهانة واستهتار بالدين

وبالمجتمع ، ودعوة للفساد ؟ إن جريمة الزنا إذا لم يشهدها أربعة على نحو ما سبق فلن يكون هناك رجم طبعاً إلاّ إذا أقر الزاني على نفسه ، ومن أقر على نفسه دون شهود وتقبل في نفسه أن يطبق عليه الحد فقد ارتد إلى الايمان الكامل الذى طهره من جرمه . ولا يستقيم في الاسلام أن يقتل الزاني المسلم . ولا يقتل المرتد عن الاسلام والمنسلخ من كل أحكامه .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾[1] .

---

(١) سورة البقرة ، آية رقم ٨٥ .

الفصل الثامن

الآداب العامة والرحمة وحسن الخلق

١ ـ الآداب العامة .

٢ ـ الرحمـــة .

٣ ـ حسن الخـلق .

إن الآداب العامة والرحمة والخلق الكريم أركان أساسية في سلوك الانسان السوى . وما من مجتمع خلا في سلوك أفراده من هذه الأركان إلاّ ودب فيه الانحلال والفساد ، وساد السلب والنهب وإنتشرت فيه الجرائم وضاعت الحقوق ، وتعثرت فيه الحياة .

وقد اعتني الدين الاسلامى بهذه الأركان وشملها شمولاً يتفق وكونه الدين الخاتم لسائر الأديان . ولقد أدب رب العزة عبده ورسوله محمداً ﷺ فأحسن تأديبه . فكان كما قالت عائشة رضي الله عنها : «كان خلقه القرآن» . وقام ﷺ بتأديب أصحابه بما أدبه به ربه . وفي حديث عن جابر بن عبدالله رضي عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «إن من ٦حبكم وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً . وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون» . قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيقهون ؟ قال : «المتكبرون» وفي حديث آخر عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من شيء أثقل في الميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق «وأن الله يبغض الفاحش

البذيء » وقد وردت في هذا المعني أحاديث كثيرة . وقد قال أبو ذر لما بلغه مبعث النبي محمد ﷺ . قال لأخيه أركب إلى هذا الوادى فاسمع من قوله فرجع فقال رأيته يأمر بمكارم الأخلاق » .

ولقد كانت الآداب العامة والرحمة وحسن الخلق هى الدعائم القوية للمجتمع المسلم . وكان لها أبلغ الأثر في إرساء حقوق الانسان والمحافظة عليها من الضياع والأذى . وذلك لما طبعت عليه نفوس المسلمين من حب للحق وإيثار للخير ، وتأدب في كل سلوك . ودعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة . وسوف نستعرض جانباً مما جاء به الاسلام في مجال الآداب والرحمة وحسن الخلق والتي كان لها أبعد الأثر في تربية المسلمين على حفظ الحقوق .

الآداب العامة :

والآداب العامة في الاسلام شملت ضمن ما شملت ما يحفظ الحقوق بين الانسان وربه من خلال التأدب في العبادة واتباع كل ما أمر به الله واجتناب كل ما نهى عنه . وشملت أيضاً كل ما يحفظ الحقوق بين الانسان وأخيه الانسان . ولذلك نجد من الآداب : آداب الصلاة وآداب الزكاة وآداب الصوم وآداب الحج . ونجد آداب المساجد تلاوة القرآن وآداب الدعاء ، ونجد آداب المجالس وآداب الطريق . ونجد آداب المأكل والمشرب وآداب النوم . ونجد آداب المعاشرة وآداب النكاح . ونجد آداب التحية والسلام وآداب الزيارة وآداب الضيافة . ونجد عيادة

المريض وآداب الجنائز ، إلى آخر هذه الآداب الاسلامية النبوية الشريفة . وقد ورد أكثرها في أحاديث صحيحة . كما فصل بعضها علماء المسلمين وزادوها توضيحاً وشرحاً . فمن آداب الصلاة : الطهارة والخشوع وإعطائها حقها دون تعجل أو إنشغال . فليس لابن آدم من صلاته الا ما عقل منها . ويسن تكميل الصف الأول فالأول وتراص المامومين وسد خلل الصفوف وقرب الأفضل من الامام . ويستحب النظر موضع السجود . ويكره النظر إلى السماء أثناء الصلاة . وعلى المسلم الا يدخل الصلاة وهو حاقن أو بحضرة طعام يشتهيه ويرد المار بين يديه ولو بدفعه . ومن آداب الزكاة : أن تكون من مال حلال وأن تعطى بنية أداء الفريضة وأن تعطى عن طيب نفس ومن مال طيب ولا تكون مما لا يقبله المتصدق لو أعطى له ، وأن تعطى دون من ولا أذى ، ويحسن أن تكون سراً ويراعى عند إعطائها كرامة المتصدق عليه وإنسانيته وكلها آداب مما تناولناه في الحقوق المتعلقة بالمال . ومن آداب الصيام : تأخير السحور وتعجيل الافطار كما قال النبي ﷺ ، وأن يكون الافطار من مال حلال . ويجب أن يمسك الصائم لسانه عن أى أذى وعن الغيبة والنميمة ، وأن يكثر من تلاوة القرآن وقيام الليل والدعاء . ومن آداب الحج : الامتناع عن الرفث والفسوق والجدال كما جاء في كتاب الله تعالى ، واتباع سنة الرسول ﷺ في جميع المناسك . وتجب مساعدة الضعيف والمحتاج وعدم المزاحمة وإيذاء الغير . ويجب أن يترك الحاج لأهله ما يلزمهم وما يساعدهم على المعيشة الكريمة . ويجب أن يسدد

ديونه وأن يحج من مال حلال .

ومن آداب المساجد : أن يحافظ على نظافتها . فذا دخل المسلم المسجد فعليه أن ينظف نعاله وأن يضعها في مكان لا يؤذي أحد . ويحسن أن يكون مرتدياً أحسن الثياب وأن لا يكون قد علق بثيابه ما يؤذي المصلين أو يتلف فرش المسجد أو جدرانه . ويسن أن تطيب المسلم عند الذهاب إلى المسجد . ويجب أن يصان المسجد عن اللغو واللغط ورفع الصوت بمكروه ، ويصان المسجد عن الرائحة الكريهة من بصل وثوم وكرات ، كما إنه يكره إخراج الريح من الدبر أثناء الجلوس في المسجد ويكره البيع والشراء في المسجد وهناك ممن حرم ذلك . ويمنع من دخول المسجد الحائض والنفساء والجنب بدون وضوء والصبي الذي لا يميز والمجنون والسكران والكافر . ويمنع إختلاط الرجال والنساء ويكره إسناد الظهر للقبلة ويكره أن يدخل في بناء المسجد أو لياسته نجس . وليس لأحد أن يختص بمكان في المسجد ويمنعه عن غيره . ولا يتخذ المسجد مبيتاً إلاّ في الاعتكاف ولذوي الحاجات . ولا يتخذ المسجد طريقاً أو سوقاً أو مكان للمعيشة أو مزاولة حرفة . ولا يشهر في المسجد سلاح ولا ينبض فيه بقوس ولا ينثر فيه نبل .

ومن آداب تلاوة القرآن : الطهارة والخشوع وإعطاء الحروف من مد أو وقف أو ضغام أو تنوين إلى آخر ذلك من الأحكام وذلك دون تمطيط أو تكسير أو تعطيل أو تكلف يغير من المعني أو يجهله . ويكره رفع الصوت بالقراءة بدرجة تغلط

المصلين ويجب أن يوالي القارىء قراءته ولا يقطعها بحديث الناس ما لم تعرض حاجة ، وأن يقرأ بالقراءة المستفيضة لا الشاذة الغريبة ، وأن تكون قراءته يغْني إبتداء على الصالحين العدول العارفين بمعانيها ، وأن يقرأ ما أمكنه في الصلاة لأنها أفضل أحوال العبد وتفضل القراءة من المصحف للجمع بين الذكر والعبادة فالنظر في المصحف عبادة وأن يتحرى قراءته متطهراً وأن لا يقرأ في المواضع القذرة أو أماكن اللهو وأن يستقبل القبلة إن كان قاعداً ، وأن يتحرى أن يعرضه كل عام على من هو أقرأ منه ، وأن يقرأ بالاعراب ، وأن يفخمه . وأن يفصل كل سورة مما قبلها بالوقف أو التسميّ ، ولا يقرأ من أخرى قبل فراغ الأولى ، وأن يقف على رؤوس الآى ، وأن يجتهد في شكر الله على أن جعله أهلاً لحفظ كتابه ، وأن يترك المباهاة ، وأن لا يطلب به الدنيا ، ولا يجوز أن يجعل القرآن بدلاً من الكلام . وعلى مستمع القرآن الانصات والتفكر والتدبر وأن يسأل الله الرحمة والمغفرة والجنة عند سماع آياتها وأن يستعيذ بالله من العذاب ومن النار عند سماع الآيات التي يذكر بها العذاب أو النار .

ومن الآداب أيضاً مع الله آداب الدعاء ومنها الخشوع والخضوع والانكسار والتضرع وخفض الصوت وحضور القلب والالحاح والعزم في الدعاء وأن يدعوا الداعي وهو موقن بالاجابة وأن لا يكن متعجلاً الاجابة وأن يرفع يديه مستقبلاً القبلة وأن يحمد الله ويثني عليه ويصلي على نبيه قبل الدعاء وفي وسطه وبعد الانتهاء وأن يتحرى الأماكن والأوقات التي يجاب فيها الدعاء وأن

يتجنب السجع ولا يتكلفه . وأن يدعوا بالمأثور من الدعاء ويجب أن يعتدل الانسان في دعائه ولا يعتدي فقد سمع سعد بن أبي وقاص ولداً له يدعو ويقول : اللهم إني أسألك الجنّ ونعيمها ، وكذا وكذا . فقال : يا بني ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيكون قوماً يعتدون في الدعاء » فاياك أن تكون منهم ، إنك أعطيت الجنة أعطيتها وما فيها من الخير ، وأن اعذت من النار أعذت منها وما فيها من الشر . ويجب قبل كل شيء أن يتبع نصيحة الرسول الكريم فيكون مأكله ومشربه وملبسه من حلال حتي يجاب له الدعاء فعن أبي هريرْ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى طيب لا يقبل إلاّ طيباً ، وأن الله أمر المؤمنين بمّا أمر به المرسلين ، فقال تعالى : ﴿**يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً**﴾ . وقال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء ، يا رب .. يا رب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام ، فأني يستجاب له » (رواه مسلم) .

أما عن آداب المجالس فنذكر بعضها من أحاديث الرسول ﷺ فعن عبدالله بن مسعود أن النبي ﷺ قال : « لا ينتجى إثنان دون صاحبهما ، فان ذلك يحزنه » (أخرجه الشيخان وأبوداود) . وعن سعيد المقبرى قال رأيت إبن عمر يناجي رجلاً فدخل رجل بينهما فضرب صدره وقال إذا تناجى إثنان فلا يدخل الثالث إلاّ باذنهما « رواه أحمد » وقد نهى الرسول ﷺ في حديث رواه

الامام البخارى أن يقيم الرجل من مقعده ويجلس فيه . وعن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال : « إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به »[1] ومن آداب المجالس أيضاً حفظ أسرارها فعن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « المجالس بالأمانة الا ثلاثة مجالس : سفك دم حرام ، أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق » (أخرجه أبوداود) . وليس من الضرورى أن يطلب منك من يجالسك المحافظة على سره حتي لا تذيعه فعن أبي الرداء : « من سمع من رجل حديثاً لا يشتهى أن يذكر عنه فهو أمانة وإن لم يستكتمه » (أخرجه الامام أحمد) . ومن آداب المجالس أن يخفض العاطس صوته ويغطى وجهه حتي لا يخرج منه شيء يؤذي جلساؤه أو يفحش منظره . ومن آداب الطريق قول الرسول ﷺ : إياكم والجلوس على الطرقات فقالوا ما لنا بد إنما هى مجالسنا نتحدث فيها ، قال فاذا أبيتم الا المجالس فاعطوا الطريق حقها . قالوا وما حق الطريق ؟ قال غض البصر وكف الأذى ورد السلام وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر » (رواه الامام البخارى) .

ومن آداب التحية أمر الله عز وجل : ﴿**وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا**﴾[2] ويقول الرسول ﷺ واصفاً قواعد من يبدأ بالسلام « يسلم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد . والقليل على الكثير »

---

(١) صحيح مسلم .
(٢) سورة النساء ، آية رقم ٨٦ .

رواه البخاري ويقول أيضاً : « يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير » (رواه البخاري) . وعن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان النبي ﷺ يفعله » (رواه البخاري) . وقال مجاهد : «كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يأخذ بيدي فيخرج إلى السوق يقول اني أخرج ومالي حاجة الا لأسلم ويسلم عليّ ، فأعطى واحدة واحدة وآخذ عشراً ، يا مجاهد إن السلام من أسماء الله تعالى : فمن أكثر السلام أكثر ذكر الله تعالى »(١) .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام » (رواه أبوداود والترمذى) .

أما عن آداب المأكل والمشرب فعن إبن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الاناء أو ينفخ فيه (رواه الترمذي) وقال ﷺ لعمر بن أبي سلمه «كل مما يليك » فيكره جولان اليد في الطعام الواحد كما يكره الأكل من ذروة الطعام ومن وسطه بل يؤكل من أسفله لقوله ﷺ : « إذا أكل أحدكم طعاماً فلا يأكل من أعلى الصفحة ولكن ليأكل من أسفلها فإن البركة تنزل من أعلاها » (رواه النسائي وإبن ماجة وإبن حبان في صحيحه عن إبن عباس) . ويكره الأكل باليد اليسرى فعن إبن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بها فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها » (رواه مسلم

---

(١) كتاب غذاء الألباب . الشيخ محمد السفاريني .

والترمذي) ومن آداب الأكل والشرب أيضاً غسل اليدين والفم قبل الأكل وبعده والبدء بالتسمية والانتهاء بالحمد ويستحب أن يجهر بالتسمية لينتبه غيره ويهرب الشيطان ويكره الأكل متكئاً ـ أو مضطجعاً أو منبطحاً لأن فيه احتقار لنعمة . ويكره الأكل بأقل أو أكثر من ثلاثة أصابع ويسن لعق الأصابع بعد الانتهاء من الأكل وكذلك الصفحة ويكره مسح الأصابع والسكين في الخبز ويكره سبق القوم بالأكل . وليبدأ رب الطعام أو الأكبر أو الأعلم . ويجب عدم الافراط في الأكل أو الشرب فعن المقدام بن معدي كرب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لشرابه وثلث لنفسه » (أخرجه الامام أحمد والترمذي وابن حبان في صحيحه) وكذلك حرام قليل الطعام بما يضر بالبدن . ويستحب تصغير اللقمة وإجادة مضغ الطعام ولا يضع اللقمة الثانية في فمه قبل بلع الأولى . وإذا وقعت لقمة يميط عنها الأذى ثم يأكلها فعن عائشة قالت دخل على رسول الله ﷺ البيت فرأى كسرة ملقاة فأخذها فمسحها ثم أكلها « وقال يا عائشة أحسني جوار نعم الله فانها ما نفرت عن قوم فعادت إليهم » (رواه إبن ماجة والحكيم والترمذي) . ويحسن أكل الفتات الساقط من الطعام إذا لم يفسده شيء . ويستحب لصاحب الطعام أن يباسط ضيوفه بالحديث الذي يسعدهم ويبتعد عن الأحاديث التي تروعهم . ويحسن أن لا يتحدث بما يضحك أو يحزن أو يقذر . ويسن أن يغض الرجل طرفه عن جليسه ولا يحوجه أن يقول له

كل بل ينبسط ولا يتصنع بالأنقباض . وإذا كان على رأسه إنسان قائم فاليجلسه ويطعم خادمه مما يطعم وإن أكل مع ضرير أعدمه بما بين يديه فربما فاته أطيب الطعام لعماه . ولا يصح أن ينفض يده في الطعام ولا يقدم رأسه إلى الصفحة عند وضع اللقمة في فمه وإذا أخرج من فمه شيء ليرمي به صرف وجهه عن الطعام وأخذه بيساره ولا يغمس بقية اللقمة التي أكل منها في الطعام ولا يأكل ما انتفخ من الخبز ووجهه ويترك الباقي ويحسن أن يشرب وهو جالس . ويسن الدعاء لرب الطعام .

ومن آداب النوم غلق الأبواب وطفء المصباح ونفض الفراش وذكر إسم الله ويستحب النوم على طهارة واستقبال القبلة ويكره النوم جنباً بدون وضوء . ويسن الاكتحال ووضع اليد اليمني تحت الخد الأيمن .

ومن آداب النكاح يستحب لمن أراد تزويج إبنته أن يختار لها من يخاف الله وأن يكون شاباً مستحسن الصورة لأن المرأة تحب ما يحب الرجل .

ولا ينكح الشيخ الصبية . ولا ينكح الرجل من هى أعلى منه في المرتبة أو المنصب . ولا يسكن الرجل في دار زوجته عند أهلها . ويستحب لمن أراد أن يجامع زوجته المداعبة والملاطفة وعدم الوحشية والقسوة . وإذا أحس من زوجته يوماً نشوزاً عليه أن ينصحها بقول لين حسن فإن لم يجدي فيهجرها في الفراش فان لم يجدي لا هذا ولا ذاك فيضربها ضرباً غير مبرح ويكون بدرة أو منديل ملفوف لا بالسوط ويوزع الضرب على الجسم ويتجنب

ضرب الوجه والرأس والبطن وما يهدك أو يفسد .

ومن آداب الزيارة الاستئذان واختيار الموعد المناسب ولا يطرق الباب بقوة تزعج أو يضطرب معها من بالدار . ولا يقدم النظر على الاستئذان . ويظهر صوت أو (يتنحنح) أو يحرك نعله وإذا سأل من أنت يجيب باسمه ولا يقول أنا . ولا بد من إستئذان الصبي الذي لم يبلغ الحلم والخادم إذا دخل على أهل البيت كما قال عز وجل :

﴿يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت إيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء . ثلاث عورات لكم . ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض وكذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾ (١) .

ومن آداب الضيافة أن يستقبل المضيف ضيفه ببشاشة ووجه طلق وأن يحدثه بما تميل إليه نفسه ولا ينام قبله ولا يشكو الزمان بحضوره ويقدم له أطيب ما عنده ولا يغضب على أحد في وجوده وإذا قدم له الطعام فلا ينتظر من يحضر من أسرته . وعلى الضيف موافقة المضيف فيأكل ولا يعتذر ولا ينظر إلى عورات المنزل ولا إلى نسائه ولا يسأل عن شيء إلاّ القبلة ومكان قضاء الحاجة ولا يمتنع عن غسل يديه ولا يمنع صاحب الدار من أى حرك يأتي بها

(١) سورة النورة . آية رقم ٥٨ .

ويجلس في المكان الذي يختار له . وعليه أن لا يكون ثقيلاً ولا يجلس إلى أن لا يجد ما يقدمه له المضيف فعن أبي شريح الخزاعي قال : قال رسول الله ﷺ : « الضيافة ثلاثة أيام . وجائزته يوم وليلة . ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتي يؤثمه » قالوا : يا رسول الله وكيف يؤثمه ؟ قال : « يقيم عنده ولا شيء له يقريه به »[1] وعلى المضيف أن يخرج معه إلى باب الدار ليودعه ويظهر الألم لفراقه .

ومن آداب عيادة المريض أن تكون زيارته من أول مرضه ويجب معاونته وشد أزره ومساعدة أسرته إذا كانت في حاجة إلى المساعدة ولكن دون إيزاء المريض أو إيلام نفسه ويجب الدعاء له ويطلب منه الدعاء وقد حث رسول الله ورغب في عيادة المريض فعن كعب بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « من عاد مريضاً خاض في الرحمة فاذا جلس عنده استنقع فيها »[2] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من عاد مريضاً ناده منادٍ من السماء : طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً »[3] .

ومن آداب الجنائز تلقين الموتي الشهادتين وقراءة سورة يس . ويستحب تغطية الميت بثوب حتي يغسل ويكفن ويجوز تقبيل الميت والكشف عن وجهه ويجب غسل الميت غير الشهيد ويجب

---

(١) صحيح مسلم .
(٢) أخرجه أحمد
(٣) أخرجه ابن ماجه .

تكفين الميت ويجوز تجريد الموتي عند غسيلهم . ويستحب التكفين في الثياب البيضاء ويكره الافراط والتفريط في الكفن ويجوز أخبار الناس بموت الميت للصلاة عليه لأنه من المستحب كثرة المصلين على الجنازة ويحثنا الرسول ﷺ على السير في الجنازة فيقول ﷺ : «من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معه حتي يصلى عليه ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قراط مثل أحد»[1] ويستحب المشي بالجنازة دون هرولة . وينهى النساء عن اتباع الجنائز ويستحب القيام للجنازة ويحرم رفع القبور والجلوس عليها والبناء عليها . ويستحب الوقوف عند القبر بعد الدفن والاستغفار للميت وسؤال التثبيت له . وتحرم النياحة على الميت ويستحب الدفن بالنهار ويستحب صنع طعام لأهل الميت ونهى الرسول ﷺ عن سب الأموات فانهم قد افضوا لما قدموا (رواه البخاري) .

هذه بعض الآداب التي جاء بها الاسلام وكلها توضح للناس أدق الحقوق بما لا يترك مجالاً لاضافة أو سبيلاً لحذف ، فهي من شريعة اكتملت وأتمها الله بنعمته ورضي لنا الاسلام دينا . فنسأل الله أن نتأدب بما أدب الله به نبيه محمد ﷺ وجزاه الله عن أمته خير الجزاء .

الرحمـــة :

من رحمة الله بعباده أن كتب على نفسه الرحمة فقال :

---

(١) صحيح البخاري .

﴿**وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾[1] . والدين الاسلامي كله يقوم على الرحمة وما محمد ﷺ إلاّ رحمة مهداة من رب العالمين لقوله تعالى : ﴿**وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين**﴾[2] ولقد كان من رحمته سبحانه أن جاء محمد من أنفسنا فكان بالمؤمنين رؤوف رحيم﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[3] . ومن رحمة الله أيضاً ما أنزله على رسوله ﷺ من آيات بينات في هدى ورحمة ليخرج بها الناس من الظلمات إلى النور فيقول الرحمن الرحيم : ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**﴾[4] وقال سبحانه : ﴿**هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور**﴾[5] . ورحمة الله كما أهدت للعالمين الرسول الكريم . وأنزل بها سبحانه الكتاب المبين . ألف عز وجل بها أيضاً القلوب حول محمد ﷺ فتعلم منه الصحابة رضوان الله عليهم الرحمة وكانوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم . فيقول الله تعالى : ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر . فاذا عزمت فتوكل على الله . إن الله يحب المتوكلين**﴾[6] وقال سبحانه : ﴿**محمد رسول الله والذين آمنوا**

---

(1) سورة الانعام . آية رقم ٥٤ — (2) سورة الانبياء . آية رقم ١٠٧

(3) سورة التوبة . آية رقم ١٢٨ — (4) سورة النحل . آية رقم ٨٩

(5) سورة الحديد . آية رقم ٩ — (6) سورة آل عمران . آية رقم ١٥٩

معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾[1] هذه الرحمة التي سادت بين المؤمنين شملت كل شيء شملت الضعيف والمسكين والفقير والضرير وذوى الحاجة وذوى العاهة . وشملت المرأة والعبد والأولاد والبنات ، وشملت الطير والحيوان ، وشملت أيضاً رحمة الانسان بنفسه وبزوجته وأبنائه ووالديه وأقاربه وجيرانه وأصدقائه وكل من يتعامل معهم . إن الرحمة التي علمها لنا رسول الله ﷺ شملت كل ما يحفظ الانسان حقه في الحياة والعيش بكرامة ودون مهانة مهما تعرض لقسوة الحياة ومهما أصابه ومهما كانت وظيفته أو مكانته أو قدراته بين أهله وعشيرته . ولذلك كان أول ما اهتم به الرسول ﷺ الخدم والعبيد فكم من حديث شريف أرشد إلى الرحمة بهم وحسن معاملتهم ، وكم من حديث شريف شجع على عتق الرقاب فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل أرب منه من النار » وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « من عال جاريتين حتي تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو »وضم أصابعه . واهتم الرسول ﷺ اهتماماً بالغاً بالأرملة والمسكين فرغب في مساعدتهما والسعي عليهما فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله واحسبه قال ـ وكالقائم لا يفتر ، وكالصائم لا يفطر »[2] . واهتم الرسول ﷺ بترسيخ بر الوالدين

---

(١) سورة الفتح ، آية رقم ٢٩ .
(٢) صحيح مسلم .

بين الأبناء ورحمتهما ورعايتهما وهما شيخين فقدم رعايتهما على الجهاد فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد وابتغي الأجر من الله قال : « فهل من والديك أحد حي ؟ » قال نعم . بل كلاهما . قال : « فتبغى الأجر من الله ؟ » قال نعم . قال : « فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما »[1] ومن الرحمة التي علمها لنا النبي ﷺ أيضاً « صلة الرحم » وكم من حديث شريف يحذر من قطع الرحم فعن أبي حريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى خلق الخلق ، حتي إذا فرغ ، قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ من القطيعة . قال نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى . قال : فذاك لك . ثم قال رسول الله ﷺ : أقرأوا إن شئتم : « فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم . أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها »[2] . ومن ألوان الرحمة التي علمها لنا النبي ﷺ إماطة الأذى عن الطريق حتي لا يتعثر فيه أحد من المسلمين فعن أبوبرزه قال قلت يا نبي الله علمني شيئاً أنتفع به قال : « أعزل الأذى عن طريق المسلمين »[3] وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها

---

(١) صحيح مسلم .
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح مسلم

من ظهر الطريق كانت تؤذى الناس »[1] . ومن الرحمة أيضاً ما وصانا به الرسول للنساء والبنات . فعن جابر أن النبي ﷺ قال في حجة الوداع : « اتقوا الله في النساء ، فانهن عندكم عوان ، ولكم عليهن الا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه . فان فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف »[2] . وعن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ : « من ابتلى من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار »[3] وقد أنكر ﷺ قتل النساء والصبيان في الحروب وقال ﷺ : « لا تتمنوا لقاء العدوا وسلوا الله العافية »[4] . وأمر ﷺ بالتيسير فقال : « يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا »[5] . وحتي في العبادة – كما سبق القول – يأمر ﷺ بالرحمة بالنفس فعن عبدالله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال : قال لى رسول الله ﷺ يا عبدالله ألم أخبرانك تصوم النهار وتقوم الليل فقلت بلا يا رسول الله . فقال فلا تفعل ، صم وافطر وقم ونم فان لجسدك عليك حقاً وأن لعينك عليك حقاً وأن لزوجك عليك حقاً وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاث أيام فانه لك بكل حسنة عشر أمثالها فان ذلك صيام الدهر كله فشددت فشدد على فقلت يا رسول الله إني أجد قوة قال : « فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ولا تزد عليه وما كان صيام نبي الله

---

(١) صحيح مسلم .
(٢) صحيح مسلم .
(٣) صحيح مسلم .
(٤) صحيح البخاري .
(٥) صحيح البخاري .

داود عليه السلام؟ قال: نصف الدهر»[1]. وعنه ﷺ: «إن منكم منفرين فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة»[2] ويقول ﷺ: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فاسمع بكاء الصبي فاتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»[3]. وقد خرج ﷺ يوماً من المدينة إلى مكة فصام حتي بلغ عسفان ثم دعى بماء فرفعه إلى يديه ليريه الناس فأفطر حتي قدم مكة وذلك في رمضان فكان إبن عباس رضي الله عنه يقول قد صام رسول الله ﷺ وأفطر فمن شاء صام ومن شاء أفطر»[4]. ويضرب النبي ﷺ مثلاً عظيماً في الرفق فعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أن اعرابياً بال في المسجد فقاموا إليه فقال رسول الله ﷺ لا تزرموه ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه»[5]. وعندما دخل عليه ﷺ رهط من اليهود فقالوا السام عليكم. فقالت عائشة ففهمتها فقلت وعليكم السام واللعنة. قالت فقال رسول الله ﷺ مهلاً يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله. فقلت يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ قد قلت عليكم»[6] وما من دين أو نبي اهتم برحمة الحيوان كما اهتم بذلك الدين الاسلامي والرسول ﷺ فبعد أن كان بعض العرب يقطعون من لحم الحيوان وهو حي يأكلون جاء ﷺ فلم ينهى فقط عن ذلك بل أمرنا أيضاً بالرحمة عند الذبح في الذبح حديثه

---

(١) صحيح ابحاري.
(٢) صحيح البحاري
(٣) صحيح البحاري
(٤) صحيح البحري.
(٥) صحيح لبحري
(٦) صحيح البحري.

الشريف عن شداد بن أوس قال : سنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كتب الاحسان على كل شيء فإذا قتلتم فاحسنوا القتله وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته فليريح ذبيحته »[1] . ونهى ﷺ عن حبس البهائم واتخاذها غرضاً فعن أنس رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم »[2] (أي تحبس وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه) . وعن إبن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً »[3] أي هدفاً ترمو عليه . ونهى الرسول ﷺ عن جزاء أعراف الخيل ونواصيها ونتف أذنابها . فعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن جز أعراف الخيل ونتف أذنابها وجز نواصيها وقال أما أذنابها فانها مذابها وأما أعرافها فإنها ادفاؤها وأما نواصيها فان الخيل معقود فيها »[4] . وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ مر عليه حمار قد وسم وجهه فقال : « لعن الله الذي وسمه »[5] . وكم رغب الاسلام في الرحمة بالحيوان ورهب من إيذائه فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج فاذا هو بكلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ لي ، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقي الكلب . فشكر الله له فغفر له .

---

(١) صحيح مسلم .
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح مسلم .
(٤) رواه الامام احمد .
(٥) صحيح مسلم .

قالوا يا رسول الله . وإن لنا في البهائم أجرا ؟ قال : في كل كبد رطبة أجر »[1] . وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض »[2] وسئل إبن عقيل رحمه الله عن حبس الطير لطيب نغمتها . فقال : « سفه وبطر يكفينا أن نقدم على ذبحها للأكل فحسب . لأن الهواتف من الحمام ربما هتفت نياحة على الطيران وذكر فراخها . أفيحسب لعاقل أن يعذب حياً ليترنم فيلتز بنياحته . فقد منع من هذا أصحابنا وسموه سفهاً »[3] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا سافرتم في الخصب فاعطوا الابل حظها من الأرض . وإذا سافرتم في السنة فاسرعوا عليها السير . وإذا عرستم بالليل فاجتنبوا الطريق فانها مأوى الهوام بالليل »[4] .

هذه قطرات من بحور الرحمة في الاسلام ونسأل الله أن يرحمنا ولا يجعلنا ممن حق عليهم قوله : ﴿ **ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون** ﴾[5] .

الأخـــلاق :

من أول أسس الأخلاق الكريمة حب الحق . ولذلك اهتم الاسلام بمكارم الأخلاق إلى أبعد حد .. ليبين الحقوق للناس

---

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح البخاري ومسلم .
(٣) غذاء الالباب . للشيخ محمد الدريي (٤) صحيح مسلم .
(٥) سورة المؤمنون ، آية رقم ٧٥ .

ويحميها بما يوضحه من أمور الترغيب في إتباع الحق والترهيب من الأعتداء عليه ويشير الأستاذ عبدالرحمن حبنكة في كتابه الأخلاق الاسلامية إلى أن «من حق الجماعة على الفرد أن لا يؤذيهم بأى قباحة من القباحات المؤذية، أو في المنظر، أو في الرائحة الكريهة. أو في الكلمة النابية. أو في الصوت المزعج، أو في العمل المنفر أو في القذارة المؤذية للنفوس. والعدوان على هذا الحق ظلم لا يفعله من خلقه حب الحق وإيثاره» ويقسم الأستاذ/ حبنكة الأخلاق باعتبار علاقتها إلى أربعة أقسام:

الأول: ما يتعلق بالصلة بين الأنسان وخالقه وتشمل: الايمان بالله لأنه حق، ومنها الاعتراف له بكمال الصفات والأفعال، ومنها شكره على نعمه التي لا تحصي. ومنها طاعته في أوامره ونواهيه، وتقبل نصائحه ووصاياه. والاستجابة له فيما يدعو الناس إليه، ومنها تصديقه فيما يخبرنا به، ومنها التسليم التام لما يحكم علينا به. فكل هذه الأنواع من السلوك أمور تدعو إليها الفضيلة الخلقية. أما دواعي الكفر بالخالق بعد وضوح الأدلة على وجوده فهي حتماً دواعي تستند إلى مجموعة من رزائل الأخلاق، منها الكبر. ومنها إبتغاء الخروج على طاعة من تجب طاعته، إستجابة لأهواء النفس وشهواتها. ومنها نكران الجميل وجحود الحق.

الثاني: ما يتعلق بالصلة بين الانسان وبين الناس الآخرين وتشمل: الصدق، والأمانة، والعفة. والعدل، والاحسان، والعفو، وحسن المعاشرة. وأداء الواجب. والاعتراف لذى

الحق بحقه والاعتراف لذى المزية بميزته . والمواساة والمعونة . والجود . أما صور السلوك الأخلاقي الذميم في حدود هذا القسم منها الكذب . والخيانة والظلم . والعدوان . والشح . وسوء المعاشرة . وعدم أداء الواجب . ونكران الجميل . وعدم الاعتراف لذى الحق بحقه .

الثالث : ما يتعلق بالصلة بين الانسان ونفسه وتشمل : الصبر على المصائب . والأناة في الأمور والنظام والاتقان في العمل . وعدم استعجال الأمور قبل أوانها . والسلوك الأخلاقي الذميم هو نقيض ذلك .

الرابع : ما يتعلق بالصلة بين الانسان والأحياء غير العاقلة ويشمل « الرحمة بها . والرفق في معاملتها . وتأدية حقوقها الواجبة . أما الظلم والقسوة وحرمانها من حقوقها فهي من قبائح الأخلاق . وقد رغب الرسول ﷺ في حسن الخلق فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وأن الله يبغض الفاحش البذيء »[١] وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً . وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً . وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه »[٢] .

وقد أجمل الرسول ﷺ الكثير من مكارم الأخلاق التي

---

(١) زوه لترمدي

(٢) رواه ابودود

تحفظ الحقوق في أحاديثه الشريفة ففي مجال العلاقة بين المسلمين أحاديث كثيرة منها حديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث »[1] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله اخوانا »[2] وعن أبي هريرٓ أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . » بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »[3] وعن الزهرى عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته . ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ـ ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة »[4] . وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : « كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح منتنة ، فقال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما هذا الريح ، هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين »[5] . وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها

---

(١) رواه مسلم . (٢) روه مسلم .
(٣) رواه مسلم . (٤) صحيح مسلم
(٥) رواه احمد .

قالت : قال الرسول ﷺ : « من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله يعتقه من النار »[1] وروى أبوداود عن عتبة بن عامر عن النبي ﷺ قال : « من رأى عورة فسترها كان كمن أحيي مؤودة »[2] . وعن عبدالله إبن عمرو قال قال رسول الله ﷺ : « كفي بالمرء إسما أن يحبس عمن يملك قوته »[3] .

ويرهبنا ﷺ من الظلم والشح في حديث عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح فان الشح أهلك من قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »[4] . ويقول ﷺ : إياكم واظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا وكونوا اخوانا . لا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتي ينكح أو يترك »[5] ويقول ﷺ : « لا يحل لمرأة أن تسال طلاق أختها لتستفرغ صفحتها فانما لها ما قدر لها » .[6]

وفي ذم من سار بين الناس بوجهين حديث عن أبي هريز رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه[7] وفي حديث عمن يملك نفسه عند الغضب يقول أبي هريرة أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يمك نفسه عند

(١) رواه احمد
(٢) رواه ابوداود .
(٣) رواه مسلم
(٤) صحيح مسلم .
(٥) صحيح البخاري .
(٦) صحيح البخاري .
(٧) صحيح مسلم .

الغضب »[1] ويحببنا ﷺ في الدعاء بعضنا لبعض بظهر الغيب فعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلاّ قال الملك : ولك بمثله »[2] ويأمرنا ﷺ باجابة الدعوة فعن إبن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دعى أحدكم إلى الوليمة فليأتها »[3] وقال ﷺ : « لو دعيت إلى كراع لأجبت . ولو أدى إلى ذراع لقبلت »[4] .

ويحذرنا ﷺ من مفارق الجماعة والتعصب فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات ميتة جاهلية . ومن قتل تحت راية عمية يغضب للعصبة ويقاتل للعصبة فليس من أمتي . ومن خرج من أمتي يضرب برها وفاجرها لا يتحاش من مؤمنها ولا يفي بذي عهدها فليس مني »[5] ويأدبنا ﷺ مع زوجاتنا فعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أقدم أحدكم ليلاً فلا يأتين أهله طروقاً . حتي تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة »[6] وعن علاقة الجوار حديث الرسول ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه « أو قال لجاره » ما يحب لنفسه »[7] وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من لا يأمن جار بوائقه »[8] وعن حفظ اليد واللسان نجد الحديث الشريف عن أسود بن أحرم

---

(١) صحيح مسلم .
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح مسلم .
(٤) صحيح البخاري .
(٥) صحيح مسلم .
(٦) صحيح مسلم
(٧) صحيح مسلم .
(٨) صحيح مسلم

المحاربي قال: «قلت يا رسول الله أوصني. قال هل تملك لسانك قلت ما أملك إذا لم أملك لساني. قال فهل تملك يدك؟ قلت ما أملك إذا لم أملك يدي. قال فلا تقل بلسانك إلاّ معروفاً. ولا تبسط يدك إلاّ إلى خير»[1] ويحذر ﷺ من إفشاء السر بين الزوجين فعن أبا سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أشر الناس عند الله منزلاً يوم القيامة الرجل يفضي إلى أمرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»[2].

هذه بعض أحاديث الرسول ﷺ. وهناك الكثير مما يستحيل حصره أو عرضه في هذا المجال ولكن القليل الذي ذكرناه يجمع الكثير من مكارم الأخلاق التي تحفظ حقوق الانسان وتنزع من قلوب المسلمين الغل والحسد والنفاق والظلم والشح وتدعوا إلى كل فضيلة وسلوك كريم. ومما عرضنا في هذا الفصل من آداب عامة ورحمة وحسن الخلق يظهر جلياً أن الدين الاسلامي لم يكن دين عبادة فقط بل جاء ليكون أيضاً منهج حياة لم يترك خيراً إلاّ وأرشد الناس إليه ولم يدع شراً إلاّ وحذر الناس منه ه لم يترك أدباً ولا فضيلاً ولا خلق حسن إلاّ وأمر به وحث عليه ورغب فيه. ولم يترك سيئة أو رذيلة أو خلق دنيىء إلاّ ونفر ورهب منه. ولم يعالج الاسلام المجتمع إلاّ كوحدة شاملة لم يفرق فيها بين الغني والفقير أو بين الضعيف والقوي بل لكل مسلم حقه لا فرق بين إنسان وآخر إلاّ بالتقوى. فالآداب العامة والرحمة وحسن الخلق

---

(١) رواه الطبراني

(٢) صحيح مسلم.

تحكم الجميع على حد سواء . فليس هناك أدباً خاصاً بالأغنياء
وآخر بالفقراء ، والرحمة لا بد أن تشمل الجميع حتي الطير
والحيوان ، والخلق الحسن لا يقتصر على الضعيف والعبد والأسير
وإنما يجب أن يتحلى به الجميع لأنها أوامر وتوجيهات من رسول
الله الذي لا ينطق عن الهوى والذى بعث ليتمم مكارم الأخلاق .

الفصل التاسع

الأمر والنهي بما يحفظ الحقوق

١ ـ الأمر بالفرائض .

٢ ـ الأمر بكل ما يحفظ حقوق الانسان .

٣ ـ النهي عن كل ما يؤدي الى الاعتداء عل حقوق الانسان .

الاسلام دين للبشر من عند خالقهم . بُعِثَ به محمد ﷺ رحمة للعالمين . فكان متمشياً مع فطرة الانسان السليمة في العبادة والتوحيد . وكان منظماً لكل الأمور التي تمس الانسان في الدنيا والآخرة . وجاء بأبواب الاصلاح لكل ما يفسده الشيطان من حياة الانسان وكذلك لكل ما توسوس به نفس الانسان من سوء . فأمر الانسان بما يقوي نفسه ويطهرها ويزكيها . وأمر بما يحفظ لكل إنسان حقوقه ويصونها مهما كان ضعيفاً أو فقيراً ومهما كانت جنسيته أو لونه أو نسبه . وأمر بما ييسر على الانسان سبل خلافة الله في الأرض . أمر بكل ذلك . ونهى عن ما يقود الانسان إلى اهلاك نفسه . وضياع حقوقه . ونهى عن ما يهين كرامته ويهين آدميته .

وليس غريباً على الاسلام ذلك . فهو الدين الذي اختاره الله خاتماً للأديان . وبعث به رسوله للانس والجن أجمعين .

والاسلام عندما شرع الحقوق للانسان . وعلم أن هناك من سيغلبه الشيطان لينتهك حقوق الآخرين ، وأن هناك من ستغلبه نفسه على ذلك . الاسلام أمام ذلك لم يكتف ببيان الحقوق ووضع الحدود ، إنما عالج النفس ومهد الطريق للاصلاح . وهيأ

المجتمع المسلم ووضع له هيكلا وشكلا . وإطارا عظيما جعل المحافظ على الحقوق وعدم المساس به أمر هين لين . يتحقق في سهولة ويسر . ودون قهر أو جزر . فلم يحتاج إلى ثورة . ولم يتخذ من الصراع الطبقي سبيلاً لتحقيق ما أراد الله . ولم يتخذ من التنظيمات السرية ما يحمي أو يخطط أو ينقض . لم يبن دين الاسلام ولم يرسخ في نفوس المسلمين بالتآمر أو الخيانة أو الاغتيال . إنما كان شعاره التوحيد والصدق والأمانة . وكان هذا التمهيد لعلاج النفس في الاسلام مرتكز على مجموعة من الأوامر والنواهي التي تتفق وتتمشي مع فطرة الانسان . ومع ما يحقق مصلحته . ومع ما يصون حقوق المسلمين دون عسر أو مشقة . ودون إرهاق أو غبن . وفي حدود الاستطاعة دائماً . ولقد كانت هذه الأوامر والنواهى من السهولة على المسلمين إلى الدرجة التي جعلت بعضهم بل ربما أكثرهم يميلون إلى المبالغة والزيادة عن الحد المطلوب منها . إبتغاء رحمة الله وكرمه وابتغاء المزيد من الخير والراحة النفسية وصلاح البال والتغلب على مشاكل الحياة .

ومن أول الأوامر التي ساهمت في تأسيس المجتمع المسلم وصيانة الحقوق فيه . الأمر بالصلاة . والصلاة هي أول أركان الاسلام بعد الشهادتين . فقد أمر الله بها جميع رسله وأوصاهم بالمداومة عليها . وفي القرآن الكريم على لسان عيسي بن مريم في المهد يقول : ﴿**قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا . وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت**

حيا ﴾[1] وعندما دعا سيدنا إبراهيم ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إلى ذريته وأن يرزقهم من الثمرات سبق دعائه بما عرف من الله أنه سبباً للفضل والرحمة والرزق واستجابة الدعاء وهو الصلاة فقال : ﴿ **ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فأجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** ﴾[2] ولمعرفة أبو الانبياء إبراهيم عليه السلام بفضل الصلاة كانت دعوته لربه : ﴿ **رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي . ربنا وتقبل دعاء** ﴾[3] ولم تقل معرفة سيدنا اسماعيل عليه السلام لفضل الصلاة وبركتها عن معرفة أبيه إبراهيم عليه السلام ولذلك كان يأمر أهله بها ، كما جاء بالقرآن الكريم : ﴿ **واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيا . وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا** ﴾[4] وكانت الصلاة من الوصايا التي وصي بها سيدنا لقمان عليه السلام إبنه وهو يعظه فقال : ﴿ **يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور** ﴾[5] .

هكذا كانت دعوات الرسل ووصاياهم وأوامرهم تبين أهمية الصلاة في إصلاح النفس ومن ثم جميع الأمور . وليس هناك أبلغ في التعبير عن فوائد الصلاة من قول الله عز وجل : ﴿ **إن**

---

(١) سورة مريم . آية رقم ٣١/٣٠ (٢) سورة ابراهيم . آية رقم ٣٧ .
(٣) سورة ابراهيم . آية رقم ٤٠ . (٤) سورة مريم . آية رقم ٥٥/٥٤
(٥) سورة لقمان . آية رقم ١٧ .

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾[1] . إذن فأول ركن من أركان الاسلام أراد الله أن يكون عملاً يؤدى إلى حماية حقوق الانسان من الفواحش والمنكرات ومن البغي الذى قد يقع من إنسان ظلوم جهول على حق إنسان آخر أو على حق نفسه .

والصلاة عَرَّفَها لنا نبينا ﷺ . ويكفينا أن نعرف أنها أمر من الله . فنطيع ولا حاجة لنا للسؤال عن حكمتها وفوائدها . فالله سبحانه وتعالى لا يأمر عباده إلاّ بكل خير . ولا يفرض عيهم إلاّ ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم . ويصلح شأنهم وأحوالهم . ولكنه سبحانه وتعالى أرسل رسله بدين حق ، يأمر بالتفكير والتدبر في آياته ويقول : **﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾**[2] .

وإذا تدبرنا القرآن كما أمرنا لوجدنا أن الله لم يحرمنا من معرفة بعض فوائد الصلاة . فهي بالاضافة إلى أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى هى أيضاً عوناً للمؤمنين على كافة أمورهم . وهى تساعد المؤمنين في المحافظة على عقولهم ورشدهم . وعلى نظافة أبدانهم . فأمر الله الذين آمنوا أن يستعينوا على أمورهم بالصبر مع الصلاة فقال : **﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾**[3] وأمر الله الذين آمنوا بأن لا يقربوا الصلاة وهم سكارى . وكان هذا تدريباً للنفس على التخلص من ما

(١) سورة العنكبوت ، آية رقم ٤٥ .
(٢) سورة النساء ، آية رقم ٨٢
(٣) سورة البقرة ، آية رقم ١٥٣

يُذهِب العقل والرشد فيفقد الانسان ما تميز به على الحيوان فقال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتي تعلموا ما تقولون**﴾[1] وأمر الله الذين آمنوا بالوضوء قبل الصلاة ، نظافة وطهارة وحفظاً لهم فقال : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا .**﴾[2]

والصلاة لم تكن الركن الوحيد الذى ساهم في بناء المجتمع الاسلامي على إحترام حقوق الانسان والمحافظة عليها ، فهناك أربع أركان أخرى . منها الزكاة . والزكاة في معناها ومبناها حق لطائفة فقيرة من الناس في أموال طائفة غنية منهم . وهى وإن كانت حق الفقير تُرَتبَ له ميزة مساعدته على مواجهة متطلبات الحياة . فهى في ذات الوقت حق على الغني جلب له ميزات عديدة . يقول الدكتور عبدالعزيز عبدالرحمن في كتابه « صور من سماحة الاسلام » يقول عن الزكاة : « فهي تحمل معني النماء والزيادة بجلب البركة إلى المال المزكى » ويقول : « وتبرز حكمة شرعية الزكاة في الاسلام في أنها طهرة للنفس من البخل ، وتحد لما يوسوس به الشيطان من الخوف من الفقر والحاجة ، وهى أيضاً طهرة للمال وللذمة بأداء ما تعلق بها من حقوق ، وما لزمها من واجبات » .

---

(١) سورة النساء ، آية رقم ٤٣ .

(٢) سورة المائدة ، آية رقم ٦ .

والزكاة كما أنها حق للفقير يعود بخير وافر على الغني . فهي أيضاً تعود بالأمن والأمان على المجتمع المسلم فتبعد التحاسد والتباغض والصراع بين الأغنياء والفقراء . وتكبح جماح الغني المفسد للطبائع والفقر المذل للنفس التي كرمها الله . وتشيع السعادة في قلوب الجميع فالفقير يفرح لسد حاجته . والغني يفرح بطهر نفسه وماله ويسعد براحة البال والضمير لأنه يعلم أن الزكاة حفظ للمال وتنمية له . وقد راعى الاسلام حقوق الغني في ماله فلم تفرض الزكاة إلاّ مرة واحدة في العام . ولا تستحق على صاحب المال إلاّ إذا وصل ماله إلى نصاب معين . ولا تستحق أيضاً إلاّ بعد سداد ما على صاحب المال من ديون وحقوق . وقد راعى الاسلام الجهد الذي يبذله صاحب المال في إكتساب ماله ، فاختلف قدر الزكاة المفروضة تبعاً لذلك وقد أمر الرسول ﷺ بالرفق واللين والعدل عند جباية الزكاة . وأمر بعدم أخذ كرائم الأموال فعن سفيان بن عبدالله الثقفي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال « لا تأخذ الأكولة ولا الربي ولا الماخض ولا فحل الغنم ، وتأخذ الجزعة والثنية وذلك عدل بين غذاء المال وخياره »[1] . هكذا كانت الزكاة التي شرعها الله مصدراً من مصادر حقوق الانسان . وباباً من أبواب المحافظة عليها وصيانتها وتنميتها .

ومن الفرائض الأخرى التي فرضها الله على عباده صوم

---

(١) رواه الامام مالك في الموطأ .

رمضان ، وهو ركن من أركان الاسلام أيضاً . والصيام فيه ما فيه من تهيئة نفس الانسان لحفظ حقوق الآخرين وعدم الاعتداء عليها . فهو يضع نفس الغني في حالة الفقير عندما يجوع ويعطش . ويضعه في تجربة نفسية وبدنية كاملة ومتكررة على مدى شهر من كل سنة . وهذه التجربة لا بد وأنها ستترك الأثر المطلوب في نفوس وقلوب المسلمين الأغنياء وتجعلهم أكثر حرصاً على الفقراء وعلى أداء حقوقهم ومساعدتهم . وفي صيام شهر رمضان الكثير أيضاً من الفوائد للفقير . فشهر رمضان هو من الوسائل المادية التي استخدمتها الشريعة الاسلامية لابلاغ الأغنياء بحال الفقراء دون مساهمة أو قصد من الفقراء ، ومن الفوائد الانسانية الأخرى لشهر رمضان أنه يشعر الفقراء بمساواة الشريعة الاسلامية لهم مع الأغنياء . وتبين أن الحرمان من الطعام والشراب ليس مرتبطاً بالفقر وحده وإنما مرتبط بالعبادة أيضاً . والصوم فوق كل ذلك خير ورحمة للفقير والغني على حد سواء . فهو يخرجهم من إلف العادة مع شهواتهم ، ويرقق قلوبهم ، ويساعد على صحة الأبدان ، وتقوية الايمان والشعور بنعم الله التي لا تحصي . ولا شك أنه لا تخفى على ذي بصيرة ما تؤدى إليه كل هذه الانعكاسات والفوائد لهذا الشهر العظيم من حماية لحقوق الانسان ورفع لمكانتها واحترامها بين المسلمين .

والحج وهو الركن الخامس من الاسلام . وقد فرضه الله على المستطيع مرة واحدة في العمر . وفي الحج يجتمع المسلمين من مشارق الأرض مغاربها مرة كل عام . يتدارسون فيه دينهم ،

ويستعرضون مشاكلهم . ويتفقون على كل ما فيه خير للمسلمين . ويدافعون عن كل حق مهضوم . ويخططون لدفع الظلم عن كل مظلوم . وهذا بعض مما أراده الله أن يتحقق في الحج . فهو وسيلة سنوية لمراجعة شاملة لأمور الدين والدنيا ومنها حقوق الانسان . فتتاح الفرصة لترسيخها والدفاع عنها وعن ما ينتهك منها . وبيان ما يلتبس على المسلمين من أحكامها .

هذه إجمالاً بعض الفرائض التي أمر بها الله فهيأت نفوس المسلمين ومجتمعهم لتقبل حقوق الانسان والالتزام بها وحمايتها من كل سوء . ولكن أوامر الاسلام الكريمة لم تقف عند الفرائض وإنما توسعت وتشعبت إلى كل مجال تجد فيه حق للانسان . أو تجد فيه ما يساعد على حفظ حق ، أو تجد فيه سبيلاً لمنع الاعتداء على حق . ولذلك كان الأمر التحذيري الأول : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان . ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر**﴾[1] فبين الله عز وجل باتباع خطوات الشيطان سينتهي الانسان إلى ارتكابَ الفواحش والمنكرات التي هي الأساس في اهدار حقوق الانسان . فما أسعد الانسان لو أطاع هذا الأمر واتخذ الشيطان عدوا وسلك طريق غير طريقه . وبعد هذا نأتي إلى الأمر الجامع الذي يقول : ﴿**إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى**﴾[2] . والعدل الذي أمر به الاسلام ، لم يقصره على المسلمين . ولم يجعله بين الأصدقاء وما في

(١) سورة النور . آية رقم ٢١ .
(٢) سورة النحل . آية رقم ٩٠

حكمهم فقط . إنما العدل مأمور به حتي مع العدو أو الخصم فيقول رب العالمين : ﴿**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط . ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون**﴾[1] .

وتتوالى أوامر رب العزة بعد ذلك لتشمل كل ما يهم الانسان ويساعد على حفظ حقوقه . فأمر سبحانه بتأدية الأمانات فقال : ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**﴾[2] وأمر بالوفاء بالعقود فقال : ﴿**يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**﴾[3] وأمر بعدم أكل الربا فقال : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة**﴾[4] وأمر بعدم أكل المال بالباطل فقال : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**﴾[5] وأمر بالانفاق من الطيبات فقال : ﴿**يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلاّ أن تغمضوا فيه**﴾[6] . ويأمرنا بما لا يبطل صدقاتنا فيقول : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى**﴾[7] .

ويأمرنا بالكثير والكثير مما لا يتسع المجال بعد لذكر الآيات الدالة عليه فيأمر سبحانه بأن لا ندخل بيوتاً غير بيوتنا حتي نستأذن

---

(١) سورة المائدة ، آية رقم ٨ .
(٢) سورة النساء ، آية رقم ٥٨ .
(٣) سورة المائدة ، آية رقم ١ .
(٤) سورة آل عمران ، آية رقم ١٣٠
(٥) سورة النساء ، آية رقم ٢٩ .
(٦) سورة البقرة ، آية رقم ٢٦٧ .
(٧) سورة البقرة ، آية رقم ٢٦٤ .

ونسلم على أهلها . ويأمرنا بعدم السخرية من الآخرين وبعدم التنابز بالألقاب . ويأمرنا باجتنب الظن وبعدم التجسس . ويأمرنا بأن لا يغتاب بعضنا بعض ويأمرنا بأن لا نتناجى بالاثم والعدوان وإنما نتناجى بالبر والتقوى . ويأمرنا سبحانه بأن نأكل مما في الأرض حلالاً طيباً . ويأمرنا بأن نأكل من طيبات ما رزقنا . وأن لا نحرم طيبات ما أحل لنا . ويأمرنا سبحان أن نكتب الدين إذا تداينا . وأن نشهد على ذلك . ويأمرنا أن نتبين الحق إذا جاءنا فاسق بنبأ حتي لا نجهل على أحد ونصبح بعد ذلك نادمين . ومن أعظم وأكمل الأوامر التي تصون الحقوق وتعمل على عدم الاعتداء عليها ما أمر الله به نبيه ﷺ في قوله تعالى : ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدني أن يعرفن فلا يؤذين**﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلاّ لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخواتهن أو بني اخوانهن أو بني اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت إيمانهن أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من**

---

(١) سورة الاحزاب . آية رقم ٥٩

زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾[1]

هذه آيات من عند الله الخبير بما نصنع ، الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، خلق الانسان ويعلم ما توسوس به نفسه ، يعلم أن النساء فتنة ، وأن الشهوة المتبادلة بين الرجال والنساء لا يمكن تركها دون تهذيب وتنقية ، لا بد من أبواب حراسة على حقوق المسلمين . لا يترك الرجل إمرأته أو إبنته أو أخته تتبرج ، ويدعى أنه لم يعتدى على حقوق الغير ، ولا يترك الرجل نفسه تشتهى نساء الآخرين . وينظر إلى ما حرم الله عليه ، ويسرق بالنظر وغيره من الحواس حلال غيره ومتاعه ، ويدعى أنه لم يؤذى أحد . لقد أمر الله بستر العورات ، وغض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة إلاّ لمن نص عليهم وحددهم على سبيل الحصر . ولا يمكن أن تصان الحقوق إلاّ إذا اتبعنا هذه الأوامر الالهية بدقة وأمانة . ولا يمكن أن نضمن عدم الاعتداء على الحقوق إذا سمحنا بالاختلاط بين الرجال والنساء في الأعمال . ولا يمكن أن ندعي المحافظة على الحقوق إذا بدلنا شرع الله وفرضنا المساواة فيما أراد الله فيه غير ذلك ، وتمردنا على الطبيعة الانسانية والفطرة التي فطرنا الله عليها .[2] وليس أدل على ذلك من ما نراه في كثير من البلدان من انحلال وحقوق مهدرة بسبب عدم الدخول في الاسلام أو وبسبب عدم الأخذ

---

(١) سورة النور . آية رقم ٣٠/٣١ .
(٢) راجع الفصل العاشر من هذا الكتاب

بأحكامه وأوامره وتشريعاته .

ولم يقتصر فضل الاسلام وسبقه على الأمر بما يحافظ على حقوق الانسان من فرائض وآداب بل إمتد فضله في هذا المجال إلى النهى عن الأمور التي تؤدي إذا وقعت إلى الاعتداء على حقوق الانسان واهدارها . فحرم سبحانه وتعالى الخمر والميسر والانصاب والازلام فقال : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**﴾[1] وهى كلمة تحمل معني الأمر والتحريم الكامل ليس فقط للوقوع في الفعل وإنما أيضاً للاقتراب منه . ولا يستطيع أحد أن ينكر معرفته بتأثير كل هذه الأمور وتمهيدها الطريق للنيل من حقوق الانسان . ونستشهد هنا بقول أحد الباحثين عن واحد من هذه الأمور التي حرمها الاسلام وهو الخمر للنظر كم من حقوق للانسان يمكن أن تضيع لو لم ننتهى فقط عن سيئة واحدة مما حرمه الاسلام وهو (الخمر) : « إن الانسان لم يصب بضربة أشد من ضربة الخمر ولو عمل إحصاء عام عمن في مستشفيات العالم من المصابين بالجنون والأمراض العضالة بسبب الخمر ، وعمن انتحر أو قتل غيره بسبب الخمر ، وعمن يشكو في العالم من آلام عصبية ومعدية ومعوية بسبب الخمر ، وعمن أورد نفسه موارد الافلاس بسبب الخمر ، وعمن تجرد من أملاكه بيعا أو غشا بسبب الخمر .. لو عمل

(١) سورة المائدة . آية رقم ٩٠ .

احصاء بذلك أو ببعضه لبلغ حداً هائلاً نجد كل نصح بازائه صغيراً »[1] . وينهانا الرسول ﷺ عن الكثير من الأمور المفسدة للطباع ، والمشينة للانسان والمتسببة في ضياع الحقوق فيقول : « لا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تحسسوا ، ولا تنافسوا ولا تجسسوا ، ولا تقاطعوا ولا تناجشوا ، ولا تهاجروا ، ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض »[2] ويقول أيضاً : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره »[3] ويقول : «كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وعرضه ، ومّاله »[4] ويقول : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث »[5] .

وتتوالى الآيات والأحاديث التي تبين للناس حقوقهم وتبين لهم ما يساعدهم على صيانتها وعدم الاعتداء عليها . فيأمر عز وجل بالصدقات ويبين لمن يستحق وكيف نخرجها ويأمر بالتقوى ، ويأمر بالوفاء بالكيل والميزان فيقول : ﴿**واوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾[6] وحرم الخيانة وقال : ﴿**إن الله لا يحب كل خوان كفور**﴾[7] وحرم قول الزور وقال : ﴿**واجتنبوا قول الزور**﴾[8] ، وحرم دخول البيوت من ظهورها وقال : ﴿**وليس البر بأن تأتوا البيوت**

---

(١) الحلال والحرام في الاسلام ـ فضيلة لشيخ يوسف القرضاوي .
(٢) (٣) ، (٤) ، (٥) صحيحي البخاري ومسلم .
(٦) سورة الاسراء ـ آية رقم ٣٥ . (٧) سورة الحج ـ آية رقم ٣٨ .
(٨) سورة الحج ـ آية رقم ٣٠ .

من ظهورها ولكن البر من اتقي واتوا البيوت من أبوابها﴾[1]
ويجمع سبحانه إجمالاً في آيتين ما حرمه على المؤمنين فيقول : **﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلاّ بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هى أحسن حتي يبلغ أشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفساً إلاّ وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربي وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾**[2]

ويرهبنا رسول الله ﷺ من الكثير من العادات الذميمة التي تؤدى إلى الاعتداء على حقوق الناس فيقول : **﴿تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذى يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه﴾**[3] أما عن عادة التلصص على الناس والنظر إليهم خلسة فيقول : **﴿لو أن امرؤ اطلع عليك بغير إذن فحذقته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح﴾**[4] ويقول أيضاً : **﴿ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه عن إبن السبيل . ورجل بايع اماماً لا يبايعه إلاّ لدنيا فان أعطاه منها رضي وإن لم يعطه منها سخط . ورجل أقام سلعته بعد العصر فقال والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا فصدقه رجل ثم قرأ هذه الآية : ﴿إن الذين يشترون بعهد**

---

(١) سورة البقرة ، آية رقم ١٨٩ (٢) سورة الانعام ، آية رقم ١٥١ ١٥٢
(٣) صحيح البخاري . (٤) صحيح البخاري

الله وإيمانهم ثمناً قليلاً﴾[1] ويقول ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا يا رسول الله وما هي ؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات﴾[2] .

وعنه ﷺ « أنه سمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال يعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال بلى . كان أحدهما لا يستبرأ من بوله . وكان الآخر يمشي بالنميمة﴾[3] ويحذرنا ﷺ من الظلم فيقول : « الظلم ظلمات يوم القيامة »[4] ويقول « اتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب »[5] ويقول ﷺ : « من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلل منها اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه »[6] ويقول ﷺ أيضاً : « إنما أنا بشر وأنتم تختصمون ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذ إنما اقطع له قطعة من النار »[7] .

وأخيراً يقول ﷺ : يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه فيطيف به أهل النار ويقولون أى فلان ألست

---

(١) صحيح البخاري .
(٢) صحيح البخاري .
(٣) صحيح البخاري .
(٤) صحيح البخاري .
(٥) صحيح البخاري .
(٦) صحيح البخاري .
(٧) صحيح البخاري .

كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول إني كنت آمر بالمعروف ولا أفعله وأنهى عن المنكر وأفعله »[1] .

والآيات والأحاديث التي تأمر أو انهى عن الأفعال والأقوال التي فيها إعتداء على حقوق الانسان كثيرة جداً لا تقع تحت حصر خاصة في مثل هذا المجال المحدود . لذلك نكتفي بما أوردناه منها للتدليل على أن الأمر في الاسلام لم يقف عند مجرد تشريع حقوق الانسان وتحديد العقوبات والجزاءات الرادعة . وإنما إمتد الخير في الاسلام إلى تهيئة نفس الانسان وتهيئة المجتمع الانساني لتقبل التشريع الاسلامي وتطبيقه في مناخ طبيعي فطري سلس وذلك عن طريق الأمر والترغيب في ما يؤدى إلى المحافظة على حقوق الانسان والنهي والترهيب من كل ما يؤدي إلى المساس بها .

---

(١) صحيح البخاري .

الفصل العاشر

أثر محاكاة غير المسلمين في اهدار حقوق الانسان

١ ـ قضية المرأة .

٢ ـ قضية اتباع القوانين الوضعية والابتعاد عن الحدود الشرعية .

٣ ـ قضبية اتباع تقاليد وعادات غير المسلمين في المجالات الاجتماعية والتعليم والاعلام .

أدى تطور سبل الانتقال والاتصال بين أقطار العالم إلى تسرب الكثير من العادات والتقاليد والتطورات بكافة أشكالها في عديد من المجالات وبسرعة كبيرة بين كافة أقطار العالم . ولذلك ظهر في مجال الاقتصاد ما يسمى بـ « أثر المحاكاة » وأثر المحاكاة هو النتائج الاقتصادية المترتبة على محاكاة الشعوب لبعضها في مجال السلوك الاقتصادي والعادات الاقتصادية . وقد نبه علماء الاقتصاد إلى الأخطار والمضار والنتائج السيئة المترتبة على المحاكاة في هذا المجال خاصة على إقتصاديات الدول المتخلفة في مجال الانتاج والاستهلاك المتبعة في الدول المتقدمة لا شك أنه يشكل عبء على إقتصاديات وميزانيات الدول النامية . ويعرقل كثير من فرص التقدم والازدهار . فالدول المتقدمة أصبحت تستخدم جميع وسائل الرفاهية المتقدمة تكنولوجيا في سائر الاحتياجات اليومية والفرد في هذه الدول قادر على إقتناء هذه الوسائل الحديثة دون أن تشكل عليه أى مخاطر أو أعباء . ومثل هذه الأمور لا تتناسب مع أحوال الدول الآخذة في النمو . وعليه فإن شعوبها إذا إقتدت بشعوب الدول المتقدمة وحاكتهم في سلوكهم الاقتصادي فإن ذلك سوف ينعكس آثاره بشكل سيء على المجتمع في صورة

تحول الاقتصاد من إقتصادي إنتاجي يدفع عجلة النمو إلى إقتصاد إستهلاكي يعرقل الخطط ويضعف من الامكانيات .

هذه كلمة مختصرة تبين إجمالاً الآثار السيئة للمحاكاة في المجال الاقتصادي .

ولكن هل هذا هو الخطر الوحيد؟ في الحقيقة هناك خطراً أشد وأقوى وله آثار متشعبة ومستمرة لا بد أن ننتبه له جيداً . هذا الخطر هو الناتج عن محاكاة المسلمين لغيرهم في كثير من عاداتهم وأوضاعهم الاجتماعية وقوانينهم الوضعية وسلوكياتهم التي يدعون أنها حضارية ويهمنا في هذا المجال أن نبحث وراء أثر هذه المحاكاة على ديننا وعلى حياتنا الاجتماعية وعلى حقوق الانسان التي أقرها الاسلام وحفظها وحماها . وخاصة وأن هناك من أعداء الاسلام وممن يكيدون له يزينون هذه المحاكاة ويلبسونها ثوب التطور والمصلحة العامة ويوردون من الحجج الاجتماعية والانسانية والاقتصادية والنفسية ما يؤيد أغراضهم وأهدافهم الخبيثة . وهم بذلك إنما يضربون على الوتر الحساس الذي يشد الكثيرين من عامة الناس إلى المحاكاة الخاطئة في السلوك الاجتماعي والديني .

ولكى نلمس أثر المحاكاة لغير المسلمين في إهدار حقوق الانسان سنتناول فيما يلي ثلاث قضايا هامة هي : قضية خروج المرأة للعمل خارج المنزل وسفورها واختلاطها بالرجال الأجانب . وقضية تطبيق القوانين الوضعية في كافة المجالات والابتعاد عن الشريعة الاسلامية وعدم تطبيق الحدود الشرعية .

وقضية اتباع تقاليد وعادات غير المسمين في مجالات الأسرة والقرابة والجوار والدعاية والاعلان والتعليم والترفيه وخلافه .

أولاً : قضية المرأة :

قضية المرأة هى من القضايا المعاصرة التي نطالع الكثير عنها كل يوم في الكتب والصحف والمجلات . يتناولها البعض بالتأييد ، والبعض الآخر بالرفض . والرفض أو التأييد رغم أنه لأكثر من جانب من جوانب هذه القضية . مثل جانب مساواة المرأة بالرجل ، وجانب تعليم المرأة ، وجانب خروجها للعمل خارج البيت ، وجانب إختلاطها بالرجال . وجانب التحاقها بوظائف معينة ... إلى آخر ذلك . إلاّ أن أبرز هذه الجوانب التي سنتناولها هنا هي الجوانب التي نرى أنها تؤثر مباشرة على حقوق الانسان وتؤدى إلى المساس بها بشكل كبير وخطير . وأول جوانب قضية المرأة هو جانب المساواة . فهو الجانب الأساسي والجوهرى والذى تفرعت عنه الكثير من الجوانب الأخرى . والمساواة المطلقة بين المرأة والرجل هراء لا يتفق مع دين ولا عقل ولا منطق . لأن المساواة التامة بين شيئين تقتضي التماثل التام والتطابق بينهما . وطالما أن هناك فروق بينة وواضحة وثابتة إلى أبد الأبدين بين المرأة والرجل لذلك فلا يمكن بحال من الأحوال قبول دعوى المساواة الكاملة وإلاّ فان الأمر لا يعدو أننا نقر الباطل ، ونؤيد ظلما وقع على كل من المرأة والرجل . والمساواة أمر نسبي يجب أن يتفق ويتوازى مع الفروق الطبيعية القائمة بين المرأة والرجل .

فالمساواة في أن لكل منهما كرامته وحقوقه الآدمية شيء لا يمكن لأحد أن ينكره. وشيء يقره الدين بل وكان من أول الحقوق التي أبرزها الاسلام. ولكن الذي ترفضه الفطرة والعقل والدين معاً هو الانطلاق في دعوى المساواة إلى أبعد من المدى الذى تستقيم معه الحياة. وأن ما يطلبونه من مجالات مستحدثة للمساواة هو باب من أبواب الافساد الحديث للحياة. لأن المساواة المطلوبة لا تعني إلاّ غض النظر عن الفروق الطبيعية والأساسية التي جعلها الله بين الجنسين لحكمة بالغة يعلمها سبحانه.

وهناك مسألة يمكن أن تقرب إلينا فهم الجانب من حكمة الله في عدم المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة. فالقرآن الكريم يوضح لنا في آيات تتناسب مع قدرات عقولنا المحدودة. يوضح لنا السبب في «الوحدانية». ويأتي بالدليل القطعي والبديهي والعقلي على أن الكون لا يمكن أن يكون له إلاّ إله واحد. فيقول العزيز الحكيم: ﴿**لو كان فيها آلهة إلاّ الله لفسدتا. فسبحان الله رب العرش عما يصفون**﴾[1].

هكذا يخاطب الله قلب وعقل الانسان. ويبين أن تعدد الآلهة لا يتفق مطلقاً مع إستمرار الحياة وفق هذا النظام الدقيق والتقدير المبدع. وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن تكون «الوحدانية» من الآيات التي يمكن أن يتأملها الانسان في ذاته وحياته. يقول عز وجل: ﴿**وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم أفلا**

(١) سورة الأنبياء. آية رقم ٢٢.

تبصرون﴾[1] فالله سبحانه جعل في أنفسنا ما يدلنا على وحدانيته وجعل في نظام الكون وأعهر الأرض ما يدلنا على ذلك أيضاً. وقد خلق الله الذكر والأنثي وجعل لكل منهما تركيباً متشابهاً من الأعضاء وجعل لكل منهما في نفس الوقت قدرات وإمكانيات وصفات مختلفة ومتميزة. وعلى أساس هذا الاختلاف والتمايز جعل الله للرجال على النساء درجة، وجعل الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض. ولم تكن هذه الدرجة وهذا التفضل إلا لتحقيق مشيئة الله في أعهر الكون لأن هذا التفضيل هو السبيل لأن يكون للأسرة رب واحد، وعائل واحد، وقائد واحد لأنه لو تساوى الرجال والنساء في قدراتهم وإمكانياتهم وصفاتهم وتركيبهم الجسمي والنفسي والعاطفي لتنازعوا قيادة الأسرة واذن لفسدت الأسرة وفسدت الأرض، فعدم المساواة المطلقة بين الذكر والأنثي شيء أراده الله حتي تستقيم الحياة. وعلى قدر ابتعادنا عن حكمة الله من هذه المساواة على قدر ما ينتشر في الأسرة والمجتمع من فساد.

وإذا تأملنا آيات الله من حولنا فلن نجد ما يخالف ذلك أبداً، فحتي الحيوانات التي سخرها الله للانسان لم تشذ عن تسليم القيادة للذكر. فالذكر هو رب الأسرة في مملكة الحيوان والمدافع عنها، والأنثي هي القائمة على رعاية الصغار.

وأمر إنتهاء القيادة إلى شخص واحد لا يقتصر على الأسرة،

---

(۱) سورة الذاريات. آية رقم ۲۱/۲۰.

فمن الممكن أن نلمس ذلك جلياً على مستوى الشعوب . فاذا نظرنا إلى كافة أقطار الأرض منذ أن بدأت تعرف المجتمعات الانسانية سواء في شكل قبائل أو دول لوجدنا أنه لم يكن هناك دولة تزعمها شخصين في وقت واحد . فلا بد من شخص واحد لرئاسة القبيلة أو الدولة ـ حتي في الدولة التي تأخذ الآن بما يسمى بالقيادة الجماعية ـ ولا بد لهذا الرئيس من شيء مكنه من هذه الرئاسة دون غيره . فهو إما إستند إلى قوته أو قوة من يسيطر عليهم . أو قد يكون مستنداً إلى حسبه أو نسبه . أو قد يكون مستنداً إلى عرف أو تقليد أو دستور . وهذا الذي يستند إليه أيَّ كان يعطيه بلا شك ميزة أو فضل ـ من جهة نظره هو على الأقل ـ في أن يكون منفرداً بالرئاسة في قمتها . ولو تخيلنا أنه في وقت ما صار هناك رئيسين لدولة واحدة فسرعان ما يقضي أحدهما على الآخر . وفور أن ينتهى ما يستند إليه الرئيس في رئاسته من ميزة أو فضل أو خلافه فور ما تنتهي رئاسته وتنتقل إلى غيره وهكذا .

فقيادة الكون لا تحتمل إلاّ الهاً واحداً . وقيادة الدولة لا تحتمل إلاّ رئيساً واحداً . وقيادة الأسرة لا تحمل إلاّ شخصاً واحداً . ولا بد لكل قيادة من هذه القيادات من فضل أو ميزة على من تقودهم .

وقد شاء الله أن يكون الحسم في أمر قيادة الأسرة لجانب الرجل . وذلك إستناداً إلى ما فضله به الله على المرأة من قوامة مبعثها الفروق الواضحة في التركيب البنياني والنفسي وغيره تلك

الفروق التي جعلته صالحاً ومؤهلاً للقيادة والرعاية والانفاق على الأسرة بشكل قاطع لا يستطيع هو أن ينفك منه أو يسنده إلى غيره ، ولا يستطيع أن يسلبه منه أحد .

إذن فالفروق بين المرأة والرجل لا شك فيها وهناك وظائف أسرية متعددة تحتاج إلى من يقوم بها . وعلى هذا الأساس فلا بد من توزيع هذه الوظائف بين المرأة والرجل بما يتناسب مع الامكانيات التي خص الله بها كل منهما . أو كما يقول علماء الادارة لا بد من اختيار الشخص المناسب للوظيفة المناسبة فالوظائف الأسرية من السهل تحديدها . والرجل والمرأة قد عرفت مؤهلات كل منهما منذ قرون طويلة . عليه فلم يبق إلاّ شغل الوظائف بما يتفق مع متطلبات الوظيفة وإمكانيات كل موظف ، فاذا قسمنا الوظائف المتعلقة بالأسرة إلى قسمين : القسم الأول وظائف خارج البيت والقسم الثاني وظائف داخل البيت . فان هناك عدد من الأسئلة يحتاج إلى إجابة صريحة وأمينة . السؤال الأول هو :

على ضوء ما نعرفه عن المرأة والرجل . أيهما أنسب للوظائف خارج البيت وأيهما أنسب للوظائف داخل البيت ؟ وإذا توصلنا إلى إجابة على هذا السؤال وأظنها سهلة ومنطقية . فلا شك أن الرجل أنسب للوظائف خارج البيت . والمرأة أنسب للوظائف داخل البيت . فان السؤال الثاني هو : هل قَصَّرَ الرجل أو المرأة في الوظائف التي أسندت لكل منهما ؟ هل لم يستطع الرجل أن يعمل ويكد وينفق على الأسرة ويوفر لها الحماية ؟ هل لم تستطع المرأة أن تربي الأطفال وتهتم بشئون المنزل وشئون زوجها ؟ فاذا

كانت الاجابة أن كل من المرأة والرجل قد استطاعا أن يؤديا وظائفهما بنجاح؟ فإن السؤال الثالث هو :

هل هنك من يرى أنه من المناسب تبديل الوظائف بين المرأة والرجل لتحقيق أداء أفضل ؟ وهل هناك من يستطيع أن يجزم بأن اسناد بعض وظائف المرأة للرجل أو اسناد بعض وظائف الرجل للمرأة لن يؤثر على وظائف كل منهما الأساسية ؟ فاذا كان كل منهما قائم بوظائفه على أكمل وجه دون تقصير . وإذا لم يكن أحدهما يستطيع أن يؤدى وظائف الآخر بصورة أفضل . وإذا لم يكن في إستطاعة أى منهما أن يقوم ببعض وظائف الآخر بالاضافة إلى وظائفه دون أن يؤثر ذلك على وظائفه الأساسية تأثيراً سيئاً . إذا كانت هذه هي الاجابات البديهية على الأسئلة السابقة . فما هي المشكلة ؟ ومن الذي أنشأها ؟ ولماذا لم يتفرغ كل من الرجل والمرأة إلى ما يناسبه من وظائف ؟ ولماذا أراد المفسدون في الأرض أن يقلبوا الأوضاع ويبدلوا سنة الله ؟ وما الفائدة التي ستعود على الأسرة إذا أهملت المرأة وظائف البيت وتحملت عبء الوظائف خارج البيت رغم أن الرجل لم يعف منها بعد ؟

إن المرأة لم تؤهل لمهمات الرجل إنما تأهلت لمهمات أخرى قد تكون أعظم وأجل شأناً فاذا أخذنا مهمة تربية الأطفال مثلاً وهي من المهمات الرئيسية للمرأة لوجدنا أنها أرقي وأسمى وظائف الأسرة . وقد خص الله بها المرأة تكريماً لها وتشريفاً . فالله سبحانه وتعالى عندما خلق آدم ونفخ فيه من روحه أراد أن يكرمه فلم يجد خيراً من الملائكة سبيلاً لذلك . فأمرهم بالسجود له . وكان

سجودهم رمزاً لما سيقومون به من خدمات لبني آدم بعد أن يهبط آدم إلى الأرض . فمنهم من سخره الله للاستغفار لبني آدم والدعاء بالرحمة لهم ، ومنهم من يتنزل عليهم ليذهب خوفهم وحزنهم ، ومنهم من يتنزل ليقاتل معهم ، ومنهم من يتنزل بوحي الله وتشريعه ... إلى آخر ذلك من مهام الخير والرحمة وإستمراراً لهذا التكريم لبني آدم ، أراد الله تكريم ذرية آدم في المهد ، أراد تكريم الطفولة فلم يجد لها خيراً من المرأة «الأم» وليس «الأب» ليخصها بهذه المهمة وهيئها سبحانه لذلك من كافة الوجوه فزرع في قلبها الحنان والرحمة اللازمين ، وجعل من جسدها وعاء وغذاء لأطفالها . فما أعظمها من تكريم وما أعظمها من مهمة لا تصلح لها الا الأم « التي تحمل ــ وتلد » . فلا يصلح لهذه المهمة كما أرادها الله الرجل ، ولا تصلح لها أى امرأة أخرى غير الأم فلا الشغالة ولا الدادة ولا المربية تستطيع أن تعطي الطفل الحنان والحب والعطف الذي تعطيه الأم لولدها . فمالنا نرفض هذا التكريم الالهي ونحاول أن نفقد أنفسنا الخير الذي أراده الله لنا .

والآن إذا خلصنا إلى أن المساواة التي يريدها البعض بين المرأة والرجل في هذا العصر مساواة غير مفيدة للأسرة ، لأنها لا تستند إلى الفروق الطبيعية التي جعلها الله أساساً لقوامة الرجل . وإذا خلصنا إلى أن لكل من الرجل والمرأة مهمته ووظيفته في الأسرة وليس لأى منهما إمكانيات تتناسب مع وظائف الآخر . إذا خلصنا إلى كل ذلك كان الحكم في كل الجوانب الأخرى من قضية المرأة حكماً سهلاً وواضحاً ، والوصول إليه أمراً ميسوراً .

فجانب التعليم من قضية المرأة يصبح مفهوماً على ضوء ما سبق أن يكون تعليمها بما يخدم الوظائف المسندة إليها . وبما يرفع من كفاءتها في أدائها . وقبل كل ذلك يكون تعليمها بما يفقهها في أمور دينها لأن هذا هو الأساس في الاتقان والاخلاص في جميع الوظائف .

أما عن خروج المرأة للعمل خارج البيت فأمر لا يحتاج إلى أكثر مما ذكرناه من توضيح . ولكن هناك حجة لدعاة خروج المرأة للعمل خارج البيت يجب الرد عليها وهي حجتهم الاقتصادية . فيقولون أن المرأة نصف المجتمع وإذا لم تخرج للعمل خارج البيت فان نصف طاقة المجتمع ستكون عاطلة أو أهدرت أو لم تستغل إقتصادياً . ولكن من يدعي ذلك فهو مخيء لأن المرأة تبدأ في عطائها الاقتصادي ليس فقط بعد خروجها للعمل خارج البيت وإنما بمجرد أن تصبح العضو الثاني في الأسرة . وعلى العكس فان عطائها الاقتصادي داخل البيت سيقل حتماً بخروجها للعمل خارج البيت . والمرأة هي التي تربي أجيال الشباب التي تبني المجتمع إقتصادياً في جميع المجالات . فاذا تركت هذه المهمة لغيرها فان النتيجة أن المجتمع سيفقد الكثير مما استثمره في شباب أبنائه نتيجة التربية الصناعية الآلية البعيدة كل البعد عن إرادة الله . ومن المعروف إقتصادياً أن أخطر شيء يواجه المجتمعات المعاصرة هو البطالة بكافة أنواعها . ولا شك أن خروج المرأة للعمل خارج البيت أسهم بشكل كبير جداً في زيادة البطالة بين الرجال . وفي المقابل فان هناك وظائف شاغرة استحدثت في البيوت وبدأ

البحث عمن تسند إليهم . إنه بتفكير بسيط نستطيع أن نصل إلى أن الأولى بالعمل خارج البيت هو الرجل . فليس هناك رجل الا وعنده من يعوله كالزوجة والأولاد ، وإن لم يكن فهو يعول نفسه . أما المرأة فلا بد أن هناك من يعولها ويحافظ عليها ويوفر لها المعيشة المناسبة ، إنه الرجل أياً كان وضعه بالنسبة لها الوالد أو الأخ أو الزوج أو الأبن أو على الأقل أحد من أقاربها أو ربما أحد جيرانها . لذلك فليس من العدل أو المنطق أن تترك المرأة وظيفتها في البيت شاغرة وتبحث عن من يشغلها لها ، وفي نفس الوقت تخرج هي لتزاحم الرجل وظيفته وتتركه عاطلاً يضطر إلى سلوك طريق غقر شريف من إعالة من يعول . إن عمل يعفيه من المسألة والانحراف ويقي المجتمع من أجبرته الحاجة إلى المعصية ، وهذا في عرف الاقتصاديين «منفعة» .

إن الشرور التي تأتي من وراء خروج المرأة خارج البيت لا تقتصر على ذلك إنما تمتد إلى أضعاف المجتمع إقتصادياً وإجتماعياً وتقوده إلى الانحلال ، لأن المرأة عندما تخر : أو تهمل أو تقصر في وظيفة تربية أطفالها بحكم إنشغالها أو ارهاقها من الوظيفة الأخرى . ولا يشفع للأم في ترك تربية أطفالها أن هناك دور حضانة أو روضة أو مدرسة أو مؤسسة أخرى تقوم بهذه المهمة لأن كل البحوث والدراسات العلمية الحديثة أثبتت أن الأطفال الذين لا تتولى أمهاتهم مهمة تربيتهم يحرمون من الحنان وينشأون بمشاكل نفسية عميقة ويصابون بانحرافات في سلوكهم عندما يكبرون .

وإقتصادياً أيضاً لا تغطي إنتاجية المرأة في العمل خارج البيت ما تحققه من خسائر على المجتمع من جراء حرمانه من الرجال الصالحين القادرين على خدمة مجتمعهم . ولا يخفي على أحد ما في كل ما سبق من اهدار لحقوق الانسان .

ومن الجوانب الأخرى في قضية المرأة جانب الاختلاط بالرجال . ففيه كما نعلم مفسدة للدين والدنيا ، واهدار لموارد المجتمع سبب ضعف الانتاجية للجنسين معاً . والاختلاط بين المرأة والرجل مجال خصب لعبث الشيطان بالانسان . كذلك فان جانب سفور المرأة وعدم تحجبها وعدم إحتشامها كان من المصائب الكبرى التي نتجت عن خروجها للعمل خارج البيت واختلاطها بالرجال . وهذه مصيبة لها من الآثار ما لا يمكن حصره في هذا المجال ، ولكن نورد هنا فقرة من كتاب السيدة/ نعمة صدقي عن التبرج . فلعلها توضح ما يسببه التبرج من ضياع للحقوق : «كلا ، فان الرجولة هي الرجولة ، والأنوثة هي الأنوثة . وإن الجاذبية بين الرجل والمرأة هي الجاذبية الفطرية لا تتغير ولن تتغير مدى الدهر . وهي شيء يجرى في عروقها ، وينبه في كل من الجنسين ميوله وغرائزه الطبيعية . فان الدم يحمل الافرازات الهرمونية من الغدد الصماء المختلفة ، فتؤثر على المخ والأعصاب وغيرها من الأعضاء ، بل إن كل جزء من كل جسم يتميز عما يشبهه في الجنس الآخر ولذلك تظهر صفات الأنوثة في المرأة في تركيب جسمها كله وفي شكلها وفي أخلاقها وأفكارها وميولها . كما تظهر مميزات الذكور في الرجل في بدنه وهيئته وصوته وأعماله

وميوله . وهذه قواعد فطرية طبيعية لم تتغير من يوم خلق الله الانسان ولن تتغير حتي تقوم الساعة . »

« فتبرج المرأة ضرر جسيم . وخطر عظيم ، يخرب الديار ، ويجلب الخزى والعار . فكم دعا إلى العداوة والبغضاء بين الأخت وأختها والأخ وأخيه ، وكم فصل الزوج من زوجه ، وحرمه بناته وبنيه وكم خيب الآمال ، وحسر قلوب النساء والرجال ، ودعا إلى الحرام وترك الحلال . »

والخلاصة في قضية المرأة أن فرض المساواة بينهما ، وخروج المرأة سافرة متبرجة للعمل خارج بيتها والاختلاط بالرجال إنما هو شر إنتقل إلى المسلمين من غيرهم في ثوب مضلل ومفسد هو ثوب المدنية والحضارة ، ولا هي مدنية ولا هي حضارة ، إنما هي مفسدة ومضرة أدت دون شك إلى ضياع حقوق الانسان ومهدت الطريق لاهدارها والقضاء على البقية الباقية منها . إن طلب المساواة بين الرجل والمرأة بعيداً عن الفطرة وما أمر به الله ضيع حق الرجل في المحافظة على زوجته وأسرته وتسبب في شجار دائم بينهما . وأن خروج المرأة للعمل خارج بيتها ضيع حقوق الزوج والأطفال . وأن سفورها واختلاطها بالرجال مهد السبيل للاعتداء على حقوقها في المحافظة على عفافها وشرفها وبالتالي شرف زوجها وعرضه ، وأغرى الآخرين بها وبمعصية الله . فلا يحق لنا أن ننكر دور الشيطان في الايقاع بين المرأة والرجل مستغلاً غريزة كل منهما وميله للآخر .

أليس في ذلك كله ضياع لحقوق الانسان ؟ وهلل هناك حد

يقف عنده المسلمون في محاكاة غيرهم حتي نحفظ على الانسان حقوقه؟ سواء كان رجل أو إمرأة أو أطفال .

ثانيا : قضية اتباع القوانين الوضعية والابتعاد عن الحدود الشرعية :

تلك قضية أخرى من القضايا التي حاكى فيها المسلمون غيرهم ، فضاعت حقوق الانسان بينهم . لقد شرع الله حدوداً للمحافظة على حقوق الانسان . ولدفع من يريد الاعتداء عليها ، ولانزال العقاب بمن فيها . فابتعد المسلمون عن هذه الحدود . وتركوا ما اختاره الله لهم . واتبعوا ما اختاره البشر . ويا له من اختيار جاهلي سيء ينم عن عمى بصر وبصيرة . كيف نستطيع أن نطمئن لقوانين وضعها الانسان وقد وصفه الله عز وجل بالجهل والظلم والضعف والعجلة والتقتير ولا نتبع ما شرعه الله خالق الانسان وهو السميع البصير ، الحكيم الخبير ، والقوى العزيز ، والرحمن الرحيم . والعادل الذي حرم الظلم على نفسه ؟ أليس في ذلك ضياع للحقوق ؟ من الأولى أن يتبع الآخر المسلمون يتركوا ما أمر به الله ويتبعوا ما وضعه غيره من قوانين ضحلة وقاصرة ؟ أم أنهم يتبعوا ما أنزل الله ويدعون غيرهم لاتباعه ؟ إنه لا حكم الا حكم الله وهو خير الحاكمين وله الخلق والأمر ، خلقنا ويعلم ما تقوم به نفوسنا .

والحدود في الاسلام لا تميز بين أحد فالكل أمامها سواسية . وما أبلغ وأعدل وأحكم من قول رسول الله ﷺ : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » الحديث . إن الحدود

التي تحمي حقوق المسلمين لا خيار فيها لأحد ولا شفاعة فيها لأحد . وعلينا أن نتعظ بما بينه لنا الرسول ﷺ من أن الأمم التي سبقتنا هلكت لتفريقها في إقامة الحد بين الشريف والضعيف ، فكانوا يقيمون الحد على الضعيف ويلتمسوا العذر للشريف . فما كان ذلك الا من غضب الله عليهم . فيجب أن نحكّم بيننا كتاب الله ولا نتعد حدوده ونطبق ما أمرنا به ، ونستجيب للرسول الذي دعانا لما يحينا وصدق الله العظيم الذي يقول : ﴿**ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون**﴾[1] .

إن القوانين الموضوعة بمعرفة البشر وما بها من عقوبات لا يمكن أن تقارن بما جاء من عند الله . فالكمال والعصمة لله وحده . وما يضعه بشر يتسم بخصائص من نسيان أو غفلة ، وبما يتحكم فيهم من أهواء ومصالح . وأن من أبواب الشر أن نأخذ بكل ما نرى عليه أعدائنا دون وعي أو تفكير ، ودون بحث وتمحيص ، لنعرف هل يتفق مع ديننا أم لا ؟ إننا نقع في كل يوم في شباك وشراك جديدة من شراك جديدة من شراء أعداء الاسلام تنصب لنا وتزين ، وندخل فيها راضين . إن من يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه وأهله وقومه ، ولا عليه الا أن ينتظر العذاب الأليم .

والحدود في الاسلام ليست قاسية كما يرى البعض أو يدعى . إن القسوة يجب أن تقارن بقسوة الجرم الذي وقع على حق الانسان في عرضه أو ماله أو نفسه . أو بالقسوة التي تنتهك بها

---

(١) سورة البقرة ، آية رقم ١٧٩ .

حرمة المجتمع وحرمة الاسلام . والحدود في الاسلام لا تطبق إلاّ لشروط قل أن تتوافر وذلك ليس لافلات المجرم وإنما لأخذ الحيطة كاملة حتي لا يعاقب البرىء . والحدود في الاسلام تدرأها الشبهات ولا بد فيها من الاعتراف والشهادة . والشهادة لها شروطها ولها أهلها على تفضيل واسع في كتب الأحكام .

إن الحدود في الاسلام قد حتمت مجتمعات المسلمين في العصور السابقة وساد على أساسها الأمن والأمان ولم يجرؤ على إنتهاك حقوق الانسان إلاّ قلة نادرة أخذت جزاءها في حينه ، فارتدع من كانت تسول له نفسه الاقدام على الجرائم . وأخذ المعتدي جزاءه وأمن المجتمع شره . وفي عصرنا هذا لا يصعب علينا نحن المسلمين أن نطبق حدود الله فهي صالحة لكل زمان ومكان . وما علينا إلاّ أن نقدم على ذلك دون تردد أو تسويف . ولننحى هذه القوانين البشرية جانباً ولنحكم قوانين الله لنرى ماذا سيحل بمجتمعاتنا من خير وأمن وسعادة .

ثالثاً : قضية إتباع تقاليد وعادات غير المسلمين في المجالات الاجتماعية والتعليم والاعلام :

لقد تميز المجتمع المسلم بالترابط «كالبنيان يشد بعضه بعضا» . لا يؤذي جار جاره . ولا يقطع أحد صلة رحمه . يعطف الكبير على الصغير ، ويحترم الصغير الكبير ، ويعطى الغني الفقير . ويتزاور المسلمون . ويتعاونوا على كل خير . ويفزع الجميع إذا أصاب أحدهم مصيبة أو مكروه ويقفون بجانب المصاب

يساعدونه على تحمل مصيبته ويشاركونه في تحملها . لقد كانت التشريعات القرآنية والتوجيهات النبوية هى المرشد في كل ذلك .

والمجتمع المسلم مجتمع نظيف نقي طاهر . لا يدعوا فيه المسلم الا بالمعروف ولا ينهى إلاّ عن منكر مجتمع حرمت فيه الجرائم ، وطبقت فيه الحدود . وشاع فيه الأمن والطمأنينة ونبغ فيه المسلمون في علوم دينهم ودنياهم . ودنت لهم الدنيا ، وفتحت لهم البلاد وانتشر الاسلام . وعاش المسلمون في ظل هذا المجتمع كنموذج للحياة التي أرادها الله لخليفته في الأرض .

ولكن عندما بدأ المسلمون في التخلي عن هذه التشريعات والتوجيهات بدأ الاسلام في الابتعاد عنهم ، فانتشر الظلم والحقد ، وتعددت الجرائم ، وضعف الايمان .

وعندما بدأ المسلمون في محاكاة غيرهم في عاداتهم وتقاليدهم وتعليمهم بدأ يدب في أوصالهم الضعف ، وانتشر الزنا والربا والسرقة . وتقطعت صلات الأرحام . واختلطت الأنساب . ولم تعد هناك الألفة والمحبة . ولم يعد هناك حق للجار يحترم أو يؤخذ به ، وعمت الفوضي والنهب والاغتصاب وانتشر الحسد وخيانة الأمانة والرشوة . وضعف المسلمون في علوم دينهم ودنياهم . ولم يعد هناك من يأمر بالمعروف ويفعله ، ولم يعد هناك من يهتم بالنهي عن المنكر ولا يرتكبه . فانتشرت المشاكل والمفاسد ودب الانحلال وهان المسلمون على غيرهم لما هانوا على أنفسهم ، فاستعمرت بلادهم وأصبحوا تابعين ، وأخضع الله أعناقهم لعدوهم الذي لا يخاف الله فيهم لعلهم يعتبروا ويثوبوا إلى

رشدهم .

إن المجتمع المسلم لن يعود كما كان إلاّ إذا أعاد المسلمون الاسلام إلى بلادهم كما كان منهج للحياتين الأولى والآخرة نطبقه دون حرج فهو حكم الله ورسوله ، ونقلع عن عادات الجاهلين ومساؤهم ، ولا نحاكيهم فيما يفسد علينا ديننا ودنيانا .

هذه صور ثلاث أتبع فيها المسلمون غيرهم . فهانت علينا حدود الله وهانت علينا توجيهات رسوله الكريم التي أرست أفضل العادات والتقاليد ، وهانت علينا كرامة المرأة وشرفها وعفافها . ولا ينتظر أحد بعد ذلك احتراماً لحقوق الانسان أو حماية لها . فإلى حدود الله وتوجيهات رسوله نفزع لنحمي حقوق الانسان .

المراجع

- القرآن الكريم .
- صحيح الامام البخاري .
- صحيح الامام مسلم ، مطبوعات إدارات البحوث/١٤٠٠ .
- رياض الصالحين للامام النووي ، مؤسسة مناهل العرفان ـ بيروت .
- مقارنة الأديان للدكتور أحمد شلبي ، مكتبة النهضة ـ القاهرة ١٩٧٩ .
- الأخلاق الاسلامية للأستاذ عبدالرحمن حبنكة ، دار القلم/دمشق ١٣٩٩
- المذاهب المعاصرة للدكتور عبدالرحمن عميرة ، دار اللواء ـ الرياض ١٣٩٩ .
- أركان حقوق الانسان في الاسلام لدكتور صبحي المحمصاني ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٩ .
- غذاء الألباب للشيخ محمد السفاريني ، مطبعة الحكومة بمكة ـ ١٣٩٣ .
- الحدود في الاسلام للأستاذ عبدالكريم الخطيب ، دار اللواء ـ الرياض ١٤٠٠ .
- الجرائم والعقوبات في الشريعة الاسلامية للأستاذ توفيق علي وهبه ، دار عكاظ ، جدة ١٤٠٠ .
- حد الزني في الشريعة الاسلامية للدكتور محمد رشيد قباني ، من مطبوعات رابطة العالم الاسلامي .
- حد السرقة في الشريعة الاسلامية للشيخ محمد عبدالله بن السبيل ، من مطبوعات رابطة العالم الاسلامي .

ـ مجلة رابطة العالم الاسلامي (الاعداد جمادي الثانية ٩٩هـ/محرم جمادي الأولى ١٤٠١هـ) .
ـ ندوات علمية لفريق من علماء المملكة العربية السعودية مع كبار رجال الفكر والقانون في أوروبة حول الشريعة الاسلامية وحقوق الانسان في الاسلام) ، من مطبوعات رابطة العالم الاسلامي .
ـ صور من سماحة الاسلام للدكتور عبدالعزيز عبدالرحمن على ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٠ .
ـ الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة للأستاذ أبو الأعلى المودودي ، دار القلم ـ الكويت ـ ١٣٩٨ .
ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للأستاذ أبوالحسن الندوى ، الاتحاد الاسلامي للمنظمات الطلابية .
ـ مراتب الاجماع للامام ابن حزم ، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ١٩٧٨ .
ـ الحلال والحرام في الاسلام للشيخ يوسف القرضاوي ، المكتب الاسلامي ـ دمشق ـ ١٣٩٣ .
ـ التبرج للسيدة/نعمت صدقي ، دار الاعتصام ـ القاهرة .
ـ الحجاب والسفور للأستاذ أحمد عبدالغفور عطار ، مكة المكرمة ١٣٩٩ .
ـ هذا حلال وهذا حرام للأستاذ عبدالقادر أحمد عطا ، دار الاعتصام القاهرة .
ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الاسلام إبن تيمية ، مطابع المجد التجارية . .



مطبعة رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

